البابا شنوده الثالث

الخدمة الروحية و الخادم الروحي

٥٣

البابا شنوده الثالث

مجموعة كتب الخدمة

الخدمة الروحية و الخادم الروحي

The Spiritnal Ministry & The Spiritnal Minister

By H.H. Pope Shenouda III

1st. Print — الطبعة الأولى
Nov. 1993 — نوفمبر ١٩٩٣
Cairo — القاهرة

الكتاب : الخدمة الروحية والخادم الروحى

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .

الطبعة : الأولى - نوفمبر ١٩٩٣

المطبعة : الأنبا رويس - الأوفست بالعباسية - القاهرة .

رقم الإيداع : ١٩٩٣/١٠٦٩٣

I.S.B.N. 977 - 00 - 6212 - X

مقدمة

لاشك أن الخدام يحتاجون باستمرار إلى محاضرات عن روحانية الخدمة، لئلا يظنوا أن الخدمة هى مجرد تدريس ومعلومات ...

والكتاب الذى بين يديك هو بعض محاضرات ألقيت فى الكاتدرائية الكبرى بدير الأنبا رويس بالقاهرة فى إجتماعات حضرها الألوف من الخدام وفصول إعداد الخدمة منذ بدأنا هذه الفصول من حوالى ١٦ سنة تقريباً .

وسنوالى نشرها فى الأجزاء المقبلة من هذه السلسلة.

ونحدثك فى هذا الجزء عن الخدمة الروحية ومميزاتها المتعددة، ومركز الله فى الخدمة، والمقاييس الروحية السليمة لنجاح الخدمة، مع ما يقابلها من مقاييس خاطئة .

كما نحدثك عن الخادم الروحى القدوة والبركة، وما يتميز به من

صفات، وكيف أنه دائماً يخدم، بل أن حياته كلها خدمة، ويشعر أن الخدمة ضرورة موضوعة عليه.

وهذا الكتاب هو الكتاب السادس من الكتب التي قدمناها لخدام التربية الكنسية ولفصول إعداد الخدام، سواء ما يخصهم أو ما يتعلق بأطفالهم .

أما الكتب الخمسة السابقة فهي : الغيرة المقدسة، والتلمذة، وكيف نعامل الأطفال، وآيات للحفظ بالأبجدية، ومسابقات في الكتاب المقدس .

ونرجو بمعونة الرب أن نتابع نشر هذه السلسلة من كتب الخدمة، مصلين من أجل نجاح الخدمة في كل مكان .

نوفمبر ١٩٩٣م　　　　البابا شنوده الثالث

١- ماهى الخدمة روحياً ؟

ليست الخدمة مجرد تدريس أو تعليم ، وإلا كانت عملاً عقلياً بحتاً والخادم ليس هو مجرد مدرس ، ولا مجرد حامل معلومات ينقلها إلى آذان وأذهان تلاميذه ... فماهى الخدمة أذن .

١- الخدمة محبة

إنها محبة تملأ قلب الخادم نحو الله وملكوته ، ونحو الناس وبخاصة الصغار منهم . هو يحب الله ، ويريد أن الجميع يحبونه . وهو يحب الناس ، ويريد أن يوصلهم إلى الله . وتعبيره عن هذه المحبة التى فى قلبه ، هو الخدمة .

فالخدمة هى نتيجة طبيعية لشئ أعظم من الخدمة ، هو المحبة.

إذن الخدمة هى حب فى القلب ، فاض على هيئة خدمة ... هى شهوة فى قلب الخادم ، أن يوصل الناس إلى الله على قدر ما

يستطيع ، وبخاصة الذين اؤتمن على خدمتهم .

وإذا خلت الخدمة من الحب ، تصبح خدمة جافة ، وعملاً روتينياً ، أو عملاً آلياً خالياً من الروح ، وتتحول إلى مجرد تدريس معلومات ، أو إلى مجرد نشاط علمى أو نشاط إجتماعى ....

أما عندما نحب المخدومين كما يحبهم الله ، وعندما نحبهم كما يحبنا الله ... فحينئذ نصل إلى مثالية الخدمة ...

ومادمنا لا نستطيع أن نصل إلى هذه الدرجة من الحب .. فلنحاول أن تمتلئ قلوبنا بالحب نحو المخدومين ، على قدر ما تتسع قلوبنا للحب ... وإذا تأملنا خدمة السيد المسيح ، نجد دعامتها المحبة . فقد قيل عنه إنه " أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى " (يو ١٣ : ١) . وحتى عمل الفداء ، قيل عنه أيضاً " هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية " (يو ٣ : ١٦) .

وأنت : لاتستطيع أن تكون ذا تأثير روحى فى إنسان ، إلا إذا كانت هناك محبة بينك وبينه .

وبهذه المحبة، يثق بك ، ويقبل كلامك ، ويفتح لك قلبه ، فتعرف إحتياجاته الروحية. وبكل ذلك يمكنك أن توصله إلى الله وملكوته..

الخادم إذن فى مدارس الأحد ، هو إنسان محب ومحبوب . يحب تلاميذه ، وتلاميذه يحبونه ، ويحب الخدمة ، وتسرى محبتها فى قلبه وفى كل كيانه .

الخادم الذى يحب مخدوميه ، تكون خدمته لهم ممزوجة بالعاطفة :

إذا غاب واحد منهم ، يحزن لغيابه ، لأنه مشتاق إليه ، وقد حُرم منه في ذلك الأسبوع . وإن حضر فى فصله ٢٨ تلميذا من ثلاثين ، يكون مشتاقاً إلى الأثنين الباقيين . وعندما يفتقد أحد تلاميذه، تظهر عاطفته فى الإفتقاد .

ليست خدمته خدمة رسميات ولا شكليات ، بل محبة للّه وللناس .

وهو فى كل نشاط خدمته ، لا يركز على ذاته ، لكى يبدو أمام نفسه خادماً صالحاً وأميناً فى الخدمة ، وليس خوفاً من محاسبة الله له ، إنما يخدم حباً لمخدوميه .

وعندما يحضر درساً ، يكون كل همه أن يعطى تلاميذه كل ما عنده . لذلك يبحث عن القصص التى يسرون بسماعها . بل ويجمع كل الأفكار النافعة لهم ، وكل المعلومات المشوقة ... لا لكى يكون

الدرس ممتازاً ومثالياً ، وإنما لأن المحبة من طبيعتها إسعاد الآخرين والعمل على منفعتهم ، والتعب والبذل لأجل ذلك .

٢- الخدمة عطاء للكل

الخدمة هى طبيعة عطاء عند الخادم

يفعل ذلك بلا تغصب ، ولا يضغط على إرادته لكي يخدم . بل يفعل ذلك بتلقائية وبحكم طبيعته . مثلما الشمس من طبيعتها أن تعطى حرارة ونوراً ، وتعطى ذلك للكل بلا تمييز . ومثلما الشجرة من طبيعتها أن تعطى ظلاً أو زهراً أو ثمراً ، وللكل .. وأيضاً مثلما الينبوع من طبيعته أ، يعطى ماء ورياً ، وللكل .. هكذا الخادم من طبيعته أن يعطى حباً وتعليماً وإفتقاداً ومواساة ومعونة .. وللكل...

يعطى لكل أحد ، فى كل مناسبة ، وفى كل مكان

فى البيت فى محيط الأسرة ، وفى محيط الدراسة أو العمل ، وفى الكنيسة ، وفى النادى ، وفى كل مكان ... إنه - كسيده - "يجول يصنع خيراً " (أع ١٠ : ٣٨) ... كل انسان يقابله فى الحياة ، أو كل انسان يلقيه الله فى طريق حياته ، يحاول - ولو

بطريق غير مباشر - أن يعمل معه عملاً يقربه إلى الله بالأكثر .

الخدمة إذن هى خير متحرك

هى خير متحرك نحو الناس ، يدفعهم إلى الله ، بكل الطرق : بكلمة منفعة ، أو بركة ، أو معونة . يتحرك بها قلب الخادم نحو سائر القلوب حيثما يلتقى بهم . ذاته ليست ثمينة عنده .. وهو لا يركز عليها ، إنما يبذلها بذلاً لأجل خير الناس ...

٣- الخدمة هى غذاء روحى

غذاء يقدمه الخادم لأرواح مخدوميه ، ليشبعهم بكلمة الله الصالحة .

حسبما قال الرب " ياترى من هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده، ليعطيهم طعامهم فى حينه.." (لو١٢: ٤٢).. يعطيهم وجبة دسمة ، من الكتاب والتأملات وسير القديسين ، ومن التراتيل والألحان . بل ومن اللاهوت والعقيدة ... كل ذلك فى أسلوب روحى مبسط محبب للنفس ، ويربطهم بالله وبصفاته الجميلة .. ولعل سائلاً يسأل :

كيف يستطيع الخادم أن يقدم وجبة روحية دسمة لأولاده ، فى

ساعة واحدة كل أسبوع ؟

والجواب : هو أن التأثير الروحى لا يرتكز على طول الوقت ، وإنما على قوة الكلمة ... الكلمة الروحية الصادرة من إنسان روحى، يتكلم روح الله من فمه . أو كلمة الله القوية الفعالة ، التى شبهها الكتاب بسيف ذى حدين (عب٤: ١٢).

إن كلمة واحدة سمعها الأنبا أنطونيوس فى الكنيسة، غيرت حياته كلها، وصارت سبباً فى إيجاد حياة ملائكية فى الكنيسة كلها..

الخدمة لا يعوزها الكلام الكثير ، إنما الكلام الروحى المؤثر...

الكلام الذى يحمل قوة الروح ، القوى فى إقناعه وفى تأثيره ، والذى يدفع إلى التنفيذ . أما الخدمة التى لا تأثير لها ولا روح ، فإنها تشبه بذاراً فقدت أجنتها ... والمطلوب هو الخدمة التى تدخل إلى العمق، وتحرك القلب ، وتعمل عملاً ، وتكون لها قوة دافعة...

٤- الخدمة هى غيرة مقدسة

هى شعلة من النار داخل القلب ، تجعله ملتهباً بمحبة الناس ، والسعى إلى خلاصهم . بحيث لا يهدأ إلا إذا استطاع توصيلهم إلى الله. وكما قال المرتل فى المزمور " غيرة بيتك أكلتنى". وكما قال

القديس بولس الرسول "من يعثر وأنا لا ألتهب؟! " (٢كو١١ : ٢٩).

فالذى يحب الناس ، وتملكه الغيرة لأجل خلاص نفوسهم ، لا تتقيد خدمته بمجموعة معينة ، بل يحب الكل ، ويخدم الكل ... ويضع أمامه قول الرسول " صرت للكل كل شئ ، لأخلص على كل حال قوماً " (١كو ٩: ٢٢) .

الراعى الصالح (يو ١٠ : ١١،١٤) . وهو الذى قال " أنا أرعى غنمى واربضها ... وأطلب الضال ، واسترد المطرود ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح " (حز ٣٤ : ١٥،١٦) . وعنه قال داود النبى " الرب لى راعٍ ، فلا يعوزنى شئ " (مز ٢٣) .

وإنه تنازل من الله أن يشركنا معه فى العمل وفى الأهتمام بأولاده .

إنه قادر أن يقوم وحده بعمل الرعاية والأهتمام . ولكنه من فرط تواضعه منحنا أن نعمل معه فى هذا المجال ، تبارك اسمه ... وأستطاع بذلك القديس بولس الرسول أن يقول عن نفسه وعن زميله ابللوس : " نحن عاملان مع الله " (١كو ٣ : ٩) .

ومن هنا كانت الخدمة هى شركة مع الروح القدس

الروح القدس هو الذى يعمل لبناء الملكوت، ونحن مجرد آلات

فى يديه. يعمل فينا، ويعمل بنا، ويعمل معنا. يعطى كلمة للمتكلمين، ويعطى تأثير للسامعين . وما الخادم سوى أداة فى يد الروح ... أما إذا كانت الخدمة مجرد عمل بشرى ، لإنها باطلة بلا نفع ..

لذلك نقول عن العظة : نسمع كلمة الرب من فم (فلان) ...

لأنه حسب قول الرب " لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم " (مت ١٠ : ٢٠) . ولذلك ما أجمل ما قيل عن كل رسالة من الرسائل المقدمة إلى الكنائس السبع التى فى آسيا " من له أذنان للسمع فليسمع مايقوله الروح للكنائس " (رؤ ٢ : ٣) .

ونحن نفرح بعبارة " مايقوله الروح " .. إنها تعطى معنى للخدمة هو :

٥- الخدمة هى جسر بين الله والناس

ليتك تكون جسراً صالحاً فى خدمتك ، توصل ما يقوله الروح .. الخدمة هى جسر يوصل الناس بالله ، أو جسر تنتقل عليه عطايا الله إلى الناس .. فالخادم الروحى هو الذى يأخذ من الله ليعطى تلاميذه . لا يعطى من ذاته . لأن الرب أمر أن لا تقدم على المذبح نار غريبة ، بل النار المقدسة التى نزلت من عند الله .

الخدمة تشبه بسلم يعقوب الواصل بين السماء والأرض

هذا الذى قيل عنه إن ملائكة الله صاعدة ونازلة عليه (تك٢٨: ١٢) صاعدة بطلبات الناس ، ونازلة بالأستجابة من عند الله ... ألم يقل الرب " أسألوا تعطوا " (مت ٧ : ٧) . هنا الخدام فى خدمتهم كملائكة الله فى السماء .. يرفعون صلواتهم إلى السماء ، لكى يعطيهم الله كلمة عند إفتتاح أفواههم " (أف ٦ : ١٩) .

ومن سلم يعقوب تنزل إليهم الكلمة التى يقولونها لأولادهم وتلاميذه ... وهم فى ذلك يتشبهون بالملائكة .

٦- فالخدمة هى عمل الملائكة والرسل

هكذا قال القديس بولس الرسول عن الملائكة : " أليسوا جميعاً أرواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " (عب ١: ١٤) . وقال عن نفسه وعن سائر الرسل إن الرب " أعطانا خدمة المصالحة .. اذن نسعى كسفراء للمسيح ، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح " تصالحوا مع الله " (٢كو٥: ١٨، ٢٠).

٧- الخدمة هى دين علينا

الخدمة هى جزء من الدين الكبير الذى علينا من نحو الكنيسة التى ربتنا وعلمتنا ، وأرشدتنا إلى طريق الله ، وأعطتنا روح الخدمة . وعلينا أن نخدمها كما خدمتنا .

بل أن الخدمة دين علينا نحو الله نفسه ، الذى أحبنا كل الحب، ومنحنا أن نعرفه ، وعلمنا طرقه . وعلينا أن نحبه بالمثل ، ونظهر هذا الحب من نحو أولاده الذين تركهم وديعة فى أيدينا . ولذلك نخرج بنتيجة هامة وهى أن :

٨- الخدمة واجب

إنها واجب روحى على كل انسان -

كل انسان يحب الله ويحب الناس ، لابد أن يخدم . إنه لا يستطيع أن يرى أناساً يهلكون أمامه ، بينما يقف صامتاً مكتوف اليدين . كذلك الذى أختبر محبة الله له ، يجد دافعاً داخلياً يدفعه إلى الحديث عن محبة الله ...

المرأة السامرية لما عرفت المسيح ، ذهبت مباشرة لتخبر الناس وتحدثهم عنه قائلة " تعالوا وأنظروا " (يو ٤: ٢٩) .

فتحولت ليس فقط من خاطئة إلى تائبة ، بل بالأكثر إلى انسانة كارزة ، تحب المسيح ، وتحدث الناس عنه ... وحدث مثل هذا الأمر مع كثيرين من الذين شفاهم المسيح ، فجالوا فى كل مكان يتحدثون عنه ...

كل أنسان أذن يمكنه ان يخدم ، ولكن حسب تنوع المواهب

هناك من يخدم فى مجال الفقراء وعمل الرحمة ، وآخر يخدم المرضى ، وثالث يخدم فى حل مشاكل الناس ، ورابع يخدم فى مجال التعليم ، إن أذنت له الكنيسة بذلك وخامس يخدم عن طريق القدوة الصالحة ...

أما الذى لا يخدم ، فهو انسان مقصر فى واجب مفروض عليه فى حدود امكانياته . هو مقصر فى حق أخوته ... فإن قصرت فى الخدمة أو أمتنعت عنها ، ينبغى أن تعترف بذلك أمام أبيك الروحى. لأن تقصيرك فى الخدمة ، يدل على أن محبتك غير كاملة نحو الآخرين ونحو الله وملكوته وأولاده ...

٩- الخدمة أمانة ووزنة ومسئولية

إن الأولاد الذين تركهم الله أمانه فى أعناقنا ، فسوف يسألنا عنهم واحداً فواحداً : ماذا فعلنا فى بنيانهم الروحى . الخدمة إذن مسئولية أمام الله والكنيسة ومسئولية خطيرة ... وفى خطورتها أقول الآتى اعلموا أن الخادم منكم ، **ربما يكون المصدر الوحيد لتعليم الدين فى هذه الفترة من حياة تلاميذه .**

ربما لا يجدون فى البيت ولا فى المدرسة ولا فى المجتمع مصدراً آخر يغذيهم روحياً . وكذلك الكنيسة تركت هذه المسئولية إليكم ، لتقوموا بها ، واعتمدت عليكم فى ذلك ...

فإن لم يجد الأولاد الغذاء الروحى فى الكنيسة على أيدى خدامها، فقد تضيع حياتهم بسبب إهمال الخدام !! إذن مصير الحياة لهذا النشئ لهذا الجيل الصاعد تتوقف على مدى أمانة الخدام : هل سيشعلون قلوبهم بمحبة الله ، ويملأون عقولهم بالمعرفة الدينية السليمة ، أم سيخرجونهم فارغين ، تقف أرواحهم إلى الله من الفراغ الذى عاشوه ، لأن مدرسيهم فى التربية الكنسية لم يهتموا بهم ..

ترى هل سيقول الله للخادم " نفس تؤخذ عوضاً عن نفس ".

وذلك حين يحاسب الخادم قائلاً له " أعطني حساب وكالتك " (لو ١٦: ٢٠) . قفوا إذن بخوف أمام الله . وتذكروا بإستمرار أن الخدمة ليست مجرد نشاط ، إنما هي مسئولية . هي وزنة لابد أن نقدمها لله بربحها (مت ٢٥) .

١٠- الخدمة هي قدوة وتسليم

الخدمة هي تسليم ، أكثر من التعليم

هي تسليم الحياة لآخرين، تسليم الصورة الإلهية لهم، تسليم النموذج الحي. فالخادم هنا، هو وسيلة إيضاح للحياة الروحية السليمة بكل فضائلها ...

الخدمة إذن هي المدرس ، قبل أن تكون الدرس .

هي حياة تنتقل من شخص إلى آخر ، أو إلى آخرين

هي حالة انسان ذاق حلاوة الرب ، ويذيقه لآخرين قائلاً " ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب " (مز ٣٤ : ٨) .. أنها حياة تسرى من روح كبيرة إلى أرواح أخرى . أو هي حياة إنسان إمتلاء بالروح القدس، ففاض من أمتلائه على غيره ..

ليس الأولاد محتاجين كثيراً إلى مدرس يملأ عقولهم كلاماً ويحشوها أفكاراً ، بل هم يحتاجون إلى قلب نقى ملتصق بالله ، يوصلهم إلى الله ويشفع فيهم عنده .

هم محتاجون إلى قدوة يحاكونها ، ويرون فيها المسيحية الحقة المُنفذة عملياً .

وربما يكون هناك مدرس فى مدارس الأحد ، ليس فصيحاً كما يجب، ومعلوماته ليست كثيرة ، ولكنه يؤثر كثيراً فى الأولاد . مجرد منظره يغرس فيهم محبة الله، طريقة كلامه ، طريقة معاملاته ، أسلوبه الروحى ، ملامحه الوديعة الهادئة البشوشة ، كل ذلك يعلمهم عن الدين أكثر من الدروس .

هم يرون صورة الله فيه . فيحبون الله الذى يعمل فى حياته.

ويحبون أن يصيروا مثله ، وأن تكون حياتهم كحياته ...

إن الأولاد يحبون التقليد ، فكونوا نماذج صالحة أمامهم وأعلموا أن روحياتهم أكبر من روحياتكم ، وقلوبهم أكثر صفاء ، ومبادؤهم أسمى . هم صفحات بيضاء فى فترة طفولتهم ، لم يكتب فيها العالم بعد شيئاً رديئاً . يحتاجون إلى مستوى عالٍ لكى ينفعهم .

والسيد المسيح حينما قال : " إن لم ترجعوا وتصيروا مثل

الأطفال ، فلن تدخلوا ملكوت السموات " (مت ١٨: ٣) لم يقصد : إن لم تصغروا وتصيروا مثل الأطفال ، وإنما إن لم تكبروا (في براءتكم) وتصيروا مثل الأطفال ..

فإن لم تكونوا قدوة لهم ، فعلى الأقل لاتكونوا عثرة.

هم - ببساطتهم - يقبلون كل ما يصدر منكم ، ويصدقون ما تقولونه لهم . فليكن كلامكم هو الحق والبر الذى ينتظرون معرفته ويتوقعون أنكم تنفذونه . أما عن العثرة - فى التعليم أو الحياة - فقد قال عنها الرب " من أعثر أحد هؤلاء الصغار ... فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ، ويلقى فى البحر .. " (مت ١٨: ٦) .

وبسبب القدوة الصالحة ، يوجد ما يسمى بالخدمة الصامته

التى يقدم فيها الانسان تعليماً حتى دون أن يتكلم . يتعلم الناس من حياته دون أن يعظ . بل هو نفسه العظة ..

أما الذى لايقدم عظة بحياته ، فكلامه عن الخدمة باطل ، ولا يأتى بثمر .. إنه مجرد صنج يرن .

١١- الخدمة هى امتلاء وفيض

إنها حياة وليست كلاماً. ليست مجرد معرفة ننقلها إلى الناس.

بل الكلام الذى فيها، ينبغى أن يتحول إلى حياة. كما قال السيد المسيح له المجد " الكلام الذى أقوله لكم هو روح وحياة " (يو٦: ٦٣). فهل كلامك فى خدمتك فيه حياة تتسبب فى حياة الآخرين؟ أنظر ماذا يقول الرب : " جئت لتكون لهم حياة ، ويكون لهم أفضل" (يو١٠ : ١٠) .

فهل ثمرة خدمتك هى تغيير حياة سامعيك إلى أفضل ؟

هل أنت فى خدمتك تعطى الآخرين حياة ؟ أو تفيض عليهم من حياتك ؟

أم ينطبق عليك المثل القائل " فاقد الشئ لا يعطيه ؟!

أذن لابد أن تكون لك أولاً حياة وشركة مع المسيح وخبرة سابقة بالحياة الروحية لكى تستطيع أن تقدم الله إلى الناس .. وهناك مثل معروف فى مجال الخدمة وهو " لا يفيض إلا الذى أمتلأ .. "

١٢- إذن الخدمة هى امتلاء وفيض

إن الناقص لا يمكنه أن يفيض . بل يمتلئ أولاً ثم يفيض على غيره . أنظروا إلى الأثنى عشر رسولاً كمثالٍ وكيف أعدهم السيد المسيح للخدمة : لقد قضوا مع السيد الرب أكثر من ثلاث سنوات

يمتصون الحياة منه .. من المعلم الصالح ، أكبر وأعمق معلم عرفته الأرض ، يأخذون دروساً من قدوته ، من تعاليمه النقية الخالصة ، ومن تطبيقاته العملية ، مع وسائل إيضاح عجيبة ، تتمثل فى الآيات والعجائب ، وفى طريقة المسيح فى الخدمة .

وكانت الدروس كل يوم وكل ساعة ، إذ كانوا يعيشون مع المسيح بإستمرار ومع كل هذا قال لهم " لا تبرحوا أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعالى " (لو ٢٤: ٤٩) " ولكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم . وحينئذ تكونون لى شهوداً " (أع١: ٨) .. ولما حلّ الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين ، بدأوا خدمتهم بهذا الأمتلاء ، ففاضوا من روحهم على المسكونه كلها ...

بل كان الامتلاء من الروح القدس شرطاً لأختيار الشمامسة السبعة (أع ٦ : ٣) .

وأنتم أيها الأحباء : هل أمتلأتم من الروح القدس ، حتى يقيمكم الرب على خدمة أولاده ؟ ولعلكم تسألون : ما مقياس هذا الأمتلاء؟ على الأقل هو ظهور ثمار الروح فى حياتكم (غل ٥: ٢٢،٢٣) ولا أجسر أن أقول مواهب الروح ، فهى مستوى عالٍ ربما ليس لكل أحد ...

أنتم تدرّسون أطفالاً . والطفل فـى سن يتميز بأنـه يلتقط الحيـاة ويقلد .. وربما ينسى الأولاد كلامكم . ولكنهم لا ينسـون حيـاتكم . فهل أنتم ينبوع حياة لهم ؟ أم بلا تأثير ؟ أم ينبوع عثره ؟ حاشا ...

١٣- الخدمة حياة تنتقل من إنسان إلى آخر

ليس فقط فى مجال القدوة والتسليم.. بل أمامى مثال عجيب ورد فى الكتاب المقدس عن خدمة السبعين شيخاً الذيـن سـاعدوا موسـى النبى فى الخدمة . قال الرب لموسى " إجمع إلىّ سبعين رجـلاً من شيوخ إسرائيل.. وأقبل بهم إلى خيمة الإجتماع.. فأنزل أنـا وأتكلم معك هناك. وآخذ من الروح الذى عليك وأضـع عليهم، فيحملـون معك ثقل الشعب" (عد١١: ١٦،١٧).. صدقونى، كم وقفت متعجباً، وأتأمل هذه الآية : آخذ من الروح الذى عليك ، وأضع عليهم ...!!

١٤- الخدمة هى قوة فعّالة

هى قوة الروح العامل فى الخادم وفى المخدومين

هى قوة كلمة الله التى لا ترجع فارغة (أش ٥٥: ١١) ، كقـوة

الحياة التى فى البذرة : تلقيها فى الأرض ، فلا تكف عن العمل والنمو ، حتى تعطيك ثمراً ثلاثين وستين ومائة (مت ١٣ : ٨) .

١٥- الخدمة روح وليست رسميات

يظن البعض أن الخدمة هى مجرد الشكل الخارجى : دفتر تحضير منظم ، تتميم على الأولاد ، إفتقاد ، تحفيظ ... وينتهى الأمر عند هذا الحد ... بينما هى روح قبل كل شئ ...

هى روح الخادم التى يمتصها الأولاد منه . هى الروح التى يلقى بها الدرس ، والروح التى يتعامل بها مع الأولاد .

هى قلب الخادم قبل لسانه ..

هى حرارته القلبية ، قبل وسائله التربوية .

١٦- الخدمة واسطة روحية للنمو

ليس للأولاد فقط ، إنما للمدرس أيضاً ...

الدرس الذى لا يتأثر به الخادم شخصياً ، وتكون له فاعلية فى حياته ، لا يمكن لهذا الدرس أن يؤثر فى المخدومين ... إذن

فالدرس هو واسطة روحية له هو ، ينمو بها روحياً ، ومعه ينمو أولاده ...

والمدرس الذى يظن أن الدرس هو لتلاميذه فقط ، ليس هو خادماً بالحقيقة .. إنما الكلام الذى يقوله لهم ، ينبغى أن يلتزم به هو أيضاً . وهم يرون هذا الكلام منفذاً فى حياته .

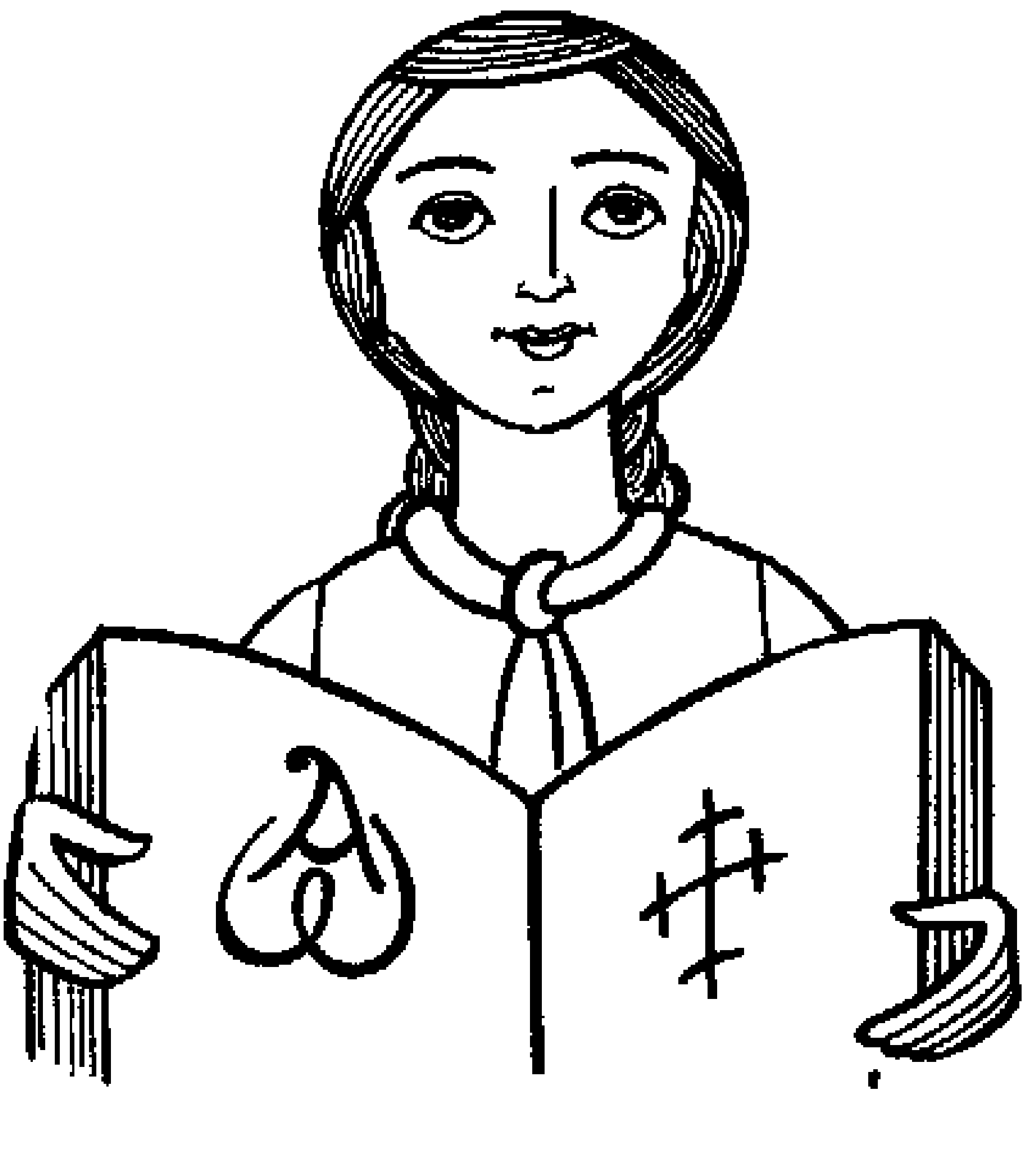

٢ـ مركز الله في الخدمة

ما أكثر الكلام الذى يمكن أن يقال عن الخدمة . ولكن من أهم ما يقال هو مركز الله فى الخدمة: الله الذى هو سبب الخدمة، وهو الداعى لها، وهو العامل فيها، وهو غايتها وهدفها .

نقول ذلك ، لأن كثيراً من الخدام يتحدثون فى موضوعات عديدة، ما عدا الله! لا ترى الله فى كلماتهم. ولا يدخلون الله فى قلبك، ولا يدخلونه فى حبك، ولا فى فكرك ولا فى حياتك ...!

كلامهم مجرد معلومات ، تزيدك معرفة، ولكن ليس فى الإلهيات، وليس عن الله... ربما عن الفضائل، عن التاريخ، عن مشاهير الشخصيات، عن العقيدة، عن الطقس، دون أن يبدو الله واضحاً فى كل هذا...! وهنا نود أن نبدى بضعة ملاحظات منها :

١ـ إن الخدمة هى تواضع من الله

فالله يستطيع بلاشك أن يعمل العمل كله وحده. يستطيع أن يحول كل العالم إلى قديسين. يستطيع أن يدبر كل أمور الخدمة

بدونك وبدونى، وبغير إحتياج إلى أحد. يمكنه بروحه القدوس أن يغير القلوب، وأن يقود الخاطئ إلى التوبة ...

ولكنه من تواضعه ، أراد أن يشركنا معه فى عمله .

أدخلنا فى شركة الروح القدس، لكى يعمل بنا، ويعمل معنا، ويعمل فينا، ويعطينا نصيباً معه فى الخدمة، نسير فيها مع روح الرب، هو يعمل كل شئ، وينسبه إلينا ...!

هل بعد هذا ننسى الله فى الخدمة ؟ أهذا يليق ؟!

بل أعجب من هذا أن إنساناً يتخذ الخدمة ليبنى نفسه !

ينحرف بالخدمة ، فتحل الذات محل الله! يريد أن يبنى بها مركزاً له. وشهرة وسمعة وسلطة! ويكون له مذهباً فكرياً، ومجموعة خاصة... وربما بهذا تدخل الخدمة فى نزاعات وانقسامات. ويوجد بولس وأبولس. وتقف الذات فى محيط الخدمة ليقول (الخادم): ما مركزى فى الخدمة؟ وما حقوقى وكرامتى؟... وهكذا يدور الجهد كله حول الذات، ويختفى إسم الله ...! بينما الله هو الأصل ...

٢- الله هو الذى يدعو إلى الخدمة

لقد قال السيد المسيح لتلاميذه "لستم أنتم اخترتمونى. بل أنا

اخترتكم، واقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر" (يو ١٥: ١٦) . وهؤلاء "الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم " (رو ٨: ٢٩) .

إن الله هو الذى يدعو، وهو الذى يختار. وهو الذى يعين، " ولا يأخذ أحد هذه الكرامة بنفسه، بل المدعو من الله كما هرون" (عب٥: ٤) . سواء من جهة الكهنوت أو باقى الخدام، من جهة الإثنى عشر، كما من جهة السبعين (لو١٠: ١)، أو غير هؤلاء وأولئك. إنه يقول للآب "كما أرسلتنى إلى العالم. أرسلتهم أنا إلى العالم" (يو ١٧: ١٨) .

إذن الخدمة إرسالية، يرسلها الله، ويختار لها من يشاء .

هى عمله ، والكرم هو كرمه، وهو يقيم فيه من يشاء من الوكلاء، يعملون فى الكرم تحت إشرافه ... كيف إذن نعمل فى الخدمة. دون أن يكون الله هو الأساس فى كل شئ؟! إنه ليس فقط الذى يدعو ويختار ويرسل. وإنما أيضاً :

٣- الله هو المتكلم فى الخدمة

لا يجوز فى الخدمة أن يتكلم أحد من ذاته. حتى بلعام نسمعه يقول : "الكلام الذى يضعه الله فى فمى، به أتكلم" (عد٢٢: ٣٨) .

إذن الخادم هو شخص يتكلم بما يضعه الله فى فمه .

هو مجرد شخص يأخذ من الله، لكى يوصل للناس. وما عليه إلا أن يكون موصلاً جيداً لكلمة الله. إنه شخص ناطق بالإلهيات... إننا نقرأ كثيراً فى سفر اللاويين هذه العبارة :

وكلم الرب موسى قائلاً : كلم بنى إسرائيل وقل لهم :

(لا١: ١، ٢)، (لا٤: ١، ٢)، (لا٧: ٢٨، ٢٩)، (لا١١: ١، ٢).

وهكذا كان موسى يأخذ من فم الله، ويكلم الناس. موسى ما كان يعرف أن يتكلم. وقد سبق أن قال للرب "لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان" . فأجابه الله "أنا أكون مع فمك. وأعلمك ما تتكلم به" (خر٤: ١٠، ١٢).

وهوذا ربنا يسوع المسيح يقول لتلاميذه قولاً معزياً :

"لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم" (مت١٠: ٢٠).

ما أجمل هذا، إن الإنسان لا يتكلم من ذاته، إنما يوصل كلمة الله للناس، وليس فكره الخاص، ولا مفهومه الخاص، وإنما فكر المسيح (١كو٢: ١٥). بل هوذا بولس الرسول نفسه بكل مواهبه يطلب من أهل أفسس أن يصلوا بكل صلاة وطلبة في كل وقت من أجله... وتسأله لماذا ؟ فيقول :

" لكى يعطى لى كلام عند افتتاح فمى" (أف٦: ١٩) .

إنه يطلب أن يعطيه الله الكلام الذى يقوله ... أليس هذا درساً لنا نتعلمه من هذا القديس العظيم، أعظم كارزى المسيحية؟! فهل أنت تصلى من أجل هذا أيضاً، لكى يعطيك الله كلمة عند افتتاح فمك غير معتمد على ذكائك ومعلوماتك وخبرتك ...؟! فالله هو "المعطى كلمة للمبشرين بعظم قوة" (مز٦٨: ١١) .

فإن كنت لم تأخذ من الله، فمن الخطورة أن تتكلم .

نعم من الخطورة أن تملأ أذهان الناس بكلام بشرى، أو كما يقول الرسول "بكلام الحكمة الإنسانية المقنع" (١كو٢: ٤)، وليس بكلام الله .

اسكب نفسك إذن أمام الله قبل الخدمة، لكى يعطيك الكلمة المناسبة النافعة للناس. الله إذن هو الذى يدعو ويرسل وهو الذى يعطى الكلمة. وماذا يعطى أيضاً ؟

٤- الله هو الذى يعطى القوة والتأثير

لقد أمر السيد المسيح تلاميذه ألا يبرحوا أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعالى (لو٢٤: ٤٩). وماذا كانت تلك القوة؟ لقد قال لهم "ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم، وحينئذ تكونون

لى شهوداً " (أع١: ٨). وفعلاً لم يخدموا إلا بهذه القوة التى أخذوها من الروح القدس ...

فإن كنت لم تأخذ قوة من الروح القدس، فبأى قدرة يمكنك أن تخدم؟!

إعداد الخدام

هنا ولعلنا نسأل : كيف يكون إعداد الخدام للخدمة ؟

كثيرون يعدونهم بالمناهج: مناهج تربوية، ودروس فى الكتاب وفى التاريخ، وفى العقيدة وفى الطقس، مع تداريب عملية تحت إشراف. وكل هذا نافع، ولكنه ليس كل شئ .. ولا هو قبل كل شئ. وإنما ...

لابد من الإعداد الروحى، الذى يمتلئ فيه الخادم من روح الله، ليأخذ منه ما يعطيه .

لا يأخذ منه فقط الكلام ، وإنما أيضاً القوة والروح والتأثير، كما يأخذ منه كذلك الحب العميق الذى يحب به المخدومين ويسعى به إلى خلاصهم بكل اجتهاد .

لقد قال بطرس الرسول كلمة فى يوم الخمسين. نخست القلوب.

فآمن ثلاثة آلاف من اليهود، إذ نخسوا فى قلوبهم. واعتمدوا فى ذلك اليوم (أع٢: ٤١). فكيف حدث ذلك؟ هل كلمة عادية تحدث كل هذا التأثير؟ كلا. وإنما :

كانت الكلمة تحمل قوة ، تحمل روحاً، وتحمل أيضاً لسامعيها قدرة على التنفيذ ...

هناك فرق بين إنسان يقول لك كلاماً، فتقتنع به، ومع ذلك تشعر بعجزك عن التنفيذ، وبين إنسان آخر يعطيك الإقتناع ومعه القدرة على العمل. المسألة ليست مجرد ثقافة أو لباقة أو قدرة على التخاطب. إنما روح يصل إلى السامع مع الكلام الذى يصل إلى أذنيه .

إذن تحضيرك للدرس هو تحضير نفسك روحياً ...

لكى تكون فى حالة روحية ، تملأ فيها النعمة قلبك، وتمنحك مع الكلمة قوة وتأثيراً. وتستطيع أن تحضر الله معك، يدخل إلى الفصل. وهو الذى يتكلم على لسانك، وهو الذى يعمل فى القلوب وفى الأسماع. ويشعر السامعون إن الله كان معهم أثناء الكلمة. ويقولون: حقاً إن هذه الكلمة مملوءة من روح الله... كنا نشعر أثناءها أن روح الله يحرك قلوبنا. ويشعل إحساساتنا ومشاعرنا.

الخادم الحقيقى هو إنسان حامل الله (ثيؤفورس) :

مثل لقب القديس أغناطيوس الأنطاكى. إنه يحمل الله معه أينما سار. وينقله إلى الناس، إنه إنسان عاش مع الله. وذاق حلاوة العشرة مع الله. وهو يقدم هذه المذاقة إلى الناس. ويقول لهم "ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب" (مز ٣٤: ٨) .

لذلك نقول إن هناك فرقاً بين الخدمة والتدريس ...

التدريس هو توصيل المعلومات إلى العقول من شخص تربوى خبير بطرق التعليم . أما الخدمة فى توصيل الناس إلى الله عن طريق شخص روحى لا يعطيهم مجرد معلومات، إنما يعطيهم روحاً، ويعطيهم حباً لله ولملكوته .

عندنا فى مدارس الأحد مدرسون كثيرون ليسوا خداماً .

عندنا كثيرون يقرأون الكتب، ويمتلئون بالمعلومات. ولهم قدرة على تفهيم الآخرين هذه المعلومات. ولكن هل هذه هى الخدمة؟! إن هذا تعليم وليس خدمة... أما الخدمة فهى روح ينتقل إلى السامعين فيشعلهم بمحبة الله. وهكذا يكون الخادم: يوصل الروح والحب، وليس مجرد الكلام .

إنه شخص يحب الناس : وينقل إليهم محبة الله .

إنه ثابت فـي اللـه . وبالتـالى ثابت فـى المحبـة، لأن اللـه محبـة (١يو٤: ١٦). والله يدرب خدامـه علـى الحب، لأن الحب عنصـر لازم للخدمة، بدونه تصبح الخدمة مجرد نشـاط. والمحبـة التـى فـى القلب هى التى تخدم . ولا تستريح حتى توصل كل نفس إلـى قلـب الله.

إن كنت لم تصل إلى هذه المحبـة، فـأنت لـم يتـم إعدادك بعد للخدمة .

ولكن أية محبة ؟ نجيب : تحـب النـاس كـل الحـب، كمـا يحبهـم الله. تحبهم لأنهم أخوتك، ولأنهم أولاد الله. تحـب خـلاص أنفسـهم، وتحب ارواحهم لكى توصلها إلى الله. تحب الكنيسة التي هـى جسده وتحب الملكوت الذى هو متعة الناس بالله. ومن كـل قلبـك تريـد أن الجميع يحبون الله، لأنه هو قد أحبهم أولاً (١يو٤: ١٩) .

الخدمة ليست مجرد معرفة تنتقل من عقـل إلـى عقـل، إنمـا هـو روح وحياة يمتصها المخدوم من الخادم ... من خادم يحل الله فيـه، وينتقل حبه إلـى السـامع، فيشـعر بنفس الحلـول ومسـكين هـو ذلـك الخادم البعيد عن اللـه، أى فـراغ يقدمـه لسـامعيه؟ وكيـف يقـدم اللـه للناس وهو لم يختبره ؟!

وما أجمل المثل القائل : فاقد الشئ لا يعطيه .

ونود هنا أن نقدم مثالاً من سفر الرؤيا يوضح علاقة الرب بالكنيسة وبالخدام .

مثال المنائر والكواكب

قال القديس يوحنا الرائى إنه أبصر الرب فى وسط سبع منائر من ذهب هى السبع الكنائس، ويمسك فى يمينه سبعة كواكب هى ملائكة الكنائس (رؤ٢: ١) (رؤ١: ٢٠) ...

والرؤيا تشرح كيف أن الله فى وسط الكنيسة "الماشى فى وسط السبع المنائر الذهبية" . أليس هو الذى قال "حيثما أجتمع إثنان أو ثلاثة بأسمي، فهناك أكون فى وسطهم " (مت١٨: ٢٠). أو ليست هذه هى صورة خيمة الإجتماع فى وسط خيام الشعب كله... والله يكون فى وسط الكنائس عاملاً ومدبراً ومقوياً، ومعطياً كلمة للمتكلمين .

إنه النور الحقيقى . وبنوره تنير هذه المنائر السبع ...

إنه الزيت المقدس الذى تتشبع به الفتيلة، فتضئ فى المسرجة. وهو عصارة الحياة التى تسرى فى الكرمة، فتنتعش وتنمو وتثمر.

وهو الذى يمسك الخدام فى يمينه، ويحركهم حيث يشاء .

يمينه هى التى تتحرك بهم، فيخيل إلى الناس أن الخدام هم الذين يتحركون ...

وفيما هم فى يمينه، يغنى كل خادم بمزمور داود قائلاً : "يمين الرب صنعت قوة. يمين الرب رفعتنى" (مز ١١٧). وإن كان الخادم فى يمين الله فلا يمكن أن يشرد أو ينحرف أو يضل. لأنه لا يتحرك من ذاته، بل يمين الله هى التى تحركه. عليك إذن أن تتأكد من وضعك .

إن لم تكن فى يمين الله، فلا يمكنك إذن أن تخدم .

إذن إعداد الخدام فى جوهره هو وضعهم فى يمين الله، فيعمل بهم، ويتحرك بهم من موضع إلى موضع، كمجرد أدوات طيعة فى يديه. كل منهم طينة ناعمة لينة، طيعة فى يدى الفخارى العظيم، يصنع بها آنية للكرامة (رو٩: ٢١) . إنها الخدمة الفعالة الناجحة .

والخادم يحاول باستمرار أن يستمد قوة من الله تتجدد فيه كل يوم.

إنه يصلى باستمرار ويقول إن العالم صعب كما ترى، يزخر بفنون متعددة من الفساد. ومن أنا حتى أقاوم المنجذبين إليها؟ أنت

يارب الذى تستطيع أن تمنح القوة لى، ولهؤلاء السامعين ، فاعطنى كلمة من عندك، واعطنى حكمة أسلك بها، واحفظنى حتى لا أكون عثرة لأحد .

أنت ترشدنى وترشدهم. تعلمنى وتعلمهم، ترعانى وترعاهم، وتقودنى وإياهم إلى المراعى الخضراء وينابيع المياه الحية .

وكما قال القديس أوغسطينوس " إننى أبدو معلماً لهم، ولكننى تلميذ معهم فى فصلك. وقد أبدو راعياً لهم، ولكننى واحد منهم فى قطيعك". بهذا تدخل الله معك إلى الخدمة، ويكون الدرس الذى تلقيه، هو درس من الله لك ولهم. درس فى محبة الله والإلتصاق به .

وهكذا يكون الله هو الدرس وهو ايضاً المدرس .

وبهذه تكون الخدمة عبارة عن نعمة من الله تعمل فى إنسان من أجل إنسان آخر، لتربط كليهما بالله. أو تكون الخدمة هى شركة الروح القدس حيث يشترك الروح مع الخادم من أجل المخدومين، وإن كانت الخدمة هكذا، فماذا يكون التكريس إذن؟!

التكريس هو نمو فى الحب، حتى يصبح القلب كله لله ، والوقت كله لله، فى مناجاته أو خدمته .

ولكن ماذا عن الذين ينهمكون فى الخدمة، حتى تنسيهم الله؟ هؤلاء لم يفهموا الخدمة بمفهومها السليم، وظنوها مجرد دروس ومعلومات!! أو مجرد أنشطة وحركة! أو هم قد انشغلوا بالوسيلة عن الهدف ! أو جعلوا ذاتهم هى محور الخدمة ، وبعدوا بالخدمة عن الله نفسه .

الخدمة ليست مجرد معرفة . فالمعرفة كانت أول حرب للإنسان .

لذلك حينما اشتهى شجرة المعرفة (تك٣) وأكل منها، فصار جاهلاً. لأنه اشتهى "معرفة الخير والشر " وليس معرفة الله، الذى نقول له فى القداس الإلهى "اعطينى فضل معرفتك " هذه المعرفة التى قال عنها ربنا يسوع المسيح لله الآب "هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ..." (يو ١٧: ٣) .

والإقتصار على المعرفة يخرج علماء وليس متدينين .

ما أكثر الذين يعرفون . ويعلمون ويشرحون، وحياتهم خالية من الله! وإن جادلتهم فى شئ يضجون ويثورون، ولا تبدو فى ملامحهم صورة الله! ما أكثر العلماء، ما أقل القديسين... ومع ذلك نحن نحب المعرفة . ولكن أية معرفة ؟ معرفة الله ومعرفة طرقه،

كما قال داود النبى للرب " علمنى طرقك، فهمنى سبلك" . وأيضاً المعرفة المتواضعة التى لا تنتفخ (١كو٨: ١). والمعرفة التى هى مجرد وسيلة تقود إلى الله. لأن كثيرين ملأوا عقولهم وعقول الناس بمعلومات ينطبق عليها قول الكتاب "الذى يزداد علماً يزداد غماً " (جا١: ١٨). فابحث معلوماتك من أى نوع هى ؟

البعض ظنوا الخدمة مجرد أخلاقيات لا روحيات .

والأخلاقيات موجودة فى الفلسفة أيضاً ، وخارج نطاق الدين، كما فى الفلسفة الرواقية مثلاً. وتجدها فى بعض الديانات البدائية، كما فى الهندوسية والبوذية. ولكن هناك فرقاً بين الأخلاقيات والروحيات. فالواحدة منها قد تكون مجرد سلوك ، بينما الأخرى فيها روح الإنسان تتعلق بروح الله. وما أكثر ما نجد إنساناً مهذباً، ولكن لا علاقة روحية بينه وبين الله .

إذن فى الخدمة هناك مستويات تتطور من مجرد المعلومات، إلى الأخلاقيات إلى الروحيات والإلهيات .

فمن أية الأنواع أنت وخدمتك؟ وهل تحرص فى خدمتك أن تربط مخدوميك بالفكر، أم بالمجتمع، أم بك أنت؟ أم تربطهم بالله. هل تعلمهم مجرد الخلق الكريم، أم تدربهم على القداسة التى بدونها

لا يعاين أحد الرب، وعلى نقاوة القلب التى يصبحون بها صورة الله، ويؤهلون لسكنى الله فيهم، بالإيمان ...؟

الفضائل لازمة، ولكنها ليست منفصلة عن الله، وكذلك المعلومات .

ما أقوله فى ذلك عن الخادم فى الكنيسة، أقوله أيضاً عن الأب والأم فى البيت. فهل التربية المنزلية هدفها إيجاد أبناء مؤدبين هادئين، أم إيجاد أبناء لله، تربطهم بالله علاقة حب، وعلاقة طاعة وإنتماء، ليكونوا مقدسين له فكراً وجسداً وروحاً. ولهم سلوك طيب نابع من محبتهم بالله وملكوته. ويعدون أنفسهم باستمرار لسكنى الله فيهم ...

هذا المنهج هو الذى يدخل فى التدريس فيعطيه روحاً .

أمثلة فى التعليم

١ - فى الكتاب المقدس هل تقدم فيه معلومات ، أم قصة الله مع الناس فى محبته ورعايته واحتماله ؟

أتحكى قصص الكتاب كما تحكى روايات من التاريخ المدنى؟ أم تركز على الله ومعاملاته . الله الذى أحب البشر قبل ان يوجدوا، ومن أجل هذا خلقهم. وفى محبته رعى وهدى وفدى. إنه عمانوئيل

الذى تفسيره "الله معنا" (متى١: ٢٣). وما الحديث عن الخلق، سوى حديث عن محبة الله الخالقة، وعن قدرة الله الفائقة، وعن حكمة الله المدبرة، التى رتبت للإنسان كل شئ قبل أن يخلقه الله...

٢ - وإن تحدثنا عن الخطية والتوبة ، أيكون حديثاً عن الله ؟

فالخطية ليست مجرد فساد وضلال، إنما هى بالأكثر انفصال عن الله، وتمرد على الله. والتوبة ليست مجرد إصلاح السيرة، إنما هى بصورتها السليمة تصالح مع الله ورجوع إلى الله، وتغيير المسيرة من محبة العالم إلى محبة الله. وهكذا تكون الدعوة إلى التوبة: لماذا تحيا بعيداً عن الله، محروماً منه؟! اقترب إذن إليه وتمتع به وبعشرته، كما يقول المرتل "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" .

٣ - وعلى هذا النحو فكيف يكون تدريس سير القديسين؟

هل هو مجرد سرد لتاريخ حياتهم وأعمالهم؟ أم كيف أعد الله هذه النفوس، حتى وصلت إلى ذلك المستوى العالى؟ وكيف قواها وحفظها؟ وكيف أحبوه هم من كل القلب وظهرت هذه المحبة فى حياتهم.

هل قصة القديس هى قصة حياته، أم هى حكاية الله داخل هذا الإنسان ؟

أو هى قصة عمل اللـه فيـه، ومحبـة اللـه لـه، ومحبتـه هـو للـه. وكما لخـص بولس الرسـول تـاريخ حياتـه بقولـه "لأحيـا لا أنـا، بـل المسيح يحيـا فـىّ" (غل ٢: ٢٠) . أنستطيع إذن أن نحكـى سـيرة القديسين بدون حياة الله فيهم؟! بدون المواهب التى من الله، وقيـادة الله لهم فى موكب نصرته (٢كو٢: ١٤). وقصة الحب الإلهى الذى أغناهم عن محبة الأقرباء والأصدقاء والمعـارف. وكمـا قـال الشـيخ الروحانى "محبة الله غربتنى عن البشر والبشريات " .

٤ – والنعيم الأبدى : هل نصفه بعيداً عن البشرية ؟!

هل هو مجرد سماء، ومجرد نعم وملكوت، وأورشليم السـمائية؟ وهل هو جنة؟ أم النعيم السمائى هو التمتع بالله نفسـه، هـو العشـرة الدائمة مع الله ومع القديسين الذين أحبـوه هـو تحقيـق لقولـه الإلهـى "حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً " (يو١٤: ٣) إنه "سكنى الله مع الناس" (رؤ٢١: ٣) .

٥–وبنفس الأسلوب يكون تدريس اللاهوت والعقائد والطقوس

فلا تكون مجرد معلومات عقلية جافة، إنمـا تكـون حديثـاً ممتعـاً عن الله، يشعر فيه سـامعوك أنـك "نـاطق بالإلهيـات" باسلوب شيق ممتع يعمق محبتهم لله .

٣- التواضع فى الخدمة

المفروض فى الخادم أن يتصف بصفات روحية ولعل فى مقدمتها التواضع ومن أهمية هذه الصفة أن السيد المسيح قال لتلاميذه: " تعلموا منى فانى وديع ومتواضع القلب " (مت ١١:٢٩).

كان يمكن أن يركز على فضائل كثيرة تتمثل فى شخصه القدوس ولكنه ركز على التواضع والوداعة ذلك لأن الذى يخدم كثيراً ما يحارب بالكبرياء أوالعظمة اذ يجد أنه قد إنتقل من صفوف المخدومين إلى مصاف الخدام .

وانه أصبح من الأشخاص المهمين فى الكنيسة ومن الاشخاص الذين يؤخذ رأيهم فى سيامة كاهن جديد للكنيسة بل ربما يكون هو أحد المرشحين للكهنوت لذلك نريد أن نقدم بعض ملاحظات فى هذا الموضوع

١- لا يجوز أن ينسى الخادم أنه خادم :

إنـــه خـادم

حسن هذا اللقب أنه خادم وليس سيداً!

ولم نعطه لقب كارز، أو معلم، أو مدرس ...

وظيفتـه أن يخدم لا أن يسيطر أو يتكبر فالكبرياء ليست مـن صفات الخادم والعجيب أن السيد المسيح نفسه لقب نفسه بلقب خادم. وعلى الرغم من أنه ملك الملوك ورب الأرباب (رؤ١٩:١٦) إلا أنه انحنى وغسل أرجل التلاميذ لكى يعطيهم مثالاً(يو١٣:٥،١٥) بل قال أيضاً

" أن ابن الانسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت٢٠:٢٨)

ولقب خادم قد تلقب به الملائكة أيضاً فقيل عنهم فى رسالة العبرانين " أليس جميعهم أرواحاً خادمة، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين ان يرثوا الخلاص" (عب١:١٤) وقيل فى المزمور " الذى خلق ملائكته أرواحا، وخدامه ناراً تلتهب" (مز١٠٤: ٤) .

وكما لقب الملائكة بأنهم خدام ، كذلك الرسل أيضاً:

يقول القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زميله أبلوس "من

هو بولس ومن هو أبلوس؟ بل خدامان أنتم بواسطتهما" (١كو٣: ٥) ويقول من مساعده تيخيكس "يعرفكم بكل شيء تيخيكس الاخ الحبيب والخادم الأمين في الرب" (اف٦:٢١) ويقول عن أبفراس "الذى هو خادم أمين للمسيح لأجلكم" (كو١:٧) وقال عن القديس مرقس الرسول " إنه نافع لى للخدمة " (٢تى ٤: ١١) . وقال بصفة عامة "كفايتنا من الله، الذى جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد " (٢كو٥: ١٨، ٢٠). وقال إن الله أعطانا خدمة المصالحة.... نطلب من المسيح تصالحوا مع الله " (٢كو ١٨: ٢٠) ...

والآباء الرسل عند اختيار الشمامسة السبعة ، قالوا " أما نحن فنعكف على الصلاة وخدمة الكلمة " (أع٦: ٤) .

آباؤنا الرسل كانت لهم خدمة الكلمة، وخدمة المصالحة . والآباء الكهنة عموماً هم خدام المذبح وكلمة شماس معناها خادم.

والكاهن الذى يستلم الذبيحة يسمى فى الطقس (الكاهن الخديم) حتى الأرملة التى كانت تخدم فى الكنيسة أشترط فيها الرسول أن تكون مشهوداً لها فى أعمال صالحة أضافت الغرباء غسلت أرجل القديسين" (١تى ٥:١٠) والعناية بالفقراء نسميها الخدمة الاجتماعية.

وحتى إجتماع مدرسى التربية الكنسية نسميه إجتماع الخدام .

فمادمت يا أخى خادماً أسلك فى أتضاع كخادم ولا يرتفع قلبك من الداخل. إفهم الكلمة فى جوهر معناها، ولا تجعلها تفقد حقيقتها ومدلولها وكان القديس أوغسطينوس يصلى من أجل رعيته قائلاً "أطلب إليك يارب من أجل سادتى عبيدك ...".

إن كنت خادماً فيجب أن تتصف بالطاعة ...

طاعة لله وطاعة لرؤسائك فى الخدمة ومدبريك.

بعض خدام التربية الكنسية يتحدون الاب الكاهن فلا يحترمونه ولا يطيعونه ومع ذلك يقولون إنهم خدام! ونفس الوضع نقوله عن الكاهن الذى لا يطيع أسقفه !! ونقوله عن أعضاء مجلس الكنيسة الذين ينفردون بالعمل دون مشورة رئاستهم الكنسية!!

لا تظن أنك إحد قادة العمل الرعوى أو التعليمى فى الكنيسة .

بل تذكر باستمرار أنك خادم وأسلك كما يليق بخادم واحذر أن تفقد تواضعك لانه كما يقول الكتاب " قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦: ١٨)

٢- من الأمور الأخرى التى تجلب التواضع فى الخدمة :

التلمذة

يظن بعض الخدام أنهم لما أصبحوا خداماً أنتهى بالنسبة إليهم عصر التلمذة وهذا فهم خاطىء .

إنما لكى تحتفظ بتواضعك إحتفظ باستمرار بتلمذتك .

كل المسيحيين فى العصر الرسولى كانوا يدعون تلاميذاً والسيد الرب لماأرسل الاحد عشر للكرازة قال لهم " أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم" (مت ٢٨:١٩) وفى أنتشار الكرازة قيل "وكانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً " (اع ٦: ٧) .

إذن استمر تلميذاً للرب وتلميذاً للكنيسة ولا يكبر قلبك.

وان شعرت أنك صرت معلماً وأصبحت فوق مستوى التلمذة أعرف جيداً أنك بدأت تسقط فى الكبرياء .

أتذكر أننا حينما كنا خداماً فى مدارس الاحد فى كنيسة الانبا أنطونيوس منذ حوالى ٤٥ سنة كان كل خادم يجلس كمستمع أو كتلميذ فى أربعة اجتماعات كل أسبوع: فى أجتماع الاسرة وفى أجتماع الخدام واجتماع الشباب وفى الفصل الكبير الذى كان يبدأ فى السابعة والربع مساء، بعد أنتهاء التدريس فى باقى الفصول.

وباستمرار كان الخدام يتعلمون من غيرهم فيستمرون فى تواضعهم.

قل لنفسك أنا باستمرار مازلت أتعلم ومحتاج أن أعرف .

وإن عشت فى حياة التلمذة ستتخلص من مشاكل كثيرة :

ستتخلص أولاً من روح الجدل وكثرة المناقشات (المقاوحة) وتكون مستعداً أن تتقبل الرأى الآخر بروح طيبة. لأن الذين يدخل فيهم روح الجدل يسلمهم الى روح العناد وتصلب الرأى ويظنون أنهم يفهمون أكثر من الكبار . بل وقد يظنون أنهم هم الكبار .

احتفظ إذن بطفولتك الروحية حسب قول الرب :

"إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الاطفال فلن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ١٨:٣) ...

وما أكثر الأمثلة لقديسين عاشوا تلاميذ :

يشوع ظل تلميذاً لموسى طول حياته إلى أن رقد موسى فى الرب وأليشع ظل تلميذاً لإيليا إلى أن صعد إلى السماء، فودعه بعبارة يا أبى يا أبى يا مركبة أسرائيل وفرسانها (٢مل ٢:١٢) والقديس أثناسيوس الرسولى مع أنه كان بابا الاسكندرية أحتفظ بتلمذته للقديس أنطونيوس الكبير ولما كتب سيرته قال "وأنا نفسى صببت ماء على يديه " أى كان يخدمه .

كان التلاميذ قديماً يجلسون عند أقدام معلميهم .

فلا يجلسون إلى جوارهم وأمامهم بل كان المعلم يجلس على كرسي وتلاميذه جلوس على الأرض عند قدميه وعن هذا قال القديس بولس الرسول " ولدت فى طرسوس كيليكية ولكن ربيت فى هذه المدينة مؤدباً عند رجلى غمالائيل (اع ٢٢:٣) هذا هو إتضاع التلميذ أمام معلمه ويعتبر أيضاً أنه ليس فقط يعلمه بل يربيه أيضاً ويؤدبه .

ما أصعب أن خادماً يقرأ كتاباً أو كتابين فيتكبر على معلميه .

ويتكبر أيضاً على آبائه الكهنة ويفرض مشيئته على أب أعترافه فإما أن يوافق الاب على رأيه أو يعصاه !! وهكذا يصير حكيماً فى عينى نفسه الامر الذى نهانا عنه الكتاب فقال لا تكن حكيماً فى عينى نفسك وعلى فهمك لا تعتمد" (أم ٣:٧،٥) عش إذن تلميذاً متواضعاً .

والتمس المعرفة من كل مصادرها :

تتلمذ على أب أعترافك وعلى آباء الكنيسة وعلى الاجتماعات الروحية وتتلمذ على الطبيعة على زنابق الحقل وطيور السماء وتتلمذ على الكتب الموثوق بها ولا تظن مهما كبرت أنك قد

أرتفعت عن مستوى التعليم .

إن تاريخ الكنيسة يسجل لنا قصصاً عجيبة عن أتضاع القديسين فى التلمذة .

تصوروا واحداً من الآباء الكبار مثل القديس موسى الأسود يطلب كلمة منفعة من الصبى زكريا فلما يستحى الفتى منه قائلاً : "أنت عمود البرية وتطلب منى كلمة؟!" يجيبه القديس " صدقنى يا أبنى لقد عرفت من الروح الذى عليك أن عندك كلمة أنا محتاج أن أعرفها "..!

والقديس مكاريوس الكبير أخذ كلمة منفعة من راعى بقر ... وكان الآباء يلتمسون كلمة منفعة بينما كانت لهم سيرة ملائكية يشتهى الكثيرون أن يتعلموا منها.

التواضع فى التعليم

صدقونى أكثر ما يتعب كنيستنا حالياً هو عدم التواضع فى التعليم.

كل خادم يأتى له فكر جديد فى تأملاته أو من قراءاته يحاول يجعله عقيدة ويدرسه للناس وهناك نوع من الكتاب، ويروق لهم

إلغاء المفهوم السائد ليقدموا بدلاً منه مفهوماً جديداً وكأن الواحد منهم قد اكتشف ما لا تعرفه الكنيسة كلها والناس جميعاً وكأنه يعلم ما لا يعلمون .

المشكلة هى تقديم المفاهيم الشخصية وليس تعليم الكنيسة وعقيدتها .

ومحاولة للجدل وللاثبات ولاقناع الناس بخطأ المفهوم السائد والبعض قد ينتقد الكنيسة. والبعض يغير ألفاظ. القداس والبعض يصرح بزيجات بعكس قوانين الكنيسة والبعض يصلى بقداسات غير مألوفة فى كنيستنا .

وكل واحد من هؤلاء يعتبر نفسه مصدراً للتعليم .

وكأنه جبهة مستقلة فى تعليمه أو جزيرة قائمة بمفردها فى المحيط وإن تدخلت الكنيسة لاصلاح الوضع، يقيم الدنيا ويقعدها، ويحيط نفسه بمجموعة خاصة من تلاميذه لتسانده. ويقف ضد الكنيسة وينادى بأن تعليمه هو السليم والكل مخطىء !

وقد تجد لكل فرع من التربية الكنسية منهجاً خاصاً .

أمين الفرع لا يعجبه المنهج العام، فيعدل فيه ويبدل، أو يضع منهجا خاصاً يرى أنه الأفضل والأصوب. وإن شاء الله سنضع

منهجاً موحداً ونأخذ فيه رأى الاباء وقادة الخدمة نرجو بعد وضعه أن يتواضع الخدام ويعملوا به ... ولا يقف لنا أحد ليقول من حقى ان أعترض... ومن حقى أن ارفض. ومن حقى أن أسير حسب فكرى والا فأين هى الديمقراطية فى الكنيسة ولا يقول له أحد أين هو التواضع؟!

الكنيسة الأولى تميزت بالفكر الواحد .

لأنها كانت كنيسة متضعة تخضع لفكر قادتها .

أما البروتستانتية التى نادت بالحرية فى التفسير والتعليم، فقد تكونت فيه مواهب متعددة زادت فيها مذاهب على المائة أما الكنيسة المحافظة التقليدية فإنها تحفظ الايمان سليماً، ولا تسمح بالمفاهيم الفردية التى تتحول إلى عقائد بل تنصح أصحابها بالإتضاع.

الخادم المتواضع أيضاً لا يستعرض معلوماته !!

إنما يقدم التعليم فى أسلوب روحى هادىء. لا يحاول أن يفلسف المعلومات ولا يمسك ببعض الكلمات ويضع أمامها النص العبرى أو اليونانى، أو بعض الترجمات الانجليزية. وقد لايكون الشعب على علم بشىء من كل هذا. وقد لا يكون كل هذا لازماً لإثبات

الفكرة التى يقدمها. وقد لا تكون المراجع التى يستخدمها سليمة وقد يتبع فى ذلك بعض المذاهب التى تسير بالمنهج العقلانى لا بالمنهج الروحى...

الخادم المتواضع ينزل إلى مستوى المخدومين ولا يبهرهم بمعلومات فوق مستواهم لا تفيدهم بشىء .

إنه لا يفكر فى ذاته والمستوى الذى يريد أن يأخذه الناس عنه. إنما ينشغل بفائدة الناس الروحية، بينما تختفى ذاته تماماً .

لذلك هو يحضر درسه أو عظته أو محاضرته ولا مانع عنده أن تكون ورقة تحضيره ظاهرة فهو لا يضيع فائدة السامعين من أجل أن يأخذوا عنه فكرة أنه يتكلم من الذاكرة....

الخادم المتواضع يهتم بتحضير درسه .

ولا يعتمد على معلوماته السابقة ولا على ذاكرته، كما يفعل بعض الخدام الكبار، ولا يحضرون ما يقولون فتبدو كلماتهم أحياناً ضعيفة لأنهم لم يتواضعوا بل وثقوا بأنفسهم وبقدراتهم أزيد مما يجب .

الخادم المتواضع يحترم عقليات السامعين مهما صغروا .

ويبذل كل جهده لكى يقدم لهم كلاماً دسماً يشبعهم .

التواضع والذات

الخادم المتواضع ينكر ذاته. يختفى لكى يظهر الرب، كما قال القديس المعمدان " ينبغى أن ذاك يزيد وأنى أنا أنقص" (يو ٣:٣٠).
أما غير المتواضع فيتخذ الخدمة ليبنى بها ذاته بطريقة خاطئة فهو يفكر كيف يرتقى فى الخدمة، وليس كيف يرتقى بالخدمة، ويفكر فى مستوى المجالات التى يتكلم فيها، وربما يسعى إلى المناصب وقد يصطدم بقيادات الكنيسة. ويتعود كيف يأمر وينهى وينتقد ...

وربما يفتخر بخدمته ومدتها ومستواها .

يقول أنا لى ٢٠ سنة فى الخدمة . أنا خرجت أجيالاً... ويكبر فى عينى نفسه ويريد أن يطاع، لا أن يطيع ويصطدم بالأنظمة الموضوعة . ويحكى قصصاً عن ماضيه ويدخله روح العظمة.

الخادم المتواضع يكون كالنسيم الهادىء

فى دخوله وخروجه لا يشعر به أحد، يكون رقيقاً دمثاً وديعاً ، لطيفاً فى معاملاته، لا يخدش شعور أحد، لا يجرح انساناً، لا يهتم بتولى مناصب فى الخدمة، يطيع فى كل ما يوكل اليه، "لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته " (مت١٢:١٩) "ولا

يرتئي فوق ما ينبغي " (رو ١٢ :٣)

احذر أن تفقدك الخدمة تواضعك .

لأن كثيرين كانوا متواضعين قبل الخدمة ثم تغيروا. أما أنت فلا تكن كذلك لانه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟! (مت ١٦ :٢٦)

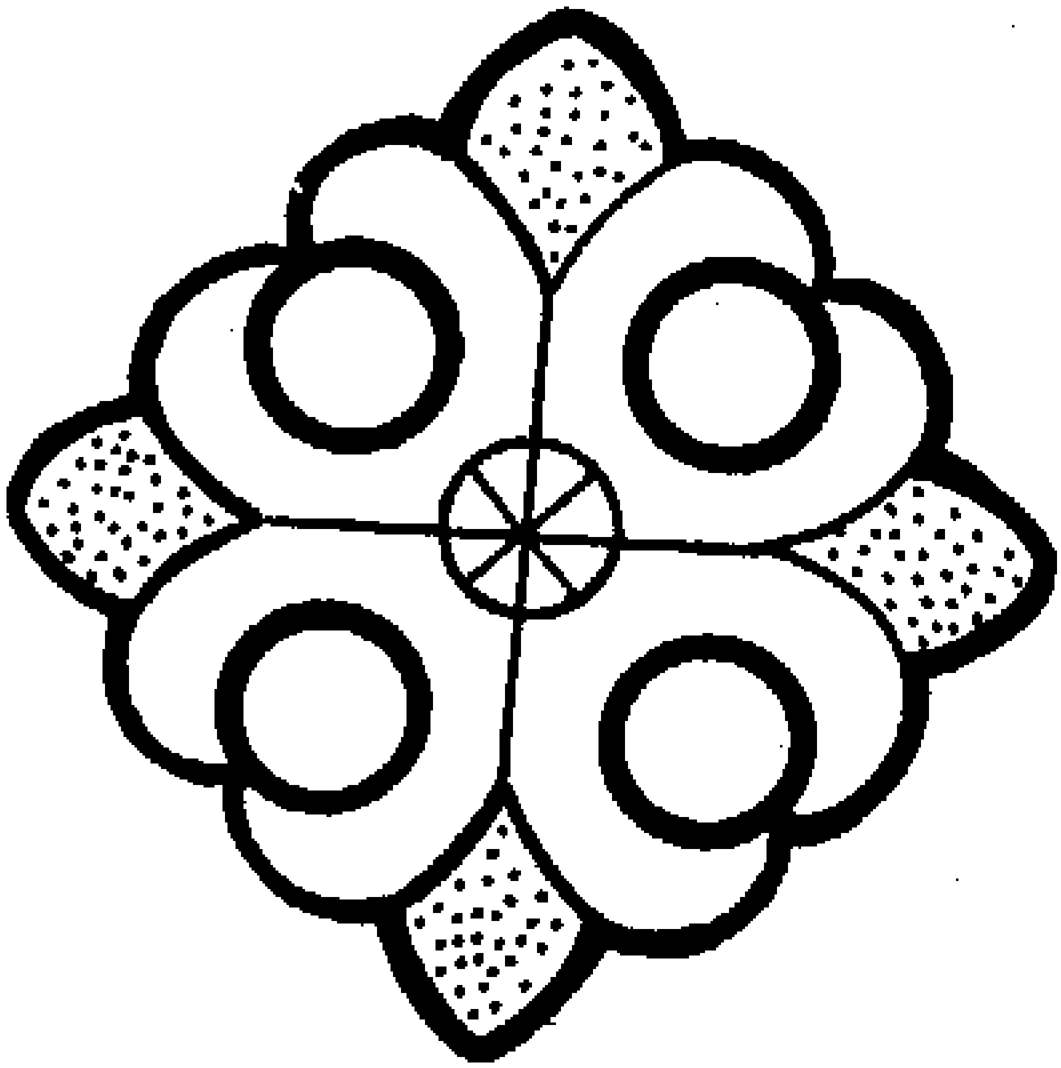

٤- مقاييس الخدمة ونجاحها

إن مقاييس الله غير مقاييس الناس. الله هو فاحص القلوب والكلى، والعارف بحقائق الأمر. هو الذى يستطيع أن يقيم خدمة كل أحد. ويعرف مدى فاعلية الخدمة أو روتينتها. حقيقة الخدمة أو مظهرها .. ولاشك أننا فى الأبدية سنجد أموراً عجيبة ما كنا نتخيلها إطلاقاً .

ربما نرى فى الأبدية خداماً ما كنا نسمع عنهم !! وربما بعض الخدام الظاهرين الآن، لا نراهم هناك !!

حقاً إن مقاييسنا فى تقييم الخدمة غير مقاييس الله .. وهنا نريد أن نفحص ما هى مقاييس الناس فى نجاح الخدمة، وما حكم الله عليها. وندرس ما هى المقاييس الخاطئة، وما هى المقاييس السليمة.

أول مقياس للناس ، هو مقدار المسئوليات .

مقدار المسئوليات

يقيس الناس الخدمة بحجم المسئوليات الملقاة على الخادم، بينما الله له مقياس مختلف .

✪ خذوا مثلاً إسطفانوس أول الشمامسة .

إنه مجرد شماس ، لم ينل رتبة أعلى من ذلك. فهل نقيس خدمته برتبته؟! كلا، بلا شك. فإن الكنيسة المقدسة تضع إسمه فى مجمع القديسين قبل جميع البطاركة. وتقاس خدمتها بعمقها. وكيف أنه كان مملوءاً من الروح القدس والحكمة والإيمان (أع ٦: ٣، ٥) . " وإذ كان مملوءاً إيماناً وقوة ، كان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب" (أع٦: ٨) .

ووقف أمام ثلاثة مجامع وأمام الذين من كيليكيا وآسيا، يحاورونه "ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به" (أع ٦: ١٠) . لهذا رأينا أنه بعد وضع اليدعليه كشماس "كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان " (أع٦: ٧) .

هكذا كانت خدمة هذا الشماس وفاعليتها، حتى أن اليهود لم يحتملوا خدمته، فقبضوا عليه ورجموه . وفى رجمه رأى السموات مفتوحة وإبن الإنسان قائماً عن يمين الله (أع ٧: ٥٦). " ورأوا

وجهه كأنه وجه ملاك" (أع٦: ٥) .

إن الإنسان فى خدمته أمام الله، يوزن مجرداً من صفاته الخارجية وظائفه. فيوزن فى عمق عمله، وفى عمق قلبه، وفى قيمة خدمته .

خذوا مثالاً آخر : القديس مارأفرام السريانى :

وما قام به من جهد كبير فى الخدمة وفى مقاومة الأريوسية وفى دفاعه عن الإيمان، حتى قبل أن يرسم إغنسطساً (أى قارئاً) من يد القديس باسيليوس الكبير. هذه الرتبة التى يحصل عليها الآن عشرات الألاف من خدام مدارس الأحد، والتى كان يرى نفسه غير مستحق لها .

ولكن الأغنسطس مارآفرام كان له وزنه الجبار فى الكنيسة الجامعة، حتى أسموه "قيثارة الروح القدس" وأسموه الملفان أو المعلم، فى اشعاره وكتاباته الروحية ذات التأثير أو العمق العجيب..

أترانا نقيس خدمته برتبة أغنسطس ؟! أم بأثره البارز فى خدمة الإيمان وفى التعليم، ليس فى جيله فقط، وإنما فى أجيال عديدة وحتى الآن .

خذوا مثالاً آخر : الشماس أثناسيوس فى مجمع نيقية

المسكوني المقدس .

في ذلك الوقت كان مجرد شماس ، في أول مجمع مسكوني يظم ٣١٨ من الآباء الكبار، بطاركة وأساقفة، يمثلون كنائس العالم كله. ولكن عمله حينذاك لم يكن يقاس برتبته كشماس، وإنما بوقوفه ضد أريوس الهرطوقي، والرد على كل أدلته، في قوة وفي فهم عميق للكتاب والمعنى السليم لنصوصه ودلالاتها اللاهوتية ..

حتى أنه – وهو شماس – قام بصياغة قانون الإيمان المسيحي في مجمع نيقية، القانون الذي تؤمن به كل كنائس العالم .. هنا الخدمة لم تكن تقاس بالرتبة ، وإنما بأثرها وفاعليتها .

✪ مثال آخر هو القديس سمعان الخراز .

ماذا كانت رتبته ؟! لا كاهن ، ولا شماس ، ولا حتى أغنسطس... إنما عامل بسيط ربما لا قيمة له في المجمع، ولا وظيفة له في الكنيسة .

ولكن قيمة خدمته كانت في عمق عمله ، وعمق صلواته، وفي انقاذه الكنيسة كلها بمعجزة نقل الجبل المقطم أيام البابا إبرآم بن زرعة وفي حضوره. هنا نوعية الخدمة ، وليس علو الرتبة ...

✪ خذوا أيضاً مثال القديس الأنبا رويس .

لم يكن أسقفاً ولا قساً ولا شماساً ، ولم تكن له أية وظيفة رسمية في الكنيسة ، ولا أية خدمة معينة . ومع ذلك دعته الكنيسة من آبائها. وكانت له خدمات تظهر يد الله فيها بكل وضوح .

✪ **كذلك يمكن أن نذكر : أبراهيم الجوهرى .**

كان علمانياً ، وله وظيفة علمانية في الدولة، أى أنه لم يكن مكرساً للرب . ومع ذلك كانت له محبته العميقة للكنيسة، وخدماته التى لا يمكن أن تنسى التى قام بها من أجل عمارة الأديرة والكنائس، وفى العناية بالفقراء باسلوب يضعه في مرتبة الخدام، بل أنه يفوق الكثيرين منهم .

✪ **مثال خارج الكنيسة القبطية هو ميشيل إنجلو .**

كان فناناً . لكن خدماته في محيط الأيقونات الكنسية، سجلت له إسمه فى التاريخ وبخاصة فى كاتدرائية القديس بطرس فى الفاتيكان.

وهنا لا نسأل عن درجته الكنسية أو عن رتبته، إنما عن عمق خدمته. والناس يعرفون ميشيل أنجلو، وربما الملايين لا تعرف إسم البابا الذى عاش أنجلو فى أيامه. وإن عرفوا إسمه يقولون إنه البابا المعاصر لميشيل أنجلو..!

نقطة أخرى نذكرها في مقاييس البشر الخاطئة بالنسبة إلى الخدمة، وهي شرف وعظمة المكان .

عظمة المكان

قد ينسبون أهمية الخادم إلى أهمية وعظمة المكان الذى يخدم فيه، كأنما خدمته تستمد قدر عظمتها من المكان، وليس من الشخص، ولا من عمق ونوعية الخدمة. والواقع غير ذلك .

✪ ومن أمثلة ذلك القديس غريغوريوس النيازينزى .

ينتسب إلى بلدة نيازينزا التى صار أسقفاً لها، وربما لا يعرف أحد تحديد مكانها بالضبط ، غير أنها كانت إحدى مدن قيصارية كبادوكية التى تتبع للقديس باسيليوس الكبير .

غير أن القديس غريغوريوس لم يستمد عظمته وشهرته من عظمة المدينة التى يخدمها، وإنما من شخصيته اللاهوتية ومحاضراته العميقة التى ألقاها عن الثالوث القدوس ، حتى أن الكنيسة منحته لقب "الناطق بالإلهيات" . إيبارشيته لم تمنحه الشهرة، إنما هو الذى منح الشهرة لبلدة نيازينزا المجهولة بالنسبة إلى الكثيرين.

✪ **مثله أيضاً القديس أغريغوريوس أسقف نيصص .**

وهو أخو القديس باسيليوس الكبير . وقد رسمه أخوه على نيصص، التى لا يعرف الكثيرون مكانها. ولكنها ضمن إيبارشية قيصارية كبادوكية. هى بلدة غير مشهورة، الذى سجل إسمها فى التاريخ هو أسقفها القديس غريغوريوس، الذى كتبه كثيراً ضد الأريوسيين وله تأملات كثيرة، وكتاب عن التطويبات .

لا يقل أحد إذن أن خدمتى فقدت قيمتها لأنها فى بلدة صغيرة أو فى قرية!! ولو إننى خدمت فى مدينة كبيرة، لكان لى شأن آخر!!

✪ **إن السيد المسيح ولد فى قرية صغيرة هى بيت لحم "الصغرى فى يهوذا" (مت ٢: ٦) .**

وانتسب إلى مدينة الناصرة ، التى كان يعجب البعض هل يخرج منها شئ صالح!! (يو ١: ٤٦). ولكنه مع ذلك أعطى الناصرة شهرة فى التاريخ. وكان يدعى "يسوع الناصرى" (مت ٢٦: ٧١). وفى نفس الوقت أيضاً منح شهرة لقرية بيت لحم، فصارت مزاراً مقدساً...

✪ خدّام آخرون يقيسون (عظمتهم) فى الخدمة بطول مدة هذه الخدمة. ويعتبرون هذا نوط تقدير للخدمة !

طول مُدة الخدمة

البعض يقيس قوة الخادم بطول مدة خدمته. ومن هنا جاء تعبير (الخدام القدامى). وفى الحقيقة ليس هذا مقياساً سليماً. فقد يوجد خدّام لهم مدة أقصر من غيرهم، ولكنها أكثر إنتاجاً وأعظم أثراً .

✪ **يوحنا المعمدان : خدم سنة أو سنتين بالأكثر .**

ولكنه استطاع خلال تلك الفترة القصيرة أن يهيئ الطريق أمام الرب، ويعدّ له شعباً مستعداً ويتقدم أمام بروح إيليا وقوته (لو١: ١٧).

✪ **والسيد المسيح نفسه كانت خدمته تجسده قصيرة !**

حوالى ثلاث سنوات وثلث ، قال عنها للآب: العمل الذى أعطيته قد أكملته (يو١٧: ٤). وقال عنها أيضاً "أنا مجدتك على الأرض".. أتم الفداء، والتعليم، وقدم القدوة ، وصحح الأخطاء، وأعاد الصورة الإلهية للناس .

✪ **البابا كيرلس الرابع ، مدة حبريته أقل من ٨ سنوات .**

ومع ذلك منحته الكنيسة عن هذه الفترة لقب (أبو الإصلاح) من أجل عمق الخدمة التى قدمها .

ويعوزنا الوقت إن تكلمنا عن بعض الآباء الكهنة :

✪ **القس منسى يوحنا كاهن ملوى مثلاً :**

تنيح وعمره ٣٠ سنة . واستطاع فـى تلك الفترة أن يقدم آلاف من العظات ، وكتاب يسوع المصلوب، وطريق السماء، وتاريخ الكنيسة الذى ألفه وهو شماس. وكان له تأثير روحى واسـع النطاق على الرغم من قصر مدة خدمته .

✪ **والقس أنطونيوس باقى خادم كوينز :**

وهو أول كاهن أرسلته إلى أمريكـا سنة ١٩٧٢ . لم يخدم فـى أمريكا سـوى خمسة أشـهر. ولكن خدمتـه توجت بعبارة قالها لـه الشعب هناك: لقد عرفنا الرب يوم عرفناك ...

الخدمة إذن لا تقاس بطول مدتها، وإنما بعمقها ...

✪ **وقد يأتى إنسان إلى كنيسة كضيف ويلقى عظة .**

وتكون هذه هـى كل خدمته فى هذه الكنيسـة . وتمر سنوات طويلة، والناس لا ينسون تلك العظة وتأثيرها . بينما يخدم غيره فى نفس الكنيسة سنوات طويلة يلقون خلالها عظات عديدة، ولكن ليـس بنفس التأثير .

إن يوماً واحداً يخدمه بولس الرسول، لهو أعظم وأعمق من

سنوات طويلة يخدمها آخرون .

✪ مقياس آخر يقيس به البعض نجاح الخدمة وهو :

كـثرة المخدومين

كما تتميز عظة قائد فى جيش، بأنه قائد مائة أو قائد ألف. وهكذا كلما زاد عدد المخدومين، يعتبرون هذا دليلاً على نجاحها ونموها. وقد يكون الأمر كذلك فعلاً، ولكنه ليس مقياساً ثابتاً بصفة مطلقة ...

فليس نجاح الخدمة فى كثرة عدد المخدومين، وإنما فى الذين غيرت الخدمة حياتهم، وأوصلتهم إلى الله ...

✪ السيد المسيح كان يعظ الآلاف كما فى الخدمة الروحية التى سبقت معجزة الخمس خبزات والسمكتين. وكانت له خدمة أخرى مركزة فى الإثنى عشر، وكانوا أهم من تلك الآلاف بكثير، بل هم الذين جذبوا إلى الإيمان مدناً وأقطاراً فيما بعد .

وجميل قول الكتاب فى نجاح خدمة هؤلاء :

" وكان الرب فى كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون " (أع٢: ٤٧) .

إذن ليس نجاح الخدمة فى عدد الذين يسمعون، إنما فى عدد الذين يقبلون الكلمة بفرح، وتثمر فيهم، وتقودهم إلى التوبة، وإلى حياة القداسة والكمال .

ومن هنا كنا ننادى بفصول مدارس الأحد المحدودة العدد، التى يستطيع فيها المدرس أن يهتم بكل تلميذ ، ويخدمه خدمة حقيقية ناجحة، ويفتقده ويرعاه .

وبنفس الوضع عملنا على تقسيم الإيبارشيات إلى مناطق محدودة يستطيع الأسقف أن يرعاها ويزورها، ويهتم بكل مدينة فيها وكل قرية، ولا تضيع تلك المدن والقرى وسط المسئوليات الضخمة التى كان يكلف فيها المطران برعاية بضع محافظات !!

وقد ارانا الرب بأمثلة عديدة أهمها العناية بالفرد الواحد فى الخدمة، كما فعل مع زكا (لو١٩) وأيضاً مع نيقوديموس (يو٣) ومع المولود أعمى (يو٩) وغيرهم ...

✪ **البعض يضع مقياساً آخر لنجاح الخدمة هو :**

كثرة الإنتاج

كالقيام بعدد كبير من الخدمات ، أو إنشاء عدد كبير من فروع

الخدمة، أو من الأنشطة ...

وقد يتوه في كل ذلك ، ولا يحسن الإشراف على كل تلك الأنشطة، أو يضطر إلى تعيين عدد من الخدام بغير إعداد. وتفقد الخدمة روحياتها بكثرة إتساعها وقلة عمقها ...

إذن ما هى المقاييس السليمة لتقييم الخدمة ؟

وما هى عناصر القوة فى الخدمة ؟

عناصر القوة فى الخدمة

أهمية الخدمة هى ما فيها من قوة ومن عمق، وما فيها من حب وبذل. ما فيها من تأثير، ومن تغيير للناس. وليس الأمر مسألة ضخامة المسئوليات، أو شهرة المكان، أو كثرة المخدومين، أو طول مدة الخدمة، وسائر هذه الأمور الجانبية ...

وسنحاول هنا أن نتناول بالتفصيل بعض نواحى القوة فى الخدمة، فنذكر منها :

الكلمة المؤثرة

ظهرت هذه فى خدمة السيد المسيح له المجد :

✪ انظروا دعوة متى الإنجيلى مثلاً: يقول الكتاب "وفيما هو مجتاز رأى لاوى بن حلفى جالساً عند مكان الجباية، فقال له اتبعنى. فقام وتبعه" (مر٢: ١٤) (مت٩: ٩) ... إنها مجرد كلمة قالها لإنسان جالساً فى موضع مسئولية مالية. قالها الرب له، فترك مسئوليته ، وقام وتبعه ، دون أن يسأل إلى أين ؟

✪ **ونفس قوة الكلمة وتأثيرها فى الدعوة ... ظهرت فى دعوة الرسل الأربعة الصيادين .**

يسجل ذلك القديس مرقس الإنجيلى فيقول " وفيما هو يمشى عند بحر الجليل، أبصر سمعان وإندراوس أخاه يلقيان شبكة فى البحر - فإنهما كانا صيادين - فقال لهما يسوع هلمّ ورائى فأجعلكما تصيران صيادى الناس. فللوقت تركا شباكهما وتبعاه. ثم اجتاز من هناك قليلاً، فرأى يعقوب بن زبدى ويوحنا أخاه ، وهما فى السفينة يصلحان الشباك، فدعاهما للوقت، فتركا أباهما زبدى فى السفينة مع الأجراء، وذهبا وراءه " (مر١: ١٦ – ٢٠) .

بتأثير قوة الدعوة ، تركوا كل شئ، وللوقت ...

أى بدون تردد ، وبدون إبطاء، وبدون جدال، تركوا السفينة والشباك والأب ، ومصدر الرزق. بل قال بطرس للرب ملخصاً كل ذلك " .. تركنا كل شئ وتبعناك" (مت ١٩: ٢٧).. ذلك لأن كلمة الدعوة كانت لها قوتها، فحدثت الإستجابة لها بسرعة، لأنها اخترقت القلب والفكر والإرادة .

✪ وكما كانت قوة الكلمة فى الدعوة ، كانت للسيد أيضاً قوته فى الوعظ والتعليم .

لما أكمل عظته على الجبل، قيل عنه "بهتت الجموع من تعليمه، لأنه كان يكلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة " (مت ٧: ٢٨،٢٩). وقيلت نفس العبارة عن تعليمه فى كفر ناحوم "فبهتوا من تعليمه، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة " (مر ١: ٢٢) .

✪ وكانت له قوة الكلمة فى إقناعه من يحاورهم :

إنه المنطق العجيب والدليل القوى الذى شرح به للكتبة والفريسيين جواز فعل الخير فى السبوت (مت ١٢: ١-١٢). وكذلك فى موضوع القيامة، قيل إنه "أبكم الصدوقيين" (مت٢٢: ٣٤). وبعد ردوده القوية على الناموسيين والفريسيين، قيل "فلم

يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة " (مت٢٢: ٤٦) .

✪ والكلمة كان لها تأثيرها أيضاً في عاطفيتها وحبها :

مثل قوله لزكا العشار "أسرع وانزل لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك" (لو١٩: ٥) ... كلمة في عمق محبتها وتواضعها قادت ذلك الرجل الخاطئ إلى التوبة، فقال "ها أنا يارب اعطي نصف أموالي للمساكين. وإن كنت قد وشيت بأحد، أرد أربعة أضعاف" ... وهكذا بكلمة من الرب لها قوتها، حدث خلاص لذلك البيت .

✪إن قوة الكلمة المؤثرة نراها أيضاً في خدمة آبائنا الرسل .

عظة واحدة ألقاها بطرس الرسول في يوم الخمسين، كانت نتيجتها أن اليهود نخسوا في قلوبهم، وانضم إلى الإيمان ثلاثة آلاف نفس، واعتمدوا جميعهم (أع٢: ٣٧- ٤١). وقبلوا ذلك بفرح .

وقوة الكلمة تظهر في خدمة بولس الرسول أيضاً. حتى أنه وهو أسير يُحاكم أمام فيلكس الوالي، "بينما يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة، ارتعب فيلكس الوالي" (أع٢٤: ٢٥). وفي محاكمته أمام أغريباس الملك، قال له ذلك الملك "بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً " (أع ٢٦: ٢٨) .

فــوة البــذل

البعض قد يستريح للخدمة السهلة التى لا تعب فيها ولا صعوبة. ولكن قوة الخدمة تظهر فى صعوبتها واحتمال هذه الصعوبة، بكل بذل وفرح ...

مثال ذلك خدمة القديس بولس الرسول "تعب وكد، فى أسهار مراراً كثيرة، فى جوع وعطش ... فى برد وعرى ... بأسفار مراراً كثيرة، بأخطار سيول، بأخطار لصوص، بأخطار فى المدينة، بأخطار فى البرية، بأخطار فى البحر ..." (٢كو١١: ٢٧، ٢٦) "فى صبر كثير، فى شدائد فى ضرورات فى ضيقات، فى ضربات فى سجون، فى اضطرابات فى أتعاب، فى أسهار فى أصوام" (٢كو٦: ٤،٥).

ومع ذلك يقول : "كحزانى ونحن دائماً فرحون" (٢كو٦: ١٠).

الخدمة الروحية تعب من أجل الرب وملكوته، وهى جهاد وتعب من أجل خلاص النفس. وقيل عنها:

" كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه" (١كو٣: ٨) .

وهكذا كانت خدمة الآباء الرسل. بدأت وسط اضطهادات

الرومان، ودسائس اليهـود، ومعارضـة وشكوك الفلاسفة الوثنيين، وعذابات الإستشهاد، وفى أماكن جديدة، لا مؤمنون فيها ولا كنـائس ولا أية إمكانيات ... وبلا كيس ولا مزود .

وكمثال لذلك : خدمة القديس مارمرقس الرسول :

دخل الأسكندرية ، فقيراً بحذاء ممزق، حيث لا مسيحيون هناك، ولا كنـائس ، بـل توجـد ديانـات عديـدة: منهـا آلهـة الرومـان بقيـادة جوبتر، وآلهـة اليونـان بقيـادة زيـوس، والعبـادات الفرعونيـة بقيـادة آمـون ورع، وكذلـك اليهوديـة فـى إثنيـن من أحيـاء الأسـكندرية . ومكتبة الأسكندرية الحافلة بمئات الآلاف من كتب الوثنيين.. وعدم وجود أية إمكانيات على الإطلاق . ولكن مارمرقس صـبر وجـاهد، حتى حول الجميع إلى مسيحيين .

ماذا نقول أيضاً عن الذين بشروا فى بلاد أهلها من أكلة لحوم البشر ؟!

إن الخدمة التى يبذل فيها الإنسان ويتعب، هـى الخدمـة الحقيقيـة ومقياس التعب والبذل، هو مقياس أساسى فى الخدمة ...

مثال ذلك خادم يتعب ويحتمل من أجل تهذيب تلميذ مشاكس فـى فصل، أو أم تتعب فى تربية إبن عنيد، أو كاهن يتعب فى خدمـة أو

فى رعاية الحالات الصعبة، أو فى المشاكل العائلية المعقدة .

مقياس آخر للخدمة هو عنصر العمق :

عنصر العمق

✪ أعمال عظيمة قام بها أنبياء ورسل فى خدمة. ولكن لا يوجد واحد منها يوازى طاعة أبينا إبراهيم فى ذهابه لتقديم إبنه الوحيد محرقة للرب ... (تك ٢٢) .

هنا عمق معين يعطى لعمله وزناً خاصاً وقيمة ليست لأى عمل آخر. هنا إيمان وبذل، ومحبة نحو الله أكثر من محبته للإبن الوحيد إبن المواعيد ...

✪ وكثيرون قدموا عطايا مالية لبيت الله . ولكن فاقت كل هؤلاء الأرملة التى ألقت الفلسين فى الصندوق. وعمق عطائها أنه كان من أعوازها (لو ٢١: ٤) .

✪ وما أكثر الذين حاربوا حروب الرب بقوة وانتصروا. ولكن فاق كل هؤلاء تقدم الصبى داود بحصاة فى مقلاعه ليحارب بها جليات الجبار الذى أخاف الجيش كله ... لقد كان فى تقدمه للمحاربة إيمان عميق بأن الحرب للرب، والله هو الذى سيدفع ذلك

الجبار إلى يديه (١صم ١٦) .

✪ إنك قد تلقى مائة درس فى مدارس الأحد. ولكن كلها لا تكون عند الله مثل مرة واحدة كنت فيها مريضاً ومرهقاً، ومع ذلك لم تستسلم لهذا العذر، وذهبت إلى الخدمة مفضلاً الخدمة على نفسك... أو أنك ذهبت لتخدم فى ايام إمتحان، وأنت محتاج إلى كل دقيقة من وقتك ... هنا للخدمة عمق خاص .

إن الله لا يقيس الخدمة بكثرتها ، وإنما بعمقها ونوعيتها. هناك مقياس آخر لعمق الخدمة هو:

الخدمة فى الخفاء

الخدمة المخفاة تكون أعمق من الخدمة الظاهرة. الخدمة الظاهرة قد ينال منها الخادم شهرة أو مديحاً. وهكذا لا تكون كلها للمخدومين أو لله كما هو الحال فى الخدمة المخفاة .

ومع ذلك فالخدمة الخفية قد تكون أقوى .

إن الناس يعجبون بالبناء الشاهق الجميل فى منظره وفى هندسته. ولا يتحدثون إطلاقاً عن الأساس القوى المخفى تحت الأرض، الذى يحمل هذا البناء كله، ويعمل عمله فى خفاء .

والناس يعجبون بلمبات الإنارة التى تبهرهم بضوئها. ولا يفكر أحد فى المولد الكهربائى الذى يغذى هذه اللمبات بالنور، والذى لولاه ما كانت تضئ. ويقيناً هو العنصر الأقوى والأساسى .

وبنفس الأسلوب قد يعجب الناس بالسيارة الفخمة فى منظرها الخارجى، أما الموتور القوى الذى يحركها فلا يفكر فيه أحد، لكنه يعمل عمله فى خفاء .

وهكذا فى الخدمة ، قد يعجب الناس بنجاحها وبمجهود الخادم فيها. ولا أحد يفكر فى الصلوات التى رُفعت من أجلها، وكانت السبب فى نجاحها... هذه الصلوات هى الخدمة الخفية القوية .

كلنا نذكر سفر لعازر الدمشقى للحصول على زوجة مؤمنة لاسحق ابن سيده إبراهيم، وكيف نجح فى مهمته، وعاد معه برفقة. ولكن من يذكر صلوات إبراهيم التى رفعت من أجل لعازر الدمشقى، وكانت السبب فى نجاحه. ولذلك قال ذلك العبد الأمين لأهل رفقة "لا تعوقونى والرب قد أنجح طريقى" (تك٢٤: ٥٦). وكيف أنجح الرب طريقه؟ كان ذلك بدعاء إبراهيم الذى قال له "إن الرب الذى سرت أمامه، يرسل ملاكه معك وينجح طريقك" (تك٢٤: ٤٠) .

حقاً إن الصلاة هى خدمة مخفاة .

وهكذا قال القديس بولس الرسول لأهل أفسس "مصلين بكل صلاة وطلبة.. لأجل جميع القديسين ولأجلى، لكى يُعطى لى كلام عند إفتتاح فمى " (أف ٦: ١٨، ١٩) .

كلام الواعظ هو الخدمة الظاهرة . أما أمثال صلاة أهل أفسس فهى خدمة مخفاة. يضاف إليها فى أيامنا ، خدمة الإفتقاد التى تأتى بسامعين يسمعون العظة ... وكذلك خدمة كل الذين يرتبون للاجتماع وينظمونه ...

الإجتماعات العامة خدمة ظاهرة . ولكن تقبل الإعترافات وقيادة الخطاة إلى التوبة هى خدمة مخفاة ...

وقد يوجد فى إحدى الكنائس كاهنان : أحدهما يعظ ويحضر الكثيرون لسماعه، وخدمته ظاهرة للكل. بينما زميله الآخر ليست له اجتماعات للوعظ. ولكنه يقضى الساعات الطويلة يستمع إلى الإعترافات ، ويقود المعترفين إلى التوبة، ويرشدهم ، ويصلى لأجلهم. وخدمته هذه عميقة الأثر جداً ... وهكذا كان القمص ميخائيل إبراهيم ...

وربما من أمثلة الخدمة المخفاة : العمل الفردى :

العمل الفردى

إن خدمة المجموعات الكبيرة لها صفة العمومية . وقد تحدث تأثيراً عاماً ، لا تتلوه متابعة ... أما الخدمة الفردية، ففيها التخصص، وفيها المتابعة . وهذا أعمق .

انتقل الآن إلى خدمة أخرى هى :

الخدمة الصامتة

واعنى بها خدمة القدوة . وهى خدمة عملية .

وليس فيه الحديث عن الفضيلة والقداسة، وإنما تقديم النموذج أو المثال العملى لها، بدون شرح أو كلام. وهى خدمة أكثر عمقاً، حتى إن كان صاحبها لا يُحسب بين الخدام. إنه ليس واعظاً، ولكنه هو نفسه العظة، يتعلم الناس من حياته لا من كلماته. وإن تكلم يتعلمون منه أسلوب الكلام الروحى ..

يذكرنى هذا النوع من الخدمة بأحد الآباء الذى لم يطلب من القديس الأنبا أنطونيوس كلمة منفعة ، وإنما قال له "يكفينى مجرد

النظر إلى وجهك يا أبى .."

ولعله من هذا النوع تنبثق خدمة أخرى هى :

خدمة البركة

كما قال الرب لأبينا إبرآم حينما دعاه "أباركك وتكون بركة" (تك١٢: ٢) .

وهكذا نجد أن يوسف الصديق كان بركة فى أرض مصر، وكان بركة من قبل فى بيت فوطيفار. وكان إيليا النبى بركة فى بيت أرملة صرفة صيدا. وكان أليشع النبى بركة فى بيت الشونمية...

النوم الرؤى

٥- الخـادم الـروحى

هناك سؤال يجول فى نفسى وفى أعماقى : أحقاً نحن خدامُ ؟

سهل أن يرتئى الواحد منا فوق ما ينبغى (رو١٢ : ٣) ويظن أنه خادم لله !! بينما الخدمة فى أعماقها الروحية لها مقاييس عالية، ربما نحن لم نصل إليها .. أو ربما نكون قد بدأنا كخدام روحيين ، ولكننا لم نحتفظ بهذا الطابع طول الطريق . فلنبحث إذن معاً : من هو الخادم ؟

الخادم الروحى هو لحن جميل فى سمع الكنيسة ، وأيقونه طاهرة يتبارك بها كل من يراها . وهو سلّم يصل إلى السماء دائماً ، يصعد عليه تلاميذه إلى فوق .

هو جسر ينقل غيره من شاطئ العالميات إلى شاطئ الروحيات، أو ينقلهم من الزمن إلى الأبدية . هو صوت الله إلى الناس . وليس صوتاً بشرياً، بل هو فم يتكلم منه الله ، ينقل إلى الناس كلمة الله.

الخادم الروحى هو نعمة ألهية أرسلت من السماء إلى الأرض.. هو زيارة من زيارات النعمة ، يفتقد بها الله بعضاً من شعبه ..

يقدم لهم مذاقة الملكوت وطعم الحياة الحقيقية .

الخادم الروحى هو إنجيل متجسد ، أو هو كنيسة متحركة

هوصورة الله أمام تلاميذه . هو نموذج للمثل العليا ، وقدوة للعمل الصالح ، ووسيلة إيضاح لكل الفضائل .

الخادم الروحى يشعر بالدوام أنه فى حضرة الله . وتكون الخدمة بالنسبة إليه كمذبح مقدس ، وعمله فيها رائحة بخور .

مهمة الخادم الروحى هى إدخال الله فى الخدمة . وهو يردد فى قلبه قول المرتل فى المزمور " إن لم يبنى الرب البيت ، فباطلاً تعب البناءون " (مز ١٢٦: ١)

الخادم الروحى له بإستمرار شعور الأنسحاق وعدم الإستحقاق

يشعر أنه فوق مستواه أن يعمل على إعداد قديسين ، وأن يهيئ للرب شعباً مبرراً (لو ١: ٧) ، مدركاً تماماً أن تخليص النفوس البشرية أمر أعلى منه . إنه عمل الله . وإن اشتراكه مع الله فى العمل ، وشركته مع الروح القدس فى بناء الملكوت وفى تطهير القلوب ، كلها أمور لا يستحقها . ولكنه على الرغم من شعوره بعدم الإستحقاق ، فلا يهرب من الخدمة ، بل يدفعه هذا الشعور إلى مزيد من الصلاة ، حيث يقول للرب بإستمرار :

هذه الخدمة يارب هى عملك وليس عملى . وأنت لابد ستعمل بى أو بغيرى . **وأنا مجرد متفرج : أتأمل عملك وأفرح وأسر** (يو٣: ٢٩) .

حقاً " ليس الغارس شيئاً ، ولا الساقى شيئاً . لكن الله الذى ينمى" (١كو٣: ٧). فأعمل يارب عملك ، وفرّح قلوب أولادك ولا تمنع عنهم نعمة روحك القدوس بسبب أخطائى او ضعفاتى أو تقصيرى.

وهكذا بلجاجته فى الطلب ، ينال الخادم نعمة من الله . وعندما تنجح الخدمة ، يعطى مجداً للرب الذى عمل العمل كله .

الخادم الروحى هو بإستمرار رجل صلاة :

بالصلاة يخدم أولاده . وبالصلاة يحل مشاكل الخدمة . وتكون الصلاة بالنسبة إليه كالنفس الداخل والخارج ، كما قال الآباء ...

بعض الخدام يظنون أن غاية الإخلاص للخدمة، هى أن يعملوا... أما الخادم الروحى فيرى أن غاية الإتقان هى أن يعمل الله .. ليس معنى هذا أن يكسل ولا يعمل !! كلا ، بل هو يعمل بكل جد وبكل بذل ، ولكن ليس هو ، بل الله الذى يعمل فيه . كما قال القديس بولس الرسول : " لكن لا أنا ، بل نعمة الله التى معى"

(١كو ١٥ : ١٠) .. وكما قال أيضاً " لكى أحيا لا أنا ، بل المسيح الذى يحيا فىّ " (غل ٢: ٢٠) .

الخادم الروحى هو شعلة متقدة بالنار :

هو غيرة ملتهبة لخلاص النفس . يقول مع داود النبى " لا أدخل إلى مسكن بيتى ، ولا أصعد على سرير فراشى ، ولا أعطى لعينى نوماً ، ولا لأجفانى نعاساً ... إلى أن أجد موضعاً للرب (فى قلب كل أحد) [مز ١٣١] .

الخادم الروحى هو رائحة المسيح الذكية (٢كو ٢ : ١٥)

يشتم منه الناس رائحة المسيح ، لأنه رسالته المقروءة من جميع الناس .. هو محرقة رائحة سرور للرب (لا ١) ، تشتعل فيهاالنار الإلهية ، نار تتقد ولا تطفأ ، حتى تحولها إلى رماد ..

الخادم الروحى هو حركة دائبة دائمة متجهة نحو الله :

أو هو حركة داخل قلب الله ، بسبب حركة إلهية داخل قلبه .. إنه يتعب دائماً لأجل راحة الآخرين . وراحته الحقيقية فى أن يوصل كل إنسان إلى قلب الله ... هو شمعة تنير لكل من هو فى مجال نورها . وقد تذوب ... حرارة ونوراً وحباً .. لكى يستضئ الناس بها، ولكى يتحقق قول الرب " أنتم نور العالم" (مت٥: ١٤).

الخادم الروحى هو انسان دائم الصراع مع الله

يجاهد مع الثالوث القدوس ، من أجل نفسه ومن أجل الناس لكى يأخذ منه وعداً لأجل المخدومين، حتى تصير أنفسهم ناجحة (٣يو٢) ومقبولة أمام الله ...

الخادم الروحى هو روح ، وليس مجرد عقل

ليس مجرد مدرس ، ولا مجرد حامل معلومات ينقلها إلى الناس .. بل هو روح كبيرة إتحدت مع الله ، وإختبرت الحياة معه، وذاقت ما أطيب الرب . وتريد أن تنقل هذه الحياة إلى غيرها.. تنقلها بالمشاعر ، بالمثال الحى ، بالقدوة الصالحة ، بالصلاة والإبتهال لأجل المخدومين .

إنه لا يلقى دروساً ، بل هو نفسه الدرس :

إنه العظة قبل أن يكون واعظاً..إنه يدرك أن تحضير الدرس أو العظة ليس مجرد تحضير المعلومات، إنما هو تحضير ذاته، لتكون صالحة لعمل الروح فيه .. يذكر بإستمرار قول الرب " من أجلهم أقدس أنا ذاتى ، لكى يكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق " (يو١٧: ١٩) ويضع أمامه العبارة التى قالها القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف " لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك. لأنك

إن فعلت ذلك تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً (تى٤: ١٦) .

الخادم الروحى لا يحتاج تلاميذه إلى إفتقاد :

لأنهم من تلقاء ذاتهم يشتهون درسه إشتهاء . وعندما يرونه فى الكنيسة ، يكونون كمن وجد غنائم كثيرة . أنهم ينتفعون من منظره ومن معاملاته ، كما ينتفعون من كلامه وربما أكثر . كما أنه يستطيع أن يربطهم بالحب برباط قوى يجذبهم بشدة إلى الله وإلى الكنيسة . إن درسه شهوة لنفوسهم ولأرواحهم ولقلوبهم ولعقولهم

الخادم الروحى يحب تلاميذه ، ويحب خلاص نفوسهم :

محبته لهم هى جزء من محبته لله وملكوته . وهو يحبهم كما أحب المسيح تلاميذه وقيل عنه إنه " أحب خاصته الذين فى العالم. أحبهم حتى المنتهى " (يو ١٣ : ١) .

الخادم الروحى يحب الله من كل قلبه . ويريد أن تلاميذه يحبون الله مثله . فإن أحبوا الله تزداد محبته لهم إعجاباً بروحهم . وإن سقط بعضهم ، تزداد محبته لهم إشفاقاً عليهم وسعياً لإنقاذهم .. وبهذا الحب كله ، يعطيهم صورة مشرقة عن الدين وعن الله .

الخادم الروحى ، أولاده روحيون مثله :

لأنه يربيهم فى حياة الروح ، فيكونون على شبهه ومثاله .

وعلى نفس القياس : الخادم الإجتماعى أولاده إجتماعيين . والخادم العقلانى الذى لايهتم إلا بالعلم ، يكون أولاده مجرد كتب تحمل معلومات ... ما أصدق قول الكتاب فى قصة الخليقة ، إن الله خلق " شجراً ذا ثمر ، يعمل ثمراً كجنسه .. شجراً يعمل ثمراً ، بذره فيه كجنسه" (تك١: ١١، ١٢) إن كان الأمر هكذا ، فلندترس نحن كيف نكون ... لأنه على شبهنا ومثالنا سيكون أولادنا .

الخادم الروحي يشعر أن أولاده أمانه فى عنقه :

سيعطى عنهم حساباً أمام الله فى يوم الدين . أنهم أولاد الله وقد تركهم فى يديه ليقوم بخدمتهم " ويعطيهم طعامهم فى حينه " (لو١٢: ٤٢) .. لذلك هو يعمل على الدوام بخوف الله ، شاعراً بمسئوليته .

أريد من كل خادم أن يسأل نفسه عن ثلاثة أمور : روحانية خدمته ، و روحانية حياته ، و روحانية أولاده ..

روحانية حياته من أجل ابديته وخلاص نفسه ، وبسبب تأثير حياته على مخدوميه . وروحانية خدمته حتى تكون ذات تأثير مثمر فى إيجاد جيل روحانى . أما عن روحانية أولاده فتحتاج منه إلى جهد وصبر وطول أناة .

الخادم الروحى يطيل باله جداً ، حتى تنبت بذوره وتنمو :

وحتى تخضر وتزهر وتثمر .. ولا يضيق صدره ولا ييأس إن تأخر إنباتها أو إثمارها ... إنما يجاهد على قدر ما يستطيع ، ويشرك الله معه ، ويضع أمامه قول الرسول " يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء " (رو١٥ : ١) .

إن بعض النفوس لا تعطى ثمراً سريعاً . وبعضها لا يستطيع أن يتخلص من أخطائه بسرعة . وهؤلاء وأولئك يحتاجون إلى من يطيل روحه عليهم حتى يخلصوا ... كما يطيل الله أناته علينا ، ليقتادنا إلى التوبة (رو ٢: ٤) .

قال القديس يوحنا ذهبى الفم : إن كان الجنين الجسدى يحتاج إلى شهور طويلة إلى أن يتكامل نموه ويخرج ، فلنصبر إذن على الجنين الروحى حتى يكمل نموه .

الخادم الروحى هو مغناطيس شديد الجاذبية :

كل من يدخل فى مجاله ، ينجذب إلى حياة الروح ، وتكون له القدرة على جذب غيره أيضاً إلى نفس المجال الروحى .

إنه يجذب الناس إلى أبوة الله وأمومة الكنيسة ، بكل ماتحمل من مشاعر الحنان والعطف وكل أساليب الرعاية والأهتمام .. وهكذا

يلتصقون بالله المحب ، ويرتوون بلبن التعليم من الكنيسة ..

الخادم الروحى له كلمة الله الحية الفعالة (عب ٤ : ١٢)

هذه التى تترك تأثيرها فى السامعين ، ولا ترجع فارغة (أش٥٥: ١١) إنه يشع على الآخرين نوراً . وكل من يختلط به يستنير ، ويأخذ شيئاً إلهياً .. إنه بركة تتدفق على كل أحد ، ليس في الكنيسة فقط ، وإنما أيضاً في البيت ومكان العمل وفي الطريق. هو خادم أينما وُجد .. الخدمة عنده لا يحدها مكان ولا زمان (٢تى٤: ٥) ولا رسميات إنما روح الخدمة عنده تجعله يخدم كل من يصادفه أو يختلط به .. ليس هدفه أن يكون مدرساً ناجحاً ، فربما يكون هذا تركيزاً على الذات .

إنما كل إهتمامه هو خلاص أنفس مخدوميه :

إنه ينسى ذاته من فرط تفكيره فيهم . ويقول كما قال القديس بولس الرسول " كنت أود لو أكون أنا نفسي مرفوضاً من المسيح ، من أجل أخوتى وأنسبائى حسب الجسد " (رو ٩ : ٣) .

الخادم الروحى يجاهد بإستمرار مع الله من أجل أولاده

يسكب نفسه أمام الله فى خدمته ، لكى يقود الله الخدمة .. لكى يعطيه الرب الغذاء الروحى اللازم له ولمخدوميه ، ويعطيهم القوة

للسير فى طريق الرب.. ويظل يبلل قدمى الله بدموعه ، إلى أن ينال منه إستجابه صلواته لخير هؤلاء .

وفى كل ذلك هو انسان فدائى ، يفتدى غيره بنفسه وبراحته .

الخادم الروحى هو انسان أمين، يتعب بكل جهده فى الخدمة :

يضع أمامه بإستمرار قول الكتاب " ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة " (أر٤٨: ١٠) .

فهو يتعب لكى يستحق أن يعمل الله معه . يتعب لكى ينظر الله إلى ذله وتعبه ، فيعمل عنه العمل كله . وهكذا يستجيب الرب صلوات الآباء الكهنة ، وهم يقولون له متضرعين " اشترك فى العمل مع عبيدك .. "

الخادم الروحى لا يعمل بقدراته الخاصة ، إنما بمواهب الروح القدس العامل فيه :

هو مجرد أداة يحركها الروح فى خدمة الملكوت . إنه يعيش على الدوام فى شركة الروح القدس . الروح القدس يعمل فيه ، ويعمل به ، ويعمل معه .

إنه انسان إمتلاء بالروح . إن تكلّم لا يكون هو المتكلم ، وإنما روح ابيه يتكلم فيه (مت١٠: ٢٠) .. هكذا عمل تلاميذ المسيح

كخدام للكلمة . فكانت لكلماتهم قوتها وثمارها ...

الخادم الروحي ينمو بإستمرار في محبة ربنا يسوع المسيح . وبإستمرار يكون مستواه أعلى من تلاميذه بكثير . بل فيما هو ينمو في حياة الروح ، ينمو تلاميذه معه في المعرفة وفي المحبة والارتباط بالله ..

إنه ليس إنساناً يتدرب على حياة التوبة ، بل هو يتدرب على حياة الكمال:

وكلما ينمو يزداد إتضاعاً ، شاعراً أن الطريق طويل قدامه ، أطول بكثير من قدرة خطواته . لذلك يشعر في كل حين بإحتياجه المستمر إلى الله .

الخادم الروحي يهدف إلى روحانية أولاده :

ولذلك فدروسه دسمة وعملية وتقربهم إلى الله . وهم يثقون بكلامه، كأنه كلام الله. لأنهم يوقنون أنه يأخذ من الله ويعطيهم. بعكس الخدام الذين فقدوا روحياتهم ، وأصبحت لهم مجرد صورة التقوى .. لا قوتها .

الخادم الروحي لا يترك أمور العالم تشغله عن روحياته :

وإذا إستمر في التركيز على ما فيه خلاص نفسه ، فقد ينتهي به

الأمر إلى التفرغ الكامل لخدمة الرب ، أعنى حياة التكريس .

الخادم الروحى لا يشعر فى خدمته أنه يعطى :

بل أنه بإستمرار – فى كل مرة يذهب إلى الخدمة – يشعر أنه يأخذ شيئاً جديداً من الله اثناء خدمته . ويرى أن الخدمة تعطيه أكثر مما يعطيها . إن الخدمة بالنسبة إاليه واسطة من وسائط النعمة ، تقويه وتسنده ، وتقدم له وسطاً روحياً يلزمه بإستمرار أن يعيش فيه. كما تعطيه حياة الحرص والتدقيق والبعد عن العثرة .

الخادم الروحى يحيا أثناء خدمته حياة التلمذة :

لا يظن أن تلمذته قد إنتهت بتعيينه خادماً فى مدارس الأحد ، أو ببدء عمله كواعظ أو كمعلم ، إنما يستمر حياته كلها فى التلمذه.. فى كل يوم يتعلم شيئاً جديداً ، ويختبر شيئاً جديداً . ومن واقع خبراته يكلّم مخدوميه ..

إنه انسان عاش مع الله ، وأختبر الطريق الموصل لله :

وهو يحكى للناس هذا الطريق الذى اختبره وسار فيه زماناً ، وعرف علاماته وحروبه ومطباته ، وبركاته أيضاً ، ويد الله العاملة فيه ـ يحكى كل ذلك بطريقة موضوعية بعيدة عن الذات ...

حياة التلمذة عند الخادم الروحى هى موضوع طويل ، ربما

أعرض له بتفصيل أكثر ، حينما أتحدث عن التواضع فى الخدمة...

الخادم الروحى هو انسان بعيد عن [الذات] ..

ذاته لا تشغله ، ولا تحرك طريقه فى الخدمة .. إنه إنسان روحى لا تعنيه ذاته ، لقد مات عنها منذ زمن وأصبح كل تفكيره فى ملكوت الله، فى روحيات تلاميذه، وفى إراحة الناس وخدمتهم..

إنه انسان أتحدت مشيئته بمشيئة الله :

كل مشيئته أن يحقق مشيئة الرب في الوجود . ومشيئة الله هى أن "جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبلون" (١تى٢: ٤). لذا هو يعمل مع الله فى هذا المجال ، وليست له مشيئة خاصة . إنه يسعى إلى تحقيق المشيئة الإلهية فى نفسه وفى أولاده .. يعمل فى ذلك بكل مشاعره ، وكل إرادته وكل القوة الممنوحة له .

ملكوت الله هو شغله الشاغل ، يلهج فيه نهاراً وليلاً:

يشعر بمقدار المسئولية الملقاة عليه . وبأهمية النفوس التى تركها الله أمانه فى يديه ، سيعطى عنها حساباً أمام الديان العادل.. لذلك هو يسلك فى خدمته بكل أمانة وجدية ، ليس فقط من أجل تلك المسئوليه عن مخدوميه ، بل بالأكثر بسبب محبته لهم وإهتمامه بهم.

الخادم الروحى هو قلب كبير ، يتسع للكل ، ولايضيق بأحد :

هو وكيل أمين حكيم ، أوكله الله على أولاده ، لكى يعطيهم طعامهم فى حينه (لو١٢: ٤٢). ينطبق عليه قول الكتاب "رابح النفوس حكيم " (أم١١: ٣٠). وفى حكمة خدمته نراه خبيراً بالنفس البشريه: بطبيعتها ونزعاتها، وحروبها وسقطاتها، ومتاعبها وآلامها وهو فى كل ذلك يذكر قول القديس بولس الرسول " اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم ، واذكروا المذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد " (عب١٣: ٣) .

الخادم الروحى هو لهيب نار مشتعل فى خدمته :

إنه انسان حار فى الروح (رو ١٢ : ١١) دخلت فيه النار المقدسة التى ألهبت التلاميذ فى يوم البندكسطى . لهذا فهو يعمل عمل الرب بحرارة ، بكل القلب ، بكل الرغبة ، بكل حماس .. هو أمين فى خدمته حتى الموت (رؤ ٢ : ١٠) يتعب فيها ، ويجد لذة فى تعبه .

ويجد لذة أيضاً فى عمله مع الله :

الروح القدس يعمل فى الناس لأجل خلاصهم. وهو يعمل مع الروح القدس لهذا الغرض نفسه، كما قال القديس بولس الرسول

عن نفسه وعن زميله بولس " نحن عـاملان مـع اللـه " (١كو٣: ٩) نشترك معه فى العمل ، أو نصبح أداة فى يديه يعمل بها ...

الخادم الروحى يحتفظ بطفولته الروحيه (مت١٨: ٣) ويرفض أن يفطم نفسه عن ثدى التعليم :

إنه باستمرار يقرأ ويتعلم . ومهما نما تلاميذه ، يقدم لهم شيئاً جديداً . إنه كالأشجار الدائمة الخضرة ، لا يذبل أبداً ، ولا يصفـر ، ولا تتساقط أوراقه ... الخضرة دائماً تجرى فى عروقه . لذلك هو دائم الزهر أو الثمر ، دائم الحياة ، دائم النضرة والخضرة ..

✪ إنـه لا يعطـى من ذاتـه ، وإنمـا مـا يـأخذ مـن الـروح فإيــاه يعطى. يقول للرب .

الكلام الذى أعطيتنى ، قد أعطيتهم (يو ١٧ : ٨)

إنه راكع دائماً ، يطلب لأولاده من الرب غذاء يوم بيوم . يقـول للرب دائماً " لست أريد أن أعطيهم مـن بشريتى ومـن جهلـى . بـل الكلام الذى تضعه أنت فى فمى ، هو الذى أقوله لهم .

إنه أذن حساسة لفم الله :

يميز صـوت الله ، ويعلـن مشيئته للنـاس . لذلـك ترتبـط خدمتـه بالصلاة .. لأنها ليست عملاً بشرياً .

الخادم الروحى يهتم بالغذاء الروحى لأولاده :

فهو يأخذ غنيماته الصغيرات إلى موارد المياه وإلى المراعى الخضراء ، يرعاها بين السوسن (نش ٦ : ٣) . إنه يهتم بروحياتها ، ولايقتصر على المعلومات يحشو بها عقلها . ولكن ليس معنى هذا أن نهمل المعرفة ، وإنما نأخذ منها ما يبنى الروح، ولا نركز على بناء العقل فقط .

الخادم الروحى : حتى إن تكلم فى موضوع لاهوتى أو عقيدى أو طقسى ، يتكلم كلاماً روحياً :

أما الخادم العقلانى: فحتى إن تكلم فى الروحيات، يحولها إلى علم ونظريات وأفكار!! بعض الخدام إبتدأوا بالروح، وإنتهوا كعلماء يقدمون علماً للنفس، مجرد أفكار مرتبة خالية من الروح، ولم تعد فى كلماتهم المسحة الروحية التى تؤثر فى الناس وتقربهم إلى الله..

كونوا إذن خداماً روحيين ، واخدموا خدمة روحية

أقول هذا لأنى خائف على هذا الجيل ، الذى كثرت فيه المعرفة جداً ، وضعفت الروح .

واختلفت عن الجيل الماضى ، التى كانت فيه مراكز الخدمة كأبراج الحمام ، تهدل بنشيد الحب الإلهى .

٦- الخادم الروحي قدوة وبركة وحياته كلها خدمة..

إن الخدمة ليست كلاماً ، إنما هي "روح وحياة" (يو٦: ٦٣)

والخادم الروحي له الروح التي يحولها في تلاميذه إلى حياة ... هذه الحياة يلتقطونها منه ، يتعلمون من حياته ، ويقلدون شخصيته، فتتخلل نفوسهم وقلوبهم وأفكارهم .

إن الصغار قد لايفهمون كل الكلام الذي يقوله الخادم. وما يفهمونه، كثيراً ماينسونه. لكنهم يأخذون منه الحياة. ويتعلمون من طريقة معاملته، وطريقة كلامه، بل يتعلمون من اسلوبه، من نظراته، من اشاراته، من تصرفاته.. يلتقطون كل ذلك.. المعلومات قد ينسونها. ولكن أسلوب الحياة يظل راسخاً فيهم. فإن كان كل ما تملكه هو المعلومات، سوف لا يأخذون منك سوى معلومات، بلا روح بلا حياة..! فابحث إذن ما هو نوع الحياة التي فيك، التي يمكن أن يمتصها منك أولادك؟ والتي تترك فيهم إنطباعاً من نوع خاص.

أخشى أن بعض الخدام تكون فى حياتهم عثرات . وهذه العثرات تؤثر فى تلاميذه تأثيراً سلبياً

" ويل لمن تأتى من قبله العثرات ، كما قال الرب (مت١٨: ٧) هذه العثرات إما أن يقلدها المخدومون ، فتضيع روحياتهم ، وتهبط مثالياتهم ، ويطالب الخادم بدمهم أمام الله (خر٣: ٣٣) .

وأما أن تكون أخطاء الخادم سبباً فى إنتقادهم له ، بل أيضاً وقوعهم فى خطية الإدانه . أو قد تكون تلك الأخطاء سبباً فى تركهم محيط هذه الخدمة كلها ، ومايتبع ذلك من نتائج ....

الخادم هوملح للأرض . فماذا يحدث إن فسد الملح ؟!

ما أصعب قول الرب فى ذلك!! يقول: " إن فسد الملح، لا يصلح بعد لشئ ، إلاأن يطرح خارجاً ويداس من الناس " (مت٥: ١٣) .. إذن يجب أن تلوم نفسك وتقول :

" أننى حينما كنت بعيداً عن الخدمة ، كانت خطاياى ونقائصى من نصيبى أنا وحدى.. وتأثيرها واقعاً علىّ وحدى ، وكذلك عقوبتها. أما الآن فإن خطاياى تعثر الآخرين، وتوقعهم فى خطايا وتضيعهم... فإن لم يمن من أجل نفسى فعلى الأقل من أجلهم أقدس أنا ذاتى ، لكى يكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق (يو١٧: ١٩) .

من هنا ينبغى على كل خادم أن يفحص نفسه ، ويصلح ذاته، ويكون بلا عثرة . بل ينبغى أن يكون قدوة ومثالاً .

بعكس الخادم الروحى الذى تترك حياته فى نفس كل من يقابله اثراً طيباً وإنطباعاً روحياً يدوم لمدة طويلة ...

دون أن يلقى عظة أو يتحدث فى موضوع روحى ... بل مجرد مقابلته البشوشة الحلوة الطيبة ، وملامحه الهادئة المملوءة سلاماً ، ووداعته وطيبته وحسن لقائه للآخرين وحسن معاملته ، هذا يجعل من يقابله يتأثر روحياً ، ويقول فى نفسه : مباركة تلك اللحظات التى تقابلت فيها مع فلان . عجيب هذا الشخص الروحى . ليتنى أكون مثله فى شخصيته الروحيه ، وفى بشاشته ومعاملته الطيبة التى تبكتنى على خطاياى ، وتذكرنى بإنى فى أحيان كثيرة كنت أقابل البعض بعدم إكتراث ، أو بغير حماس ، بدون ودّ وبدون بشاشة . ليتنى أغير حياتى وأصير مثله ودوداً بشوشاً وديعاً ...

وهكذا مجرد اللقاء به يقود الآخرين إلى التوبة .

لذلك فالخادم الروحى ليس مجرد مدرس ، بل حياته كلها خدمة :

إن عبارة [مدرس فى مدارس الأحد] تعنى قصوراً فى أمرين :

أ ـ فكلمة مدرس تعنى مجرد التعليم، وليس الحياة وتأثيرها..

ب ـ وعبارة (فى مدارس الأحد) تعنى محدودية الخدمة فى هذا النطاق ، بينما ينبغى أن يكون الخادم خادماً فى كل مجال يقابله فلا يحدها مكان هو الكنيسة ، ولا زمان هو ساعة فى الأسبوع !!

إن كانت الخدمة هى عمل من أعمال المحبة ، فلا يجوز أن تكون محبتنا قاصرة على فصل من فصول مدارس الأحد ... !!

فالإنسان المحب أينما يوجد ، تفيض محبته على غيره . كل إنسان يقابله ، ينال نصيباً من حبه . إنه كسيده " يريد أن الجميع يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون " (١تى٢: ٤) ...

حقاً إن مدارس الأحد قد تكون مجال تخصصه . ولكن هذا لا يمنع عمومية خدمته . فكل شخص يدفعه الله إلى طريقه ، وكل من يقابله فى غربة هذا العمل ، لابد أن يدخل فى مجال تأثيره الروحى. ليس كمدرس ، وإنما كحياة روحية تتحرك فى عمق ، وتؤثر روحياً فى غيرها ، تلقائياً ... وإن أتيح له الكلام ، لأغنه يجعل الله هو محور حديثه ، بطريقة مشوقة غير مصطنعة ...

ويكون اسم الرب حلواً فى فم الخادم . يجب أن يتحدث عنه ، بطريقة تجذب الناس إليه ...

إن اسم الله على فمه ، ليس فى الكنيسة فقط ، بل فى كل مكان. يحدث الناس عنه فى شغف . وينتهز كل فرصة مناسبه ، ليحكى قصصاً عن معاملات الله المملوءة حباً وحكمة ... وحتى إن لم يتكلم، فإنه يقدم للناس نموذجاً طيباً عن الحياة المرتبطة بالله ...

بعض الناس يظنون المبادئ المسيحية مثاليات من يستطيع تنفيذها ؟! أما الخادم الروحى ، فيقدم هذه المثاليات منفذة عملياً فى حياته ...

وبتأمل حياته ، يتيقن الناس أن الحياة مع الله ممكنة وسهلة ... ويرون أن الذى يسير مع الله ، تكون حياته موفقة وناجحة ، ويكون محبوباً من الكل ، فيشتاقون إلى حياة مثل حياته ، التى تجول تصنع خيراً : تعطى هذا كلمة منفعة ، وتعطى ذاك حباً وبشاشة . وتعطى ثالثاً أمثولة طيبة .. المهم أنها تعطى بإستمرار خيراً ونفعاً ...

إنه كالشمس ، أينما ظهرت تنير :

هى منيرة بطبيعتها . وبحكم طبيعتها تعطى نوراً وحرارة وحياة، للكل .. والخدام الروحيون هكذا بالنسبة إلى الآخرين ، هم نور للعالم (مت٥: ١٤) . كل إنسان يراهم ، يستنير ولا يسلك فى

الظلمة ... فهل أنت نور فى حياتك ، وبالتالى فى خدمتك ؟

هل كل من يراك ، يمجد الله بسببك ؟ وكل من يتحدث معك ، يخرج بكلمة منفعة ؟ وكل من يجتمع بك ، يشكر الله على إنه جلس معك فى ذلك اليوم ، وعلى النعمةالتى حلت عليه عن طريقك؟

الخادم الروحي بركة للوسط الذى يعيش فيه :

انظر ماذا قال الرب فى دعوته لإبرام إلى الآباء : قال له "اجعلك أمة عظيمة ، وأباركك وأعظم اسمك . وتكون بركة " (تك١٢: ٢) . فالمطلوب من الخادم الروحى ، ليس فقط أن يكون مباركاً من الرب، بل بالأكثر يكون بركة .

كان إيليا بركة فى بيت أرملة صرفة صيدا . وكان يوسف الصديق بركة فى كل أرض مصر .

وكان أبونا نوح بركة للعالم كله . به حفظت الحياة فى العالم:

ولم يفن الرب الأرض كلها ومن عليها ، من أجل نوح البار . به بقيت الحياة البشرية ، وتنسم الله رائحة الرضا (تك٨: ٢١) .

وأصبحنا كلنا أولاد نوح ، كما نحن أولاد آدم ...

فهل أنت هكذا : أينما حللت تحل البركة ؟

وتكون خدمتك بركة للناس فى كل مكان تخدم فيه . ويبارك الله

خدمتك ، ويجعلها مثمرة وذات تأثير . ويبارك أيضاً كل من تخدمهم ، ويشعرون أنك كنت بركة فى حياتهم ، وأنه من نعم الله عليهم ، أنك كنت الخادم الذى قام برعايتهم ؟

الخادم الروحى يشعر من يخدمهم أنه رجل الله .

فهكذا كان إيليا، وبهذا اللقب كانوا يدعونه (١مل١٧: ٢٤) فهل يراك الناس بهذه الصورة ، انك صوت الله فى آذانهم ، وانك مرسل منه إليهم ، وإنك صورة الله أمامهم ؟

يذكرهم وجودك معهم بالله ووصاياه وبقدسية الحياة ..

وهل - كرجل الله – يرون فيك ثمار الروح (غل٥: ٢٢،٢٣)؟ ويرون تأثير الروح فى كلماتك ، ويختبرون أنك بركة لحياتهم ...

لا تظن أنك بمجرد إلقائك بعض الدروس فى الكنيسة ، قد صرت خادماً . بل تفهم ما معنى كلمة (خادم) وما صفاته .

٧- الخادم الروحى الذى يعمل الله به

إن الله يعمل بإستمرار من أجل خلاص البشر وهدايتهم ..وهو يعمل من خلال خدامه الروحيين وبواسطتهم .فمن هو الخادم الروحى الذى يعمل الله فيه وبه، ويعمل الله معه؟

إنه الخادم الذى يهتم جداً بأبديته، ولا ينسى نفسه فى محيط الخدمة.

ولا تصبح الخدمة بالنسبه إليه هى كل شىء، وفى سبيلها يضحى حتى بروحياته!

والكتاب يعلمنا أهمية وضع خلاص النفس أولاً، فى قول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف "لاحظ نفسك والتعليم، وداوم على ذلك .فإنك إن فعلت ذلك تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً (اتى ٤: ١٦) .

وهكذا وضع ملاحظة النفس قبل التعليم ، وخلاص نفسك قبل الذين يسمعونك.

وهذا واضح لأن الخادم المهتم بخلاصه هو الذى يستطيع أن يخلص الآخرين أيضاً.

والعكس صحيح. لان الخادم الذى لا يهتم بروحياته. لا يمكن أن يقدم الروحيات لغيره، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. كما أن الخدمه هى تعبير عن الحب الذى فيك نحو الله والآخرين والذى يفقد هذا الحب، لا يكون خادماً. وهناك عباره اخرى مخيفة نضعها امامنا فى خدمتنا و هى قول القديس بولس الرسول أيضاً :

" أخضع جسدى واستعبده، حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً " (اكو ٩: ٢٧) .

عجباً هذا القديس العظيم الذى صعد إلى السماء الثالثة (٢كو١٢: ٢،٤) والذى تعب أكثر من جميع الرسل (اكو ١٥: ١٠) وصنع آيات وقوات وعجائب يقول لئلا بعد ما كرزت لآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً !! إذن هناك خوف أن إنساناً يكرز للآخرين، ثم يصير هو نفسه مرفوضاً !!

إن الإهتمام بخلاص النفس شيء هام ، وقد دعا إليه الرب فى

رسائله إلى رعاة الكنائس التى فى أسيا ما اعجب قوله لملاك ساردس :

" إن لك إسماً انك حى وأنت ميت !! "

ويقول أيضاً " كن ساهراً .. وتب. فإنى إن لم تسهر ، أقدم عليك كلص، ولا تعرف فى أى ساعة أقدم عليك " (رؤ ٣: ١-٣).

وكذلك يقول لملاك كنيسه لاودكيه " لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً، أنا مزمع أن اتقيأك من فمى " (رؤ ٣: ١٦) ويقول لملاك كنيسة أفسس " عندى عليك انك تركت محبتك الأولى فأذكر من اين سقطت وتب .. وإلا فإنى آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب " (رؤ١: ٤،٥) .

فإن كان الرب قد قال هذا عن الذين دعاهم ملائكة وكواكب، وكانوا فى يده اليمنى (رؤ٢: ١) فماذا نقول نحن عن أنفسنا . الا نهتم بخلاصنا ؟!

أقول هذا لئلا تتملكنا الكبرياء فنظن أننا حقاً خدام. وربما يحاربنا المجد الباطل، لأن لنا أولاداً فى الخدمة، لنا تلاميذ ولنا فصول، ولنا إسم الكنيسة إننا من جماعة الخدام أو من الكارزين!! والرسول يقول "حتى بعد ما كرزت لأخرين، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً " .

فإن كان بولس العظيم يحتاج إلى تدقيق وإحتراس وإلى أن يضبط نفسه ويقمع جسده ويستعبده .. فكم بالأولى نحترس نحن ونهتم بخلاصنا.

لهذا يحتاج الخادم إلى إتضاع كبير في قلبه ..

لئلا تأخذه الكبرياء، ويظن أنه شيء ويسقط... صدقوني يا إخوتي، إنني أتعجب كثيراً كلما اتأمل قديساً عظيماً مثل بطرس الرسول الذي كان واحداً من الثلاثه الكبار الذين كان ينفرد بهم السيد المسيح في جلساته الخاصة، والذين قال عنهم القديس بولس الرسول أنهم أعمده الكنيسة (غل٢: ٩) ... بطرس هذا يقول له السيد المسيح :

"ولكني طلبت من أجلك لكيلا يفنى إيمانك ؟! " (لو ٢٢:٢٢) .

يفنى إيمانك ؟! ما أخطر هذه العبارة ليتك تقول يارب "لكيلا يضعف إيمانك"! أما أن عبارة يفنى إيمانك تقال لبطرس الرسول، ويحتاج إلى صلاة من السيد المسيح نفسه، فهذا أمر خطير أو هو درس لنا لنسهر ونحترس .

نعم نحترس لأن الخطية قيل عنها إنها " طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء " (ام٧: ٢٦) .

والخادم الروحي يحترس ليس فقط من الخطايا الدقيقة كالهفوات والسهوات، وإنما حتى من النجاسات التي تحارب المبتدئين !! وهو مهما نما في الروحيات يعامل نفسه كمبتدئ، ولا يتحدث عن نفسه كخادم يدرس البعض على يديه.

إن القديس ارسانيوس الكبير، معلم أولاد الملوك ، رجل الوحدة والصمت والصلاة والدموع، يقول عن نفسه " إنني لم أبدأ بعد، هبني يارب أن أبدأ .." ليتنا نتمثل بهذا القديس في خدمتنا.

الخادم الروحي ينظر لنفسه كمبتدئ، ليس فقط في الخدمة، بل كمبتدئ أيضاً في الحياه الروحية.

الكلام الذي يقوله في الدرس يرى إنه موجه إلى نفسه هو، قبل أن يوجه إلى تلاميذه.

وإن وعظ يرى أنه يعظ نفسه والناس. بل يعظ نفسه قبل أن يعظ الناس. إنه لا يظن في نفسه أنه قد بلغ شيئاً، ولا يظن أن الكلام الذي يقوله قد صار حياة عند سامعيه..

بل يصلي أن يعطيهم الرب نعمة أن يستفيدوا من كلامه، أو يستفيدوا من النعمة التي يعطيهم الرب إياها.

يصلي أن يعطيهم الرب شيئاً عن طريقه ولا أقول يأخذوا منه،

بل يأخذوا عن طريقه ، إنه يخلط درسه بالصلاة لكـى لا يكون هو وحده الذى يتكلم، بل ليتكلم الرب، ويكون هو أيضاً سامعاً مع تلاميذه.

الخادم الروحى لا يحسب نفسه أنه قد صار قديماً فى الخدمة أو قائداً أو أميناً بل يضع أمامه بإستمرار قول السيد المسيح:

" **بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً** " (يو ١٥: ٥).

إذن لابد أن يأخذ من الله، لكى يعطى..

إنه يقول للرب أنا يارب لا أعرف . لقد أخذونى وجعلونى خادماً عن غير إستحقاق ومن غير إعداد. بل جعلونى خادماً وهم لا يعرفون دواخلى ولا ضعفاتى . أنت الذى تعرف. أنا يارب لم أصل بعد إلى القدوة التى أفيد بها آخرين، ولم أنفذ بعد هذه الوصايا التى أقولها للناس أو التى ينبغى أن أقولها وأخشى أن تنطبق علىّ عبارة:

" **أيها الطبيب إشف نفسك** " (لو ٤: ٢٣) .

الخادم الروحى يلتقى بالله قبل أن يلتقى بالمخدومين. ويقول له: " ليس يارب من أجل ضعفاتى تمنع نعمتك عن هؤلاء. ليس بسبب أخطائى الشخصيه وبعدى عن روحك القدوس. تمنع روحك عن هؤلاء وما ذنبهم؟!

ليس من أجلى تعطيهم . بل من أجل محبتك لهم أعطهم.

من أجل أنك أبوهم. من أجل أنه تهمك أبديتهم. من أجل حاجة هؤلاء الصغار إليك أعطهم عن طريقى، أو عن طريق غيرى، ليس الخادم هو المهم. إنما المهم أن تعطيهم أعمل فى قلوبهم حينما أكلمهم وأعمل فى قلوبهم حتى دون أن أكلمهم.

لتكن خدمتى لهم صلاة إن لم تكن حياة

فليست لى حياة، أعطيهم منها قدوة ،

وليست لى صلاة أعطيهم منها قدرة .

ولكننى فى ضعفى أطلب إليك من أجلهم أطلب أن تعمل أنت فيهم من أجل محبتك لهم..

أنا لست أحسب أن لى معرفة أقدمها لهم. وحتى إن كان لى، فالمعرفة وحدها لا تكفى ولا تخلص. أمنا حواء كانت لها معرفة بالوصية وسقطت (تك ٣: ٢-٦) المهم هو الروح الموجود فى الكلام كما قال السيد الرب " الكلام الذى أقوله لكم هو روح وحياة " (يو٦: ٦٣) .

إن كانت الخدمه كلاماً فما أكثر الكلام.. المهم هو الروح الذى يؤثر ويعطى على قوة العمل.

والكلام لا يخلص، إن كان منا، أما إن كان من الرب، فكلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح " (عب٤: ١٢) .

وظيفتنا كخدام أن نأخذ من الله كلاماً لكي نعطية للناس وليس أن نعطيهم من فراغنا. إنما نأخذ ملئاً من الله، نفيض به عليهم. وما أجمل قول الإنجيل عن السيد المسيح.

" ومن ملئه، نحن جميعاً أخذنا " (يو١: ١٦) .

الخادم الروحى ليس مجرد بوق يحدث صوتاً إنما هو حياة روحية تنتقل إلى الغير. والتلاميذ يأخذون من حياة المدرس من إسلوبه ومعاملاته وسلوكه، ويمتصون منه شيئاً .

كان الكتبة والفريسيون يعلّمون وقد جلسوا على كرسى موسى (مت٢٣: ٢) وكان السيد المسيح يعلم، فيبهت الناس من تعليمه لأنه يعلمهم بسلطان (مر١: ٢٢) .

كلماته كانت لها قوة وتأثير وسلطان.

كانت كلمات من نوع آخر، لذلك قالوا ما سمعنا من قبل كلاماً مثل هذا.

ولما تكلم السيد المسيح عن التناول من جسده ودمه، وتحير

البعض وتركوه فقال لتلاميذه " ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟!". أجابه بطرس:

"يارب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية هو عندك"(يو٦: ٦٨)

جميلة هذه العبارة " كلام الحياة الأبدية " هذا هو المطلوب من الخادم. يذكرنا بعبارة الملاك الذى قالها لكرنيليوس عن طريق بولس الرسول " وهو يكلمك كلاماً به تخلص.. " (أع١١: ١٤) .

نعم، هذا هو الفرق بين خادم وخادم: أحدهم يقول كلاماً، بلا تأثر بلا قوة بلا فاعلية...

أما الخادم الروحى فيكلمك كلاماً به تخلص ...

كلاماً يغير الحياة كلها، ويشعر سامعه قد أنه نخس فى قلبه، كما حدث لليهود فى يوم الخمسين حينما سمعوا عظة من بطرس (أع٢: ٣٧).وحينما ينخس فى قلبه لا يستطيع أن يرفس مناخس (أع٩: ٥)

حتى لو قاوم الكلمة حينا، يعود إليها مرة أخرى أو تعود هى إليه. ويجد منخاساً فى قلبه يذكره بها. وهكذا قال الرب عن كلمته:

" هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمي. لا ترجع إلى فارغة. بل تعمل ما سررت به، وتنجح فيما أرسلتها له" (أش٥٥: ١١) .

حقاً إن كلمة الرب لا ترجع فارغة.

إن لم تأت بنتيجة الآن، تأتى بها فيما بعد .

صدقونى، حتى الكلام الذى قاله الرب ليهوذا الإسخريوطى، لم يرجع فارغاً بل ندم يهوذا بعد تسليمه للرب، وأرجع المال الذى أخذه ثمناً له. وقال " أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً" (مت٢٧: ٤) لكن مشكلته إنه يأس من شدة تأنيب ضميره له، فمضى وخنق نفسه..

الخادم الروحى ينبغى أن تكون كلمته هى كلمة الرب. ولكى يأخذ هذه الكلمه من الله يلزمه أن تكون حياته ثابتة فى الله.

تكون له علاقة بالله، يستطيع بها أن يأخذ منه. وتكون له دالة مع الله، يمكنه بها أن يقول له"لا أتركك إن لم تباركنى" (تك٣٢: ٢٦) . أو يقول له"لا أتركك حتى آخذ منك ما أعطيه لهؤلاء.

هذه هى الخدمة الروحية التى يعمل فيها الله. وليست هى مجرد كلمات يقرأها الخادم فى كتاب ثم يرددها بدون تأثير فى آذان غيره وينتهى الأمر.

لقد أمر السيد تلاميذه أن لا يبرحوا أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعالى (لو٢٤: ٤٩) .

الخدمة الروحية يلزمها هذه القوة ، قوة الله العامل فينا بروحه القدوس.

٨- الخادم الروحى دائماً يعمل والخدمة ضرورة موضوعة عليه

الله دائما يعمل، وعلينا أيضا أن نعمل، وفى ذلك قال السيد المسيح له المجد فى (يو ٥: ١٧) .

" أبى يعمل حتى الآن وأنا أيضا أعمل"

وهو بهذا يعطينا القدوة الصالحة فى العمل الدائم المستمر، العمل بلا انقطاع من أجل ملكوت الله. هذا الذى قال عنه القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "اكرز بالكلمة، اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب" (٢ تى ٤: ٢) أى كل حين.

وهكذا كان السيد المسيح يعمل باستمرار:

كان يعمل طول اليوم، حتى يميل النهار كما فى وعظه قبل معجزة الخمس خبزات والسمكتين، إلى أن "ابتدأ النهار يميل" (لو ٩: ١٢)، ثم أخذ يهتم بعد ذلك بطعامهم الجسدانى.

وكان يعمل بالليل، كما تقابل مع نيقوديموس ليلاً (يو ٣: ٢)، وكما جاء إلى التلاميذ في الهزيع الرابع من الليل (مت ١٤: ٢٥)، أو قد يأتى إليهم في الهزيع الثاني أو الثالث (مت ١٢: ٣٨) أو في نصف الليل. وأيضاً هو يعمل مادام نهار (يو ٩: ٤)

والسيد المسيح كان يعمل أيضا في كل مكان:

كان يعمل وهو ماش في الطريق (لو ١٩: ١-٥) كما في هداية زكا وكان يعمل وهو جالس عند البئر كما فعل في هداية المرأة السامرية (يو ٤: ٦-٧). ويعمل وهو في بستان جثيسماني مع الثلاثة تلاميذ (مت ٢٦)، ويعمل وهو ماش على الماء كما فعل في تدريب بطرس وفي انقاذه من الغرق (مت ١٤: ٢٨-٣١) كان يعمل في البرية ووسط الحقول، وعلى شاطئ النهر وشاطئ البحيرة، وفي البيوت كما في بيت مرثا ومريم (لو ١٠: ٣٨)، وعلى الجبل كما في عظته المشهورة (مت ٥: ١،٢)

كان يعمل في كل وقت ومكان ومع كل أحد .

وكان يلقى بذاره في كل موضع ..

يلقيها على الأرض الجيدة التي تنتج ثلاثين وستين ومائة، ويلقيها حتى بين الأشواك، وعلى الأرض الحجرية، والتي ليس لها

عمق، وعلى الطريق.. معطياً فرصة لكل أحد.. ويلقى خبزه على وجه المياه ليجده بعد حين (جا ١١: ١) وكما قال الرسول عنه كان يجول يصنع خيراً (أع ١٠: ٣٨) .

حتى وهو على الصليب كان يعمل :

ليس فقط عمل الفداء وهو عمله الأساسى، وانما عمل أيضاً أعمالاً كثيرة، طلب المغفرة للذين صلبوه (لو ٢٣: ٣٤) وعهد بأمه العذراء إلى يوحنا ليهتم بها ومنح يوحنا بركة أمومة العذراء له (يو١٢: ٢٦،٢٧) ومنح اللص التائب بركة الذهاب إلى الفردوس (لو ٢٣: ٤٣).

بل كان يعمل خيراً فى وقت القبض عليه .

لأنه أثناء ذلك شفى ذلك العبد (ملخس) الذى ضربه بطرس فقطع أذنه (لو٢٢: ٥٠،٥١) وأيضا دافع عن تلاميذه فقال للذين قبضوا عليه "دعوا هؤلاء يذهبون" (يو١٨: ٨) ليتم القول الذى قاله "أن الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحداً " (يو١٨: ٩).

وفى أثناء ذلك كله وخلال محاكمته، كان يطلب من أجل بطرس لكى لايفنى ايمانه (لو ٢٢: ٣١)

والله كثيراً ما يعمل فى صمت، ودون أن تطلب

الله الذى يحكم للمظلومين، والذى يحفظ الأطفال.. الذى نجى

الفتية من أتون النار (دا ٣) وخلص دانيال من جب الأسود (دا ٦) وأرسل ملاكه لينقذ بطرس من السجن (أع ١٢) وأظهر ليوحنا عجائب في الرؤيا ماكان يفكر فيها ولايطلبها (رؤ ٤،٥) واختطف بولس إلى السماء الثالثة (٢كو١٢) وما كان يفكر في هذا ولا طلبه.

وكما يعمل الله باستمرار، ملائكته أيضا تعمل :

هؤلاء الذين قال عنهم داود النبي في المزمور "يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه" (مز١٠٣: ٢٠). وقال عنهم القديس بولس الرسول " أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " (عب١: ١٤). إنهم يعملون في البشارة ونقل أوامر الله إلى الناس وتنفيذ أمره سواء بالإنقاذ أو العقوبة.

ويقول الكتاب " ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم " (مز٣٤: ٧)

ونحن البشر يريدنا الله أن نعمل وعملنا على أنواع منه

أولاً: العمل الجواني

هو عمل داخل النفس : مع النفس، تحاسبها، تؤدبها، وتصلح ما فيها، وعمل آخر داخل النفس مع الله، عمل حب، مناجاة، مشاعر فى ناموسه تلهج النهار والليل. كل هذا عمل جوانى . ولذلك فإن الراهب المنشغل بهذا العمل الجوانى يسمونه (الراهب العمال).

هناك عمل آخر يمكننا القيام به، وهو عمل المصالحة:

وهو عمل روحى، هدفه مصالحه الناس مع الله .. وفى ذلك قال القديس بولس الرسول " وأعطانا خدمة المصالحة .. نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" (٢كو٥: ١٨، ٢٠) .

عمل فى الخدمة نعمله، ونشترك فيه مع الله.

الله يعمل معنا، ويعمل بنا. وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زميله أبولس " نحن عاملان مع الله" (اكو٣: ٩). يشترك روح الله القدوس معنا فى العمل، ونصير نحن شركاء الروح القدس. ونقول لله فى الأوشية: اشترك فى العمل مع

عبيدك، فى كل عمل صالح" .

لقد قال الرب لتلميذيه: هلما ورائى فأجعلكما صيادى الناس" (مت٤: ٩).

معنى هذا أننا نسير وراءه فيجعلنا صيادين وكيف؟ نحن نرمى الشبكة، وهو يدعو السمك للدخول فيها. وهكذا يعمل معنا. ولا نقوم بالصيد وحدنا. فإن بطرس لما عمل فى الصيد وحده، بدون المسيح، قال له أخيراً "تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً " (لو٥:٥). نعمل مع الله - والله سيرى عملنا. وسوف يكافئنا عن كل عملنا. أليس هو القائل لكل راع من رعاة الكنائس: " أنا عارف أعمالك" (رؤ٢،٣). و الذى كان له تعب فى الخدمة، قال له الرب " أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك...وقد إحتملت ولك صبر، وتعبت من أجل إسمى ولم تكل" (رؤ٢: ٢،٣).

من أجل هذا يقول الرسول "كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (اكو١٥: ٥٨).

"إن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو إسمه ، إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم " (عب٦:

١٠) حتى كأس ماء بارد تسقون به أحد هؤلاء الصغار، لايضيع أجره " (مت١٠: ٤٢) حتى الذى يأتى إلى الرب فى الساعة الحادية عشرة من النهار ليخدم فى كرمه، سيأخذ أجرته كالآخرين.. هناك كلمة خطيرة أذكرها فى وجوب العمل وأهميته، وهى قول الرسول:

" **من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل ، فتلك خطية له** " (يع٤: ١٧).

إذن الخطية ليست فقط فى السلبيات، أى فى عمل الشر. و إنما أيضاً اهمال الإيجابيات، أو عدم عمل الخير هو أيضاً خطية. دفن الوزنة فى التراب خطية (مت٢٥: ٢٤).

قد يعتذر إنسان ويقول: أنا لا أعرف أن أخدم !!

مثل هذا الإنسان يذكرنى بأرميا النبى الذى قال فى طفولته للرب " لا أعرف أن أتكلم ؛ لأنى ولد " فإنتهره الرب وقال له " لا تقل إنى ولد. لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب .. ويذكرنى أيضاً بموسى النبى الذى قال " لست أنا صاحب كلام.. بل أنا ثقيل الفم واللسان" (خر٤: ١٠). ها أنا أغلف الشفتين " (خر٦: ٣٠) . ولم يقبل الله منه كل هذا الإعتذار عن الخدمة..

إن الله يعرف تماماً مقدار ما أعطاك من قدرات..

يعرف العقل الذى أعطاه لك، ويعرف الوقت الذى منحك إياه، ومقدار المعرفة التى لك، ونوع المواهب، ويعرف الظروف المتاحة لك للخدمة. فكيف يمكنك أن تهرب أو تعتذر ؟! كيف تهرب من قول (الكتاب) من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل، فتلك خطية له".. والمعروف أن "أجرة الخطية هى موت" (رو٦: ٢٣). إن الله سيحاسبك على كل معرفة وهبك إياها ولم تستخدمها. لأنه هو القائل:

" كل من أعطى كثيراً، يطلب منه كثير" (لو١٢: ٤٨) .

فإن قلت " ليست لى مواهب ". يقول لك: أعمل على قدر مالك من مواهب. على قدر ما أعطيت من وزنات : واحدة أو إثنتين أو خمس (مت٢٥) لكن لا تقف مطلقاً فى ملكوت الله خاملاً بلا عمل!! إذن لماذا خلقك الله وأوجدك؟! و لماذا جعلك عضواً فى جسده ؟! هل يوجد عضو بلا عمل ؟! إذن لابد أن تعمل، مهما كانت مواهبك محدودة فإن كنت أميناً فى هذه المواهب المحدودة، يقول لك:

" كنت أميناً فى القليل، سأقيمك على الكثير" (مت٢٥: ٢١).

وسيقول لك أيضاً " أدخل إلى فرح سيدك . الله لا يهمه القليل

أو الكثير، إنما يهمه ان تكون أميناً فيما عندك. تعمل فى خدمته على قدر طاقتك.. لكن لابد أن تعمل. وهو يكمل.. تقول له:" ليس عندى سوى دقائق معدوده فى اليوم يقول لك: إعمل عملى فيها بأمانه. وسأباركها وأجعلها تثمر.. تقول له: ليس معى سوى خمس حصوات فى حربى مع جليات !! يقول لك تكفينى منها حصاه واحدة ضعها فى مقلاعك، وأنا سأجعلها تصل إلى رأس الجبار .. والباقى أحتفظ به لأى جليات آخر يقابلك فى المستقبل..

هنا ونتكلم عن صفات العمل الذى يعمله الخادم الروحى:

أولاً : يجب أن يتصف بالأمانة لأن الرب يقول " ترى من هو الوكيل الأمين الحكيم، الذى يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم فى حينه" (لو١٢: ٤٢). وإن سألت عن حدود هذه الأمانة، يقول

" **كن أميناً إلى الموت، فأعطيك إكليل الحياة** " (رؤ٢: ١٠)..

إلى الموت، إلى حد بذل الذات، إلى حد الإستشهاد . تكون أميناً فى نوعية العمل، و فى كميته، أميناً من جهة الموضوع، ومن جهة الأشخاص مهما كلفتك تلك الأمانة من جهد، ومن ثمن وأيضاً.

٢- ولذلك تعمل عمل الرب بلا رخاوة، بلا كسل لأن الكتاب يقول:

" ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة" (أر٤٨: ١٠)

أعمل بكل حماس، وأستخدم الإمكانيات التى عندك مهما كانت قليلة .. وتذكر أن الله إشتغل بإمكانيات بشرية كانت قليلة أيضاً "إختار جهال العالم، وضعفاء العالم، والمزدرى وغير الموجود" (اكو١: ٢٧،٢٨) وإستطاع بها أن يخزى الحكماء والأقوياء. إعمل إذن، والله سيعمل فيك ومعك.. أن حصاة داود التى هزمت سيف ورمح جليات، تذكرنا باولئك الصيادين الذين وقفوا ضد فلاسفة العالم، وقادة الرومان، وشيوخ اليهود، وكل الكتبة دارسى الناموس. المهم أن تعمل، وتستخدم كل إمكانياتك مهما بدت أمامك ضعيفة. وثق أن الله سيعمل بها .

٣- أخدم بروحك وقلبك . ليس كمجرد رسميات .

ليس كمجرد واجب عهدت به إليك الكنيسة . بل ضع كل قلبك فى الخدمة . متذكراً قول الرب " يا ابنى أعطنى قلبك" (أم ٢٣: ٢٦) . وهكذا بكل مشاعرك تحب الخدمة. وتحب المخدومين، تحب الملكوت. وقبل الكل تحب الله الذى تخدمه .

٤ - ولتكن خدمتك باسلوب روحى .

لأن كثيرين أخذوا مسئوليات ضخمة فى الكنيسة . وفشلوا لأنهم

لم يسلكوا فى خدمتهم باسلوب روحى . وإنما سلكوا باسلوب إدارى. أو اجتماعى أو عقلانى. وتحولت الخدمة عندهم إلى مجرد أنشطة .

وتحولت الدروس إلى مجرد معلومات ..

أما أنت . فلتكن خدمتك بعيدة عن الذات . تقول فيها مع المرتل فى المزمور :

" ليس لنا يارب ليس لنا . لكن لإسمك القدوس إعط مجداً " (مز١١٥: ١) .

٦ – ولتكن خدمتك مملوءة بالرجاء مهما تأخر الثمر، ومهما قامت عقبات ... لا تفشل إطلاقاً. ولا تيأس . بل إلق خبزك على وجه المياه. فإنك تجده بعد أيام كثيرة " (جا ١١: ١) .

فهرست الكتاب

مقدمة ٥

الخدمة الروحية ٧

١ – ما هى الخدمة روحياً ؟............ ٨

١ – الخدمة محبة ٨

٢ – الخدمة عطاء للكل ١١

٣ – الخدمة هى غذاء روحى ١٢

٤ – الخدمة هى غيرة مقدسة ١٣

٥ – الخدمة هى جسر بين الله والناس ١٥

٦ – الخدمة هى عمل الملائكة والرسل ١٦

٧ – الخدمة هى دين علينا ١٧

٨ – الخدمة واجب ١٧

٩ – الخدمة أمانة ووزنة ومسئولية ١٩

١٠ – الخدمة هى قدوة وتسليم ٢٠

١١ – الخدمة هى إمتلاء وفيض ٢٢

١٢ – الخدمة هى إمتلاء وفيض ٢٣

١٣ – الخدمة حياة تنتقل من إنسان إلى آخر ٢٥

١٤ – الخدمة هى قوة فعالة ٢٥

١٥ – الخدمة روح وليست رسميات ٢٦

١٦ – الخدمة واسطة روحية للنمو ٢٦

٢ – مركز الله فى الخدمة ٢٨
١ – الخدمة هى تواضع من الله ٢٨
٢ – الله هو الذى يدعو إلى الخدمة ٢٩
٣ – الله هو المتكلم فى الخدمة ٣٠
٤ – الله هو الذى يعطى القوة والتأثير ٣٢
إعداد الخدام ٣٣
مثال المنائر والكواكب ٣٧
أمثلة فى التعليم ٤٢
٣ – التواضع فى الخدمة ٤٥
إنه خادم ٤٦
التلمذة ٤٩
التواضع فى التعليم ٥٢
التواضع والذات ٥٦
٤ – مقاييس الخدمة ونجاحها ٥٨
مقدار المسئوليات ٥٨
عظمة المكان ٦٣
طول مدة الخدمة ٦٥
كثرة المخدومين ٦٧
كثرة الإنتاج ٦٨
عناصر القوة فى الخدمة ٦٩

الكلمة المؤثرة ٧٠
قوة البذل ٧٣
عنصر العمق ٧٥
الخدمة فى الخفاء ٧٦
العمل الفردى ٧٩
الخدمة الصامتة ٧٩
خدمة البركة ٨٠
الخادم الروحى ٨١
٥ - الخادم الروحى ٨٢
٦ - الخادم الروحى قدوة وبركة وحياته كلها خدمة .. ٩٨
٧ - الخادم الروحى الذى يعمل الله به ١٠٥
٨ - الخادم الروحى دائماً يعمل والخدمة ضرورة
عليه ١١٥
العمل الجوانى ١١٩

البابا شنوده الثالث

الخدمة الروحية و الخادم الروحي

"الجزء الثاني"

The Spiritual Ministry & The Spiritual Minister

Vol. II

By H. H. Pope Shenouda III

1st. print

May 1994

Cairo

الطبعة الأولى

مايو ١٩٩٤

القاهرة

الكتاب : الخدمة الروحية والخادم الروحى ج ٢ .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .
الطبعة : الأولى - مايو ١٩٩٤م .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست العباسية - القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٤/٤٥٠١ .
I.S.B.N. 977 - 5345 - 17 - 0

مقدمة

نقدم لأبنائنا الخدام والخادمات الجزء الثانى من مجموعة (الخدمة الروحية والخادم الروحى) للتعريف بطبيعة عملهم فى الخدمة، وما ينبغى أن تكون عليه حياتهم فى قوتها وتأثيرها .

ولقد حدثناكم فى الجزء الأول من هذه المجموعة عن :

١ - ما هى الخدمة روحياً . وقد شمل هذا الموضوع ١٦ نقطة.

٢ - مركز الله فى الخدمة . وقد اشتمل على ٧ نقاط .

٣ - التواضع فى الخدمة .

٤ - مقاييس الخدمة ونجاحها .

٥ : ٨ - الخادم الروحى . وقد اشتمل هذا البند على أربعة موضوعات .

٩ - العمل الجوانى .

وفى هذا الجزء الثانى من المجموعة نحدثك عن :

١ - الخدمة : أهميتها - مجالتها - فاعليتها .

٢ - قوة الخدمة .

٣ - النمو فى الخدمة .

٤ – التعب فى الخدمة .

٥ – " مسحنى لأبشر المساكين .. " .

٦ – الذين ليس لهم أحد يذكرهم .

٧ – " يهيئ للرب شعباً مستعداً " .

٩ – الخادم داخل الأسرة .

وانتظر الجزء الثالث حيث نحدثك فيه عن :

١ – العمل الإيجابى .

٢ – العمل الفردى .

٣ – التشجيع .

٤ – لاحظ نفسك والتعليم .

٥ – كثيرون سقطوا داخل الخدمة ، وبعضهم هلكوا .

٦ – الجدية فى الخدمة .

٧ – الخادم فى المجتمع .

٨ – موضوعات أخرى .

وبعد ذلك الجزء الرابع بمشيئة الله .

مايو ١٩٩٤ **البابا شنوده الثالث**

الباب الأول

الخدمة

- أهميتها
- مجالاتها
- فاعليتها

الخــدمــة

أهميتها – مجالاتها – فاعليتها

أهمية الخدمة :

تحدث القديس بولس الرسول عن المواهب المتنوعة " كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان " " بحسب النعمة المعطاة لنا "، فقال " أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان. أم خدمة ففى الخدمة . أم المعلم ففى التعليم. أم الواعظ ففى الوعظ. المعطى فبسخاء المدبر فباجتهاد" (رو١٢: ٣ – ٨) .

وهكذا جعل الخدمة فى مقدمة هذه المواهب المتنوعة، لكى يرينا بهذا أهميتها ...

ربنا يسوع المسيح نفسه ، قال عن ذاته " إن إبن الإنسان لم يأت ليُخدَم ، بل ليخدم ، ويبذل نفسه فدية عن كثيرين " (مر١٠: ٤٥) . فإن كان السيد المسيح قد جاء ليخدم ، فماذا نقول نحن ،

وأية كرامة تكون للخدمة إذن؟ إن كان السيد المسيح أخذ شكل العبد ليخدم البشرية، فماذا يفعل البشر ؟

وكما جاء المسيح ليخدم ، هكذا رسله أيضاً كانوا خداماً ...

سواء من جهة الخدمة الروحية ، أو الخدمة الإجتماعية ...

من الناحية الروحية، قالوا عن أنفسهم لما أقاموا الشمامسة السبعة. "**وأما نحن فنعكف على الصلاة وخدمة الكلمة** " (أع٦: ٤).

ويقول القديس بولس الرسول عن هذه الخدمة الروحية ".. واعطانا خدمة المصالحة ... نسعى كسفراء عن المسيح ، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح، تصالحوا مع الله " (٢كو٥: ١٨، ٢٠). ويقول لتلميذه تيموثاوس " أعمل عمل المبشر ، تمم خدمتك" (٢تى٤: ٥). وفى هذه الخدمة ، قال عن القديس مرقس إنه " نافع لى للخدمة " (٢ت٤: ١١) .

أما من جهة الخدمة الأخرى ، فيقول القديس بولس أيضاً :

" **إن حاجاتى وحاجات الذين معى، خدمتها هاتان اليدان** " (أع٢٠: ٣٤).

ويمدح العبرانيين فيقول "لأن الله ليس بظالم، حتى ينسى عملكم وتعب المحبة.. إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم " (عب٦: ١٠) .

إن الآباء لم تكن لهم روح السيطرة ، بل روح الخدمة .

كانوا يخدمون الناس ، ويبذلون أنفسهم عنهم . وفى الكهنوت .
كان كل من يرسم على كنيسة ، يعتبر نفسه خادماً لهذه الكنيسة. يخدم السرائر المقدسة ، ويخدم الله ، والشعب ...

إن القديس أوغسطينوس أسقف هبو، لما صلى لأجل شعبه ، قال " أطلب إليك يارب ، من أجل سادتى، عبيدك " . فاعتبر أن أفراد هذا الشعب ، الذى يخدمه كأسقف ، هم سادته .

ولم تكن كلمة (خادم) مجرد لقب ، وإنما حقيقة واقعة .

وكان الآباء يتعبون فى هذه الخدمة ، إلى آخر نسمة ...

" فى أسفار مراراً كثيرة.. فى جوع وعطش .. فى برد وعرى، فى تعب وكد .. فى أسهار ، فى أصوام" (٢كو١١: ٢٦، ٢٧) يسهرون لأجل النفوس، كأنهم سوف يعطون حساباً " (عب١٣: ١٧). كانوا مثل الشموع ، التى تذوب ، لكى تعطى نوراً للآخرين.

وما أجمل قول الشيخ الروحانى فى الخدمة " فى كل موضع مضيت إليه، كن صغير أخوتك وخديمهم " ...

إن نزعة العظمة ، ليست دليلاً على القوة ، بل هى حرب .

أما القوى ، فهو الذى يدرب نفسه ، على أن يكون خادماً .

القديس الأنبا صرابامون أبو طرحة، كان وهو أسقف ، يحمل الطعام إلى بيوت الفقراء، فى الليل فى الخفاء، ويقرع أبوابهم،

ويترك ما يحمله أمام الباب ويمضي، وهو سعيد بخدمته .

والأنبا موسى الأسود ، كان يحمل الماء إلى قلالي الرهبان .

والقديس بينوفيوس ، كان يدرب ذاته على أن يقوم في الدير بالخدمات الحقيرة التي لا يقبل عليها الكثيرون، مثل تنظيف دورات المياه وكنس الدير، وحمل القانورات خارجاً ، وسائر عمليات التنظيف ...

والآباء كانوا يقومون بهذه الخدمات في فرح ، بلا تذمر ...

بل كانوا يتطوعون لهذه الخدمة ، دون أن يطلبها منهم أحد ..

وكانوا يقومون بها بكل تواضع قلب ، سعداء بخدمة أخوتهم .

قديس يرى رجلاً مجذوماً ، فيحمله إلى قلايته ، ويخدمه وينفق عليه مدة ثلاثة اشهر، لكي ينال بركة خدمته .

وما أكثر الآباء، الذين بصبر كثير، فرغوا أنفسهم فترات طويلة لخدمة المرضى، وخدمة الشيوخ، كما فعل يوحنا القصير، مع ابيه الشيخ الأنبا بموا، في إحتمال عجيب، حتى تنيح بسلام ، ونال بركته . وقال عنه الأنبا بموا " هذا ملاك لا إنسان " .

وكان الآباء ، إن رأوا أحداً مرهقاً في عمل ، يمدون أيديهم في محبة ليحملوا العبء عنه ، كما قال الرب " تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت١١: ٢٨) .

محبة الخدمة :

وفى الخدمة نراعى أمرين: محبة الخدمة ، وروح الخدمة .

فمن جهة محبة الخدمة ، يحب الشخص أن يعين كل من هو فى حاجة، ولا يستطيع أن يقوم بنفسه . ومع محبة القلب لكل المحتاجين والإستعداد لمعونتهم ، قد يوجد تخصص فى الخدمة : فهناك من يجد لذة فى خدمة الأيتام بالذات ، وإعطائهم ما فقدوه من حنان الأبوة أو الأمومة . وهناك من يجد لذة فى خدمة المرضى ، أو العجائز، أو المسنين ، أو أطفال الحضانة ، أو المصدورين، أو العائلات الفقيرة ، أو الطلبة المتغربين ، أو الفتيات المعرضات للضياع أو للإنحراف ...

ومحبة الخدمة تلازمه فى بيته وفى عمله ، وفى كل مكان .

إن جلس على المائدة ليأكل، يطمئن أن الجالسين معه لا ينقصهم شئ، فيحضر لهذا كوب ماء. ويقرب من ذاك الملح أو الخبز .. وإذا انتهى الطعام يساعد في ترتيب المائدة وحمل الأوانى، ولا يتركها ثقلاً على الوالدة أو الأخت أو الزوجة .

كذلك إن قام من فراشه ، يرتبه ، وإن خلع ملابسه ، لا يتركها مبعثرة هنا وهناك فى إنتظار من يجمعها .

لأن هناك من له خطأ مزدوج : فهو من ناحية لا يخدم غيره . ومن ناحية أخرى يترك نفسه ثقلاً على الآخرين ليخدموه .

والخادم الحقيقى إنسان حساس نحو إحتياجات الناس : يجلس ويدرس ويتأمل، ماذا يحتاج إليه الغير، وكيف يدبر لهم إحتياجاتهم.

وهذا أيضاً هو عمل الراعى النشيط والخادم الروحى الناجح ، الذى يدرس ما يحتاج إليه الناس ، يدبر المشروعات والأنشطة التى تفى بكافة إحتياجاتهم روحية ومادية، دون أن يطلبوا منه ذلك.

كثير منا من ينتقد الآخرين ، وقليلون من يهتمون بإصلاحهم.

النقد سهل يستطيعه كل أحد . ولكن إصلاح هؤلاء المخطئين ، هو العمل الروحى ، المملوء من المحبة العملية ، النافع للملكوت . لأنه لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى .

سهل أن تطرد ولداً شاذاً من فصلك . والمطلوب إصلاحه .

ولاشك أنها خدمة عميقة ولازمة ، أن يتفرغ البعض لخدمة الأطفال والطلبة الشواذ . ما أعظم أجر هذه الخدمة عند الله !

ما أجمل أن تخدم الأماكن التى لايوجد فيها أسم المسيح على الأطلاق ، أو أن تخدم الذين يسخرون من الدين والتدين ! أو الذين لا يخدموا الكنيسة قبلاً ، ولا يريدون ...

غالبية الخدام يبحثون عن الخدمة السهلة المعدة ، وأن يدخلوا

على ما لم يتعبوا فيه ، ويبنوا على أساس وضعه آخر ...

أما المجاهدون الكبار ، فهم الذين يتعبون فى تأسيس خدمات غير موجودة ، ولا مانع أن يدخل خدام آخرون على تعبهم .. فهكذا فعل السيد المسيح ، وترك لنا مثالاً لنعمل .

قال الرب : الحصاد كثير ، والفعلة قليلون . أطلبوا من رب الحصد أن يرسل فعلة لحصاده . وفى كل مكان نجد هذا الإحتياج .

ولعلنا نقول : كان الفعلة قليلين فى ذلك الزمان يارب . أما الآن فلنا عشرات الآلاف من الخدام يعملون فى كرمك . فهل مازالت تنطبق علينا عبارة " الفعلة قليلون " ؟!

نعم . الفعلة الذين لهم قوة الروح فى الخدمة قليلون.

أقصد الفعلة الذين يعمل فيهم روح الله بقوة ، الذين لخدمتهم تأثيرها العميق وثمرها المتكاثر . لاشك فى أن هؤلاء قليلون . فالمسألة ليست مسألة عدد، وإنما المهم هو وجود الخدام الذين لهم فاعلية و تأثير، وقوة وروح. الذين فى أفواههم كلمة الرب الحية الفعالة .

فاعلية الخدمة

إن الإثنى عشر لم يبدأوا الخدمة إلا بعد أن حل الروح القدس عليهم ونالوا منه قوة (أع١: ٨) ، ولبسوا قوة من الأعالى (لو٢٤:

٤٩) . حينئذ " إلى أقاصى المسكونة بلغت أصواتهم " وفى كل الأرض خرج منطقهم " (مز ١٩: ٤) ...

أسطفانوس الشماس ، لأنه كان مملوءاً من الروح القدس والحكمة، لذلك لما وقفت أمامه ثلاثة مجامع فلسفية " لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به " (أع٦: ١٠) .

وبفاعلية عمل الروح فى العصر الرسولى " كانت كلمة الرب تنمو ، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم .." (أع٦: ٧) " وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون " (أع٢: ٤٧) " والكنائس فى جميع اليهودية والجليل والسامرة ، كان لها سلام ، وكانت تبنى وتسير فى خوف الرب . وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر " (أع٩: ٣١) .

أما نحن فلنا عشرات الآلاف من المدرسين ، ولكن الخدام العاملين بالروح قليلون ...

تأملوا خادماً واحداً مثل بولس الرسول .. لاشك أن إختياره كان حادثاً خطيراً فى الكنيسة . لقد تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) . وتألم وجاهد أكثر من الكل " عدا الأهتمام بجميع الكنائس " وغيرته التى يقول فيها " من يعثر ، وأنا لاألتهب ؟! " (٢كو١١: ٢٨، ٢٩) . هذا الذى دُعى " رسول الأمم " . ووصلت

خدمته من أورشليم إلى أنطاكية إلى قبرص ، ثم إلى آسيا الصغرى وبلاد اليونان ، وإلى رومه ... وكتب ١٤رسالة ، وكرز وهو في السجن .

أتنا مستعدون أن نستغنى عن عشرات الآلاف من الخدام الذين معنا ، في مقابل بولس واحد ...

وستكون خدمته أكثر فاعلية من الآلاف ...

ربما نجد في أحد فروع الخدمة خمسين خادماً ، ولكن بلا حرارة في خدمتهم . ثم يلتحق بالخدمة خادم جديد ، فيُحول الخدمة إلى لهيب نار بقوة الروح الذى فيه ...

إن ألسنة النار التى حلت على التلاميذ في يوم البندكستى ، أعطتهم لساناً نارياً وكلمات نارية ، وخدمة لها لهيب وفاعلية ، وحرارة في الروح ، وحرارة في الصلاة ، وحرارة في الحركة والأسفار ..

إنها جمرات نار ، ظل العالم يتقاذفها ، حتى أشتعل العالم كله ناراً ، ألهبت القلوب بالإيمان ...

أنظروا ماذا فعل أوغسطينوس مثلاً ، حينما دخل في محيط الخدمة .. وكيف أن تأثيره لم يقتصر فقط على جيله ، وإنما حتى الآن مازلنا نستفيد من تأملاته ..

وتادرس تلميذ باخوميوس ، لما صار راهباً ، كم كان أعمق التأثير الذى أحدثه فى الحياة الرهبانية فى جميع الأديرة . وكذلك يوحنا القصير الذى قيل عنه إن الأسقيط كله كان معلقاً بأصبعه ..

حقاً ، هناك أشخاص فى كل جيل ، مميزون فى خدمتهم . خدّام من طراز خاص . كل منهم " معلّم بين ربوة " (نش٥: ١٠)

أما نحن الآن : قلنا خدام يخدمون الفصول العادية . ولكن الذين لهم قدرة على خدمة إجتماعات الشبان والشابات ، والأسرات الجامعية ، وإعداد الخدام ، أو الذين يتكلمون فى مؤتمرات الخدمة. فلاشك أنهم قليلون ...

والعجيب ، أنه على الرغم من إحتياج الخدمة ، نجد خداماً يتشاجرون ويتنافسون فى مكان للخدمة ، تاركين ميادين عديدة غير مخدومة .

فى تشاجرهم وتنافسهم ، لايعطون مثالاً عن روحانية الخدام ، بل يكونون عثرة ، إذ يفقدون روح المحبة والتعاون وإنكار الذات. وفى نفس الوقت توجد مجالات عديدة تستوعب كل طاقة مستعدة للخدمة ، وهم يتجاهلونها ، من أجل محبتهم لمكان أو وضع بالذات، دون محبة النفس البشرية أينما كان موضعها ...!

مجالات الخدمة :

إننا لو أحببنا النفوس المحتاجة فى كل مكان، ما تنافسنا مطلقاً

على خدمة . فالميادين واسعة. والخدمة بذل وليست تنافساً.

الذى يتنافس فى الخدمة ، إنما تهمه ذاته وليس الخدمة .

فإن كانت الخدمة تشغل كل قلبه ، فإنه يعمل على نجاحها بأية الطرق ، وعلى يد أى شخص غيره . فالمهم هو نجاح الخدمة .

والذى يحب الخدمة ، لايشكو إن ثقلت أعباؤها عليه .

بل هو على العكس يفرح بنمو الخدمة ، ويجد لذة فى أن يحمل أثقال الناس ، كما حمل المسيح أثقال العالم كله .

ولذلك فإن هذا الخادم لايرفض أية خدمة تُعرض عليه ، ولا يفضل خدمة على أخرى ، فيقبل هذه ويرفض تلك ...!

لأن هنا يبدو المزاج الخاص، وليس الإهتمام بإحتياج الآخرين!

إن الخدمة تتسع للجميع . كل من يريد ، يجد مجالاً .

ما أجمل أن نجد مجالاً فى الخدمة للأشخاص الفاضلين الذين "يحالون إلى المعاش" مستفيدين من وقت الفراغ الذى لهم ، ومن وقار السن ، ومن خبرة الحياة ، ومن مواهبهم ومقدراتهم المتعددة. كما أن الخدمة تعطيهم حيوية ونشاطاً ، وتشعرهم بأن رسالتهم فى الحياة لم تنته ، وأن الكنيسة والمجتمع لا يستغنيان عنهم . فالخدمة تستفيد منهم ، وهم أيضاً يستفيدون منها .

كذلك توجد مجالات واسعة لخدمة النساء فى الكنيسة .

سواء فى مدارس الأحد ، أو الخدمة الإجتماعية ، أو الإشراف

على نظافة الكنيسة ، وعلى تنظيم النساء فيها ...

والمرأة يمكن أن تُكرس للخدمة ، وتعمل عمل الشمامسة .

وفى هذا المجال يمكن أن تشرف على خدمات معينة ، مثل دور الحضانة ، وخدمة المشاغل ، وترتيب النساء فى التناول ، وأثناء المعمودية . كما تخدم فى إفتقاد العائلات، وفى زيارة المرضى، وفى مجال العزاء ، وفى الإشراف على بيوت الطالبات، وعلى بيوت المغتربات ..

حقاً كما قال الرب : فى بيت أبى منازل كثيرة .

ليس فقط فى الأبدية ، وإنما على الأرض أيضاً، يوجد منازل ومنزلة لكل أحد فى بيت الله ...

مميزات الخدمة الروحية :

١ - حرارة الخدمة وإلتهابها :

إنها الخدمة الباذلة التى لا تقف عند حدّ.. مثلها قول الرسول "إذ الضرورة موضوعة علىّ، فويل لى إن كنت لا أبشر.. أستعبدت نفسى للجميع ، لأربح الكثيرين .. صرت للضعفاء كضعيف ، لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شئ، لأخلص على كل حال قوماً.. (اكو٩: ١٦- ٢٢) .

٢ - الإفتقاد فى الخدمة :

آباؤنا الرسل لم يؤسسوا خدمات ويتركوها بلا متابعة . بل على العكس ، كانوا يتابعون خدمتهم ويفتقدونها بشتى الوسائل: بالرسائل، بتلاميذ من قبلهم ، كما كان بولس يرسل تيطس أو تيموثاوس، وكثيراً ما كانوا يفتقدونهم بزيارات خاصة، كما قال القديس بولس عبارته المملوءة محبة " لنرجع ونفتقد أخوتنا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم" (أع١٥: ٣٦) .

٣ - خدمة مملوءة بالروح القدس :

وما أجمل قول الكتاب فى ذلك " وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع. ونعمة عظيمة كانت على جميعهم " (أع٤: ٣٣) .

من طبيعة الخدمة الروحية أنها قوية، لأنها بالروح ..

ولأن كلمة الرب " حية وفعالة، وأمضى من كل سيف ذى حدين..." (عب٤: ١٢). ولذلك فإنها " لا ترجع فارغة ، بل تعمل كل ما يسرّ الرب به ، وتنجح فيما يرسلها له (أش٥٥: ١١) .

٤ - خدمة مملوءة حباً :

السيد المسيح " أحب خاصته ... حتى المنتهى " (يو١٣: ١)

وبنفس الحب خدم الرسل . فلم تكن مجرد خدمة رسمية ...

الباب الثاني

قوة الخدمة

قوة الخدمة

إن قوة الخدمة تكمن فى عمق تأثيرها، وليس فى كثرة المخدومين .

ليس المهم عدد السامعين ، بل عدد التائبين منهم .

نعم ، قوة الخدمة ليست فى عدد التلاميذ، إنما فى عمق الإيمان الذى فيهم .. إن العظة قد يسمعها عدد كبير من الناس . ولكننا لا ندرى كم هم الذين تأثروا بها، وكم هم الذين حولوا هذا التأثير إلى حياة . وتحسب قوة العظة بمقدار الذين حولتهم إلى الحياة مع الله .

واجتماع الخدام لا تحسب قوته بعدد المحاضرات أو الخدام الحاضرين.

إنما قوة إجتماع الخدام هى فى عدد ما ينتجه من المكرسين .

والكنيسة التى لا تقدم مكرسين للخدمة، أو للكهنوت أو للرهبنة، بلاشك خدمتها ضعيفة . لأن الخدمة القوية هى خدمة ولود ...

وهناك ملاحظة ، وهى أن الخدمة قد لا تأتى بنتيجة سريعة !!

ولكنها لابد أن تأتى بنتيجة ، ولو بعد حين ..

القديس بولس الرسول بكل عظمتــه الروحية ، وبكل قوتـه فـى الخدمة : لما تكلم فى أثينا عاصمة اليونــان استهزأوا بـه، وتهكمـوا عليه قائلين " ماذا يريد هذا المهزار أن يقول؟!" (أع ١٧: ١٨) .. ولـم يخـرج بنتيجـة إلا بشـخص واحـد هـو ديونسيوس الأريوبـاغى الذى صـار أسقفاً لأثينا فيما بعد .. ولكن مـا لبثـت أثينـا أن صـارت كلها مسيحية بعد حين .

السيد المسيح كـانت لـه خدمـة عامـة وسـط الجمـوع والآلاف . وكانت له أيضاً خدمة وسط سبعين رسولاً .

ولكـن كـانت هنـاك خدمـة مركـزة وسط الأثنـى عشـر . وهـذه ظهرت قوتها العظيمة فى نشر الإيمان .

هؤلاء الذين لا قول لهم ولا كلام ، إلى أقصى المسـكونة بلغت أقوالهم (مز ١٩) . وعلى أيديهم كان ملكوت اللـه قد أتـى بقـوة .. ومعهم أيضاً كانت القوة التى عمل بها القديس بولس بحسـب النعمـة الممنوحة لـه. هذا الذى قال " قد تعبت أكثر من جميعهم. ولكن ليـس أنا، بل نعمة الله العاملة معى " (اكو ١٥: ١٠) .

أتذكر إننى حينمـا كنت طالبـاً فـى الكليـة الإكليريكيـة ، وكـانت دفعتنا خمسة طلبة، أن وقف أحد الأساتذة فى حفل التخرج وقال:

نحن لا ندرّس خمسة طلبة فى الكلية، وإنما خمس مدن .

كان يعتبر كل طالب منا مدينة ، أى أنه بعد التخرج سيتكرس خادماً للرب يتولى رعاية إحدى المدن . وللأسف لم يتكرس من دفعتنا سوى طالب واحد ..

نعود إلى خدمة الآباء الرسل فنقول إن خدمتهم لم تكن تقاس بعدد الذين يسمعونهم ، وإنما يقول الكتاب فى ذلك :

"**وكان الرب فى كل يوم يضم للكنيسة الذين يخلصون**" (أع ٢: ٤٧).

نعم ، الذين يخلصون ، وليس كل الذين يسمعون .. هنا قوة الكلمة التى تفتح الطريق إلى الخلاص ...

وهكذا عندما توليت مسئوليتى الحاضرة ، بدأت بتقسيم الإيبارشيات لكى يكون كل أسقف مسئولاً عن منطقة محددة ، يستطيع فيها أن يخدم منطقة مركزة، تكون خدمته فيها قوية ومثمرة.. وقد كان ...

فى القديم كان المطارنة مسئولين عن إيبارشيات واسعة جداً ، لا يقوى المطران على رعايتها كلها . أما الآن فكل أسقف يستطيع أن يزور كل مدينة وكل قرية فى إيبارشيته، ويرعى الجميع ...

ونفس الوضع نقوله بالنسبة إلى كل كاهن فى كنيسته ...

لم يكن صالحاً للخدمة أن يكون أب كاهن وحده فى كنيسة، يقوم

برعاية عدة آلاف، يبلغون فى بضع الكنائس خمسة عشر ألفاً أو أكثر. فكان لابد من سيامة كهنة جدد فى الكنائس تتوزع عليهم الخدمة، فيقومون بها بجدية، يهتمون بكل فرد ويقودونه إلى حياة التوبة والنقاوة .

فليست قوة الخدمة في عدد التابعين لك، وإنما فى عدد الذين توصلهم إلى معرفة الله ومحبته .

بعض الطوائف قد يكثر عدد الحاضرين في اجتماعاتها، بسبب المعونات المادية التى تقدم لهم، بينما لا يكون الإيمان ثابتاً فى قلوبهم. فإن توقفت المعونات ، توقف الحضور إلى الكنيسة !! فهل ندعو هذه خدمة ؟!

وهناك كنائس تهتم بالأنشطة وليس بالروحيات !!

فتجد فى الكنيسة المشغل والمعرض لعمل السيدات، وتجد النادى للشباب، وبيتاً للمغتربين وآخر للمغتربات. وكذلك تجد بيتاً للمسنين، مع عدد آخر من المشروعات ، دون الإهتمام بالحياة الروحية. ولكن حسناً قال الرب "وكان ينبغى أن تفعلوا هذه ولا تتركوا تلك" (مت٢٣: ٢٣) .

أما الخدمة الروحية ، فهى الخدمة القوية فى تأثيرها .

بطرس الرسول بعظة واحدة فى يوم الخمسين، قد جذب إلى

الإيمان ثلاثة آلاف نفس (أع ٢). وهذه القوة التى تميزت بها العظة، كان سببها أن قائلها كان ممتلئاً بالروح القدس .

لم يقل الكتاب أن الناس تابوا نتيجة لعظته، وإنما نخسوا فى قلوبهم، وقبلوا الإيمان ، واعتمدوا . بينما وعاظ كثيرين يلقون آلاف العظات، ولا يدخل فى الإيمان شخص واحد ...

بولس الرسول – وهو أسير – حينما كان يتكلم عن البر والدينونة والتعفف، ارتعب فيلكس الوالى (أع ٢٤: ٢٥) .

السيد المسيح قال كلمة واحدة ، جعلت سامعها يترك كل شئ ويتبعه .

كان متى جالساً فى مكان الجباية ، فقال له السيد "اتبعنى" . فترك مكان الجباية وتبعه . ولم يقل له محاضرة فى التكريس ، وإنما كلمة واحدة، ولكنها كلمة قوية فى تأثيرها وفى روحها جعلته يترك كل شئ ويتبعه .. وهكذا حينما قال لسمعان بطرس وإندراوس أخيه "هلما ورائى، فأجعلكما صيادى الناس" .

المهم هو عمق الكلمة ، وقوة تأثيرها .

وليس عدد العظات أو عدد المؤلفات ، أو كثرة الأنشطة أو كثرة المؤسسات .. هذه هى الخدمة التى نريدها : أشخاص لهم قوة الروح، يكرزون كرازة لها قوة التأثير ، وكلمتهم لا ترجع إليهم

فارغة، بل تأتى بثمر ، وثمر كثير ...

ما هى إذن عناصر القوة فى الخدمة ؟

هى مقدار ما فى الخدمة من عمق ، ومن حب وبذل. وأيضاً ما فيها من تأثير، ومن قدرة على تغيير النفوس إلى أفضل .

ومن الأمثلة على القوة فى العمل، ذهاب أبينا أبراهيم ليقدم إبنه الوحيد إسحق محرقة حسب أمر الرب له ...

لاشك أن أبانا إبراهيم قدم ذبائح لا نستطيع أن نحصيها ، فى كل مكان كان يذهب إليه . ولكن هذه الوحيدة هى التى لا يمكن أن تنسى وسط جميع ذبائحه . مع أنها كانت بمجرد النية ولم تتم !!

كانت هذه الذبيحة (بالنية) أعظم من جميع ذبائحه التى تمت فعلاً .

بل كانت أعظم من جميع الذبائح التى قدمها الناس طوال عصور التاريخ. وقد سجلها الكتاب، كدرس للأجيال، لأنها تحمل قوة لا يعبر عنها فى الحب والبذل، وفى الطاعة والإيمان، وفى ضبط النفس ..

عمل آخر له قوته ، هو تقديم الأرملة للفلسين. إنه مبلغ بسيط، ولكنه كان من أعوازها. لذلك امتدحها الرب، واعتبر إنها قد أعطت أكثر من الجميع. القوة هنا هى فى نوعية العمل، وليس فى

كميته.. لأنها أعطت من أعوازها، وهى محتاجة وفقيرة وأرملة .

ويمكن أن توجد للأرملة التى أعطت الفلسين، أمثلة فى الخدمة

منها ذلك الخادم، الذى لا يمكن أن يعتذر عن الخدمة، وهو فى أيام الامتحانات، مع احتياجه لكل دقيقة للمذاكرة والمراجعة والأستعداد للامتحانات.. ولكنه يذهب إلى الخدمة. ولا ينسى له الله ذلك أبداً . لأن الوقت الذى أعطاه للخدمة، قد أعطاه من أعوازه..

ومثله الذى يذهب إلى الخدمة. وهو مريض، ومحتاج إلى الراحة. ولكنه يبذل من هذه الراحة التى هى من أعوازه، ويقدمها للخدمة . وبالمثل الموظف الفقير المحتاج ، الذى كل مرتبه لا يكفيه. ومع ذلك يقدم العشور، وربما يكون مديوناً وقتذاك .

إن العطاء من الأعواز ، يدل على حب وإيمان :

حب للذين يعطيهم ، ولله الذى أعطى الوصية .

وإيمان بأن الله لابد أن يعوض ، ويبارك القليل .

كما يدل هذا العطاء أيضاً على الإهتمام بالغير أكثر من الذات، ففيه إذن إنكار للذات. وهكذا فعلت أرملة صرفة صيدا، حينما قدمت قليل الدقيق والزيت الذى عندها لإيليا النبى، أثناء المجاعة...

قوة العمل تظهر أيضاً فى قصة داود أمام جليات ...

إن حروباً كثيرة عرفها العالم وسجلها التاريخ . ولكن لا يوجد

فيها كلها ما يماثل حرب داود مع جليات ..

كان داود طفلاً بالقياس لذلك الجبار . لم تكن له قوته ولا اسلحته، ولا خبرته في الحروب، ذلك الذي خاف منه كل الجيش ..

ولكن قوة داود كانت في غيرته وفي إيمانه ..

غيرته في قوله " من هو هذا الأغلف حتى يعير شعب الله؟! " وايضاً في قوله " أنا أذهب وأحاربه " ..

أما إيمانه ففي قوله لذلك الجبار " اليوم يحبسك الرب في يدى " أنت تأتيني بسيف ورمح، وأنا آتيك باسم رب الجنود .." .

من أجل قوة داود – في غيرته وإيمانه – هتفت النسوة قائلات "ضرب شاول ألوفه، وداود ربواته " .. فما هي تلك الربوات ؟

كانت هذه المرة الوحيدة في حروب داود تساوى ربوات ...

كم من حرب خاضها داود، وكم كانت له من انتصارات ، فيما بعد وهو قائد عظيم. ولكنها كلها لا تقاس بتلك الحصاة الملساء التي إرتكزت بإيمانه في رأس جليات .. كانت تساوى ربوات، إذ كان لها عمق معين، في غيرته التي لم تقبل تعييرات ذلك الجبار. كذلك كان هناك عمق آخر في عدم خوفه، وعدم رهبته للموقف، بل تقدمه للصفوف بمقلاعه وحصواته بكل إيمان أن الله سيدفع الجبار إلى يده، إلى يده الصغيرة الملساء مثل حصاته..! حقاً هذه قوة ...

ليست مجرد العمل ، بل القوة التى فيه ، الإيمان الذى فيه ...

قوة الخدمة قد تظهر أيضاً فى نتائجها :

مثل قوة القديس أثناسيوس الرسولى فى الدفاع عن الإيمان. وكيف أنه استطاع أن يحول دفة الموقف كله . وكما قال عنه القديس جيروم : "مرّ وقت كاد فيه العالم كله أن يصبح أريوسياً، لولا أثناسيوس" ... وبالمثل نقول عن قوة حياة القديس أنطونيوس الكبير، التى جذبت بتأثيرها الكثيرين، حتى إنتشرت تلك الحياة الملائكية فى العالم أجمع ..

هناك خدمة قوية ، ولا يلاحظها الناس ، لأنها فى الخفاء .

قد يكون هناك اجتماع ناجح، وتلقى فيه عظة قوية لها تأثير عميق. وربما يكون سبب هذا النجاح كله، اجتماع صلاة من أجل الاجتماع. ركب منحنية أمام الله تصلى من أجل أن يمنح الله كلمة للواعظ واستجابة من المستمعين .. هؤلاء المصلون لا يراهم أحد، ولكنهم يمثلون قوة فى الخفاء ...

الناس يعجبون بالنجف الساطع الضياء، ولا يرون الموتور المولد للكهرباء !

ويمتدحون الضياء الذى يرونه، ولا يذكرون إطلاقاً المولد الكهربائى الذى هو سبب القوة . لكنه يعمل فى الخفاء. إنها خدمة

الأساس المخفى وليس البناء الظاهر.

وكم من خدمات قوية جداً تعمل فى الخفاء، ولا يراها أحد، مثل إرجاع مرتد إلى الإيمان، أو هداية فتاة منحلة، أو مصالحة أسرة متخاصمة. إنها خدمة فى الخفاء، ولكنها قوية. وقد تكون وراءها خدمة أخرى قوية، وفى الخفاء. وهى قداس مرفوع لأجلها، وله قوته ..

هناك نوع آخر من الخدمة القوية غير الظاهرة وهى الخدمة الفردية :

الناس دائماً يمتدحون الاجتماعات العامة القوية . ونادراً ما يلتفتون إلى الخدمة الفردية التى قد تكون أكثر وقعاً وتأثيراً وتأتى بنتيجة قوية فى القيادة إلى الملكوت . وتدخل فيها أيضاً خدمة الافتقاد، والجلسة الروحية بين أحد الآباء الكهنة وأسرة من رعيته. تُرى لو خيرت بين إلقاء عظة فى اجتماع يحضره المئات، وخدمة فردية لشاب ضال، أيهما تختار؟

لعازر الدمشقى سافر فى خدمة هامة لإختيار زوجة لاسحق أصبحت جدة للمسيح. وقد يسرّ الله طريقه. ولاشك أن أبانا ابراهيم كان يصلى بحرارة من أجل ذلك . وهنا نسأل :

أكان نجاح المهمة بسبب صلاة أبينا إبراهيم، أم بإخلاص لعازر الدمشقى؟

قطعاً كان النجاح بكليهما : بالعمل الظاهر للعازر فى أمانته ومحبته لسيده ، وفى العمل المخفى لإبراهيم. وقبل كل شئ لنعمة الله الذى " يسرّ طريقه "، وهكذا فى الخدمة القوية ، تتحد قوة العمل وقوة الصلاة .

هناك نوع آخر من الخدمة القوية، وهو خدمة القدوة والبركة.

خدمة القدوة هى خدمة صامته، ولكنها ذات تأثير أقوى من خدمة الكلمة، لأنها تقدم النموذج العملى للحياة الروحية، وهو بلاشك أقوى من مجرد الكلام عن تلك الحياة ...

أما خدمة البركة ، فتتجلى فى حياة أولئك الذين كانوا بركة فى أجيالهم. لقد قال الرب أثناء شفاعة ابراهيم فى مدينة سادوم " إن وجد عشرة (ابرار)، لا أهلك المدينة من أجل العشرة " (تك ١٨). لم يقل إن صلى هؤلاء العشرة من أجل المدينة، وإنما إن وُجدوا. مجرد وجودهم هو خدمة كبيرة لأجل المدينة .. لا يهلكهم الرب لأجلهم ..

كان إيليا بركة فى بيت أرملة صرفة صيدا. وكان أليشع بركة فى بيت الشونمية. وكان يوسف الصديق بركة فى أرض مصر .

بل كان أبونا نوح بركة للعالم كله . من أجله استبقى الله حياة للبشر استمرت على الأرض .

الباب الثالث

النمو
في
الخدمة

النمو فى الخدمة

فى الواقع أن النمو هو شرط أساسى من شروط الخدمة الناجحة. فالخدمة الروحية هى خدمة دائمة النمو .

ونمو الخدمة له مظاهر متعددة . فهو نمو فى العدد ، سواء بالنسبة إلى الخدام أو المخدومين . وكذلك فى تفاصيل الخدمة وفى نوعيتها . كما أنه أيضاً نمو فى الروح . ولنبدأ بالنمو فى العدد :

النمو فى العدد :

ولعل أبرز مثال لذلك هو خدمة السيد المسيح ورسله القديسين:

بدأ السيد المسيح بإثنى عشر تلميذاً (مت١٠) ثم بسبعين آخرين (لو١٠) نسمع عن مائة وعشرين يوم اختيار متياس (أع١: ١٥) . ونسمع أيضاً عن أكثر من خمسمائة أخ ظهر لهم السيد دفعة واحدة بعد قيامته (١كو١٥: ٦) . كما نعرف أنه كانت تزحمه الجموع، وآلاف كانوا يسمعونه (يو٦: ١٠) .

وإزداد العدد، فاعتمد ثلاثة آلاف فى يوم الخمسين (أع٢: ٤١)

وبعد شفاء الرجل الأعرج على باب الجميل ، آمن كثيرون

"وصار عدد الرجال نحو خمسة آلاف " (أع٤: ٤) . واستمر النمو حتى يقول الكاتب فيما بعد " وكان مؤمنون ينضمون إلى الرب أكثر، جماهير من رجال ونساء" (أع٥: ١٤) .

بل في كل يوم ، كان ينضم إلى الكنيسة مؤمنون جدد .

وفي ذلك يروى سفر أعمال الرسل فيقول " وكان الرب في كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون " (أع٢: ٤٧) . ويتطور الأمر حتى قيل وقت اختيار الشمامسة السبعة "وكانت كلمة الرب تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً في أورشليم ، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان " (أع٦: ٧) ؟

ثم بعد ذلك نسمع عن إتضمام مدن وشعوب .

ليس فقط في أورشليم ، وإنما أيضاً في كل اليهودية والجليل والسامرة . حتى الذين تشتتوا من جراء الإضطهاد ، "جالوا مبشرين بالكلمة " (أع٨: ٤) . وإذا بالسامرة قد آمنت ، وأرسل إليها مجمع الرسل بطرس ويوحنا لكي يمنحاهم الروح القدس بعد أن اعتمدوا (أع٨: ١٤– ١٧) . ويسجل سفر أعمال الرسل عبارة جميلة جداً عن هذا النمو يقول فيها :

" وأما الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة ، فكان لها سلام ، وكانت تبنى وتسير في خوف الرب . وبتعزية الروح

القدس كانت تتكاثر " (أع٩: ٣١) .

وانتقل العمل الكرازى إلى " فينيقية وقبرص وأنطاكية " " وآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب " . " واجتمع برنابا وشاول فى الكنيسة فى أنطاكية سنة كاملة ، وعلما جمعاً غفيراً . ودُعى التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً " (أع١١: ١٩– ٢٦) .

وبنشاط القديس بولس الرسول ومساعديه إزداد نمو الكنيسة ، وانضم إليها كثيرون من بلاد اليونان ، فى مكدونية ، فى تسالونيكى، وفيلبى، وبيريه، وغير ذلك " فآمن كثيرون منهم ، ومن النساء اليونانيات الشريفات ، ومن الرجال عدد ليس بقليل " (أع١٧: ١٢) . ثم انتقل الإيمان إلى أثينا (أع١٧) .

وانتقل الإيمان إلى رومه ، حيث ذهب إليها القديس بولس وبشرها .

وهناك " أقام بولس سنتين كاملتين في بيت أستأجره لنفسه . وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه ، كارزاً بملكوت الله ، ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح ، بكل مجاهرة بلا مانع " (أع٢٨: ٣٠، ٣١) . وذهبت الكرازة إلى مصر والشرق ، وهكذا إزداد النمو عددياً وجغرافياً ، وتحققت فيهم نبوءة المزمور :

" فى كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم"

(مز١٩: ٤) .

واستطاعت كنيسة الرسل فى حوالى ٣٥ سنة بعد القيامة ، أن تنفذ وصية السيد المسيح الذى قال لتلاميذه " وتكونون لى شهوداً فى أورشليم ، وفى كل اليهودية والسامرة ، وإلى أقصى الأرض " (أع١: ٨) . وأيضاً قوله لهم " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم.." (مت٢٨: ١٩) . " اذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها " (مر١٦: ١٥) .

وقد نجحوا فى ذلك ، على الرغم من كل المقاومات ...

سواء مقاومات اليهود ومؤامراتهم ، والقائهم فى السجون ، أو مقاومات مجامع الفلاسفة (أع٦: ٩) ... أو محاكمات الدولة الرومانية . وعلى الرغم من الإضطهادات المريرة وعصور الإستشهاد القاسية ، وعلى الرغم أيضاً من قلة الإمكانيات التى كانت لهم .

نقول هذا لنعاتب ، ليس فقط الذين توقف نموهم ، بل نقص عددهم فى بعض المناطق بنمو عمل الطوائف الأخرى وأنشطتهم وإغراءاتهم !!

كل من تقابله ، كلمه لتجذبه إلى الله أرثوذكسياً كان أو غير أرثوذكسى .

اذهب والقِ بذارك على كل أرض ، كما فى مثل الزارع الذى

ألقى البذار ، ليس فقط على الأرض الجيدة ، وإنما حتى على الأرض المحجرة والأرض المليئة بالشوك، والأرض التي ليس لها عمق (مت١٣: ٣-٩) . وفى عملك كخادم ، اذكر الرمز فى كلمة الرب التى قالها منذ بدء الخليقة ، وفي أيام نوح :

" **اثمروا واكثروا واملأوا الأرض ، واخضعوها** " (تك١: ٢٨) (تك٩: ١) .

ولا تؤخذ هذه الآية من الناحية الجسدانية أو المادية فقط ..، وإنما بمعناها الروحى أيضاً .. وعبارة " اخضعوها " فى (تك١: ٢٨) . تعنى من الناحية الروحية " اخضعوها لكلمة الله، أو لوصيته. وهكذا نصلى كل يوم قائلين فى المزمور " فلتعترف لك الشعوب يا الله، فلتعترف لك الشعوب كلها ... ليُعرف فى الأرض طريقك ، وفى جميع الأمم خلاصك " (مز٦٧: ٢، ٣) .

والعجيب أن داود النبى صلى هذا المزمور فى وقت كان اليهود فيه ينادون بأنهم شعب الله المختار !! ولكنه صلّى من اجل الشعوب ، ومن أجل خلاص الأمم كلها ... ألعلها كانت نبوءة عن خلاص الأمم ؟ أو هى معرفة نبوية بمحبة الله لكل الشعوب ، وإنتشار الإيمان بين الكل ...!

أمثلة للنمو :

✧ أعطانا الرب فكرة عن ذلك فى مثل "حبة الخردل "، إذ قال: "يشبه ملكوت السموات حبة خردل . أخذها إنسان وزرعها فى حقله . ولكن متى نمت، فهى أكبر البقول ، وتصير شجرة . حتى أن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها " (مت١٣: ٣١، ٣٢) .

إن مثل البذرة النامية يبكتنا كثيراً فى خدمتنا .

كيف أن بذرة صغيرة تصير شجرة عظيمة ، بنموها ... وأنت أيها الخادم ، هل نموت وزدت نمواً حتى تآوت الطيور فى أغصانك ؟ أم لا تزال بذرة فى الأرض ؟!

✧ مثال آخر قاله الرب فى (مر٤: ٢٦ - ٢٨) :

" هكذا ملكوت الله : كأن إنساناً يلقى البذار على الأرض . وينام ويقوم، ليلاً ونهاراً ، والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف ؟ لأن الأرض من ذاتها تأتى بثمر : أولاً نباتاً ، ثم سنبلاً ، ثم قمحاً ملآن فى السنبل " (مر٤) ... فهل خدمتك التى بدأت كحبة قمح، أصبحت سنابل ملآنة ، وأنت لا تعلم كيف، لأن روح الله قد عمل فيها بعد أن ألقيت بذارك، واصبح النبات ينمو من ذاته ويأتى بثمر .

✧ مثال ثالث هو الزرع الجيد ، الذى أتى بثمر ، ثلاثين وستين ومائة (مت١٣: ٢٣) . أما مرقس الرسول فيقول عن هذا النوع من الزرع " وسقط آخر في الأرض الجيدة ، فأعطى ثمراً يصعد وينمو، فأتي واحد بثلاثين ، وآخر بستين، وآخر بمائة " (مر٤: ٨).

جميلة هنا عبارة " أعطى ثمراً يصعد وينمو " ...

✧ مثال رابع هو زنابق الحقل (مت٦: ٢٨، ٢٩) . لست أتكلم هنا عن جمال زنابق الحقل ، التى ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها . ولست أقصد التركيز على الإيمان فى كيف أن الله قد ألبسها هذا الجمال، إنما ألفت النظر هنا إلى قول الرب عن هذه الزنابق :

" تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ... " (مت٦: ٢٨) .

ألا نأخذ درساً من هذه الزنبقة البسيطة ، كيف تنمو فنتمتع نحن بجمالها ورائحتها ... بل ليست الزنبقة فقط، إنما كل شجرة تنمو، سواء الجزء الظاهر لنا منها فوق سطح الأرض، بل أيضاً جذورها المخفاة تنمو ...

وهنا نقول لك ملاحظة أخرى ، إلهية وكتابية ، وهى :

كلما تنمو وتأتى بثمر ، ينقيك الرب لتأتى بثمر أكثر .

وهكذا يقول الرب عن الكرمة والأغصان " أنا الكرمة وأبى الكرام . كل غصن فىّ لا يأتى بثمر ينزعه . وكل ما يأتى بثمر ، ينقيه ليأتى بثمر أكثر " (يو١٥: ١، ٢) .

✧ مثال آخر فى النمو هو النخلة والأرز ، حيث يقول الكتاب: " الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز فى لبنان يعلو" (مز٩٢: ١٢).

هل رأيت النخل والأرز ، كيف ينمو، ويزهو، ويعلو؟ إن كنت صديقاً فافعل هكذا ، سواء فى روحياتك أو فى خدمتك ..

هنا ننتقل إلى نوع آخر من النمو ، هو النمو الروحى .

النمو الروحى :

يقول الأب الكاهن فى أوشية الإجتماعات فى القداس الإلهى "وأما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف، وربوات ربوات، يصنعون مشيئتك " ...

ليس المهم هو الألوف والربوات ، وإنما عبارة "يصنعون مشيئتك " .

ولسنا نقصد بنمو الخدمة مجرد النمو العددى ، إنما بالحرى النمو الروحى . وهكذا فى بدء كنيسة الرسل نرى هذا المبدأ واضحاً فى قول الكتاب "وكان الرب فى كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون " (أع٢: ٤٧) ... إذن ليس مجرد إنضمام أشخاص

جدد هو الذى يمثل عضوية الكنيسة ، إنما الذين يخلصون .

لهذا جاهدوا من أجل النمو فى الخدمة ، واذكروا قول الرسول "إذن يا إخوتى الأحباء، كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب " (١كو١٥: ٥٨) .

النمو فى الخدمة هو إذن وصية إنجيلية .

القديس بولس الرسول يقول " مكثرين فى عمل الرب كل حين " والسيد الرب نفسه يقول " اثمروا واكثروا واملأوا الأرض " وأيضاً " أكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها " . فما مدى مساهمتك فى نمو هذه الخدمة ؟

لتكن خدمتك، إذن نامية عددياً وجغرافياً وروحياً .

إن لم تزد خدمتك فى العدد ، فلا تجعلها تقل . واعطها عمقاً روحياً فى العدد القليل ، حتى لو كان مجرد أفراد أسرتك . قل حينئذ مع يشوع النبى " أما أنا وبيتى ، فنعبد الرب " (يش٢٤: ١٥)

إذن لا يكفى نمو عدد الذين يدخلون إلى الكنيسة ، بل يجب أن ينمو عدد الذين يتوبون ويعترفون ويتناولون .

لا تفرح فقط بازدياد عدد الذين ينضمون تلاميذ إلى فصلك ، بل بالحرى الذين ينضمون منهم إلى ملكوت الله .

ولا تفرح فقط بالذين يستمعون إلى دروسك ، بل بالحرى الذين يعملون بها ، وينفذون وصايا الله . كما قال السيد المسيح فى خاتمة عظته على الجبل " من يسمع أقوالى ويعمل بها ، أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ..." (مت٧: ٢٤) . ولذلك نصلى نحن في أوشية الإنجيل ونقول للرب " اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة ... " .

إن النمو فى المعرفة لا يكفى ، بل يجب أن يكون النمو فى العمل بالأكثر .

لقد قال أيوب الصديق للرب " بسمع الأذن قد سمعت عنك . والآن رأتك عيناى " (أى٤٢: ٥) . إذن لا نقف عند عبارة " سمعت عنك " ، إنما يجب أن نتدرج منها إلى عبارة " رأتك عيناى " أو إلى قول المرتل فى المزمور " ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب (مز٣٤: ٨) .

هنا في النمو الروحى لمخدوميك ، ينتقلون من السمع إلى الرؤية إلى المذاقة .

النمو فى الخدمة (٢)

النمو فى الخدمة له مجالات متعددة جداً ، وخصائص يمكن ان نعرض لها ، ونلخصها فى بعض نقاط :

مجالات النمو :

١ – نمو فى عدد التلاميذ والفصول ، وقد تحدثنا قبلاً عن النمو العددى .

٢ – نمو فى الإفتقاد ، بحيث يشمل كل أحد . ويتدرج من افتقاد الغائبين ، إلى افتقاد حالات المخدومين فى احتياجاتهم المادية والروحية . ومن افتقاد الطلبة فى مدارس الأحد، إلى تحويل عائلاتهم إلى أن يفتقدهم الأب الكاهن .

٣ – نمو فى تنظيم الخدمة. ويمكن فى ذلك استخدام الكومبيوتر

٤ – نمو فى إنتشار الخدمة بحيث تشمل القرى ، والأحياء الفقيرة والمساكن العشوائية . ذلك لأن كثيراً من الفروع تهتم بالعواصم والمدن، ولا تعطى نفس الإهتمام للريف وللمجتمعات الجديدة ولأحياء أخرى مهملة . أو قد تهتم بمنطقة الكنيسة، دون

المناطق الأخرى المجاورة ...

٥ - النمو فى خدمة كل النوعيات :

فلا تكتفي مدارس التربية الكنسية بخدمة طلبة المدارس ، إنما ينبغى أن تتدرج الخدمة حتى تشمل طبقات من العمال والصناع، وتوجد برامج خاصة بهم . وكذلك خدمة الأميين والذين لم يكملوا تعليمهم . مع خدمة البعيدين تماماً عن الكنيسة ، والذين ليس لهم أحد يذكرهم .

٦ - النمو فى استخدام وسائل الإيضاح :

ونقصد كل ما يمكن استخدامه من الوسائل السمعية والبصرية... فنحن لا ننكر أهمية المسرحيات والأفلام الدينية ، ومدى تأثيرها على الشباب بل وعلى الكبار أيضاً . وقد بدأت هذه الحركة الفنية ، وصدرت بعض أفلام عن حياة قديسين وقديسات . ولكن الأمر يحتاج إلى اهتمام أكبر . ويمكن تصوير كل المسرحيات الدينية الناجحة التى تقوم بها بعض الفروع، ثم نشرها وتعميم استخدامها . ثم نشر فكرة هذه المسارح في كافة الإيبارشيات . وضم هذه الوسائل التعليمية فى خدمة القرى والأحياء الفقيرة . ويستحسن تكوين لجنة خاصة بهذا النشاط .

٧ - النمو فى الإهتمام بالمكتبات :

لقد تأسست مكتبات للخدمة فى كافة الكنائس تقريباً . ولكن غالبيتها خاص بالكبار فقط . ويجب أن تنمو هذه المكتبات لنشر المعرفة الدينية لكل من مراحل السن، وبخاصة مرحلة الطفولة التى تحتاج إلى مكتبة خاصة فى كل كنيسة .

وأتذكر أننى فى سنة ١٩٥٣ كنت قد أصدرت مجلة للأطفال باسم (مجلة مدارس الأحد المصورة) . ثم ترهبنت فى العام التالى. وإذا بتلك المجلة قد تحولت إلى مجلة للكبار . وتوقف ذلك العمل التربوى الهام. وأرجو بنعمة الله أن أعيده للصدور مرة أخرى بالإستعانة بعدد كبير من المهتمين بالكتابة للأطفال ، وبتأليف القصص والأناشيد لهم .

هذا وقد افتتحنا مكتبة للأطفال فى المقر البابوى بالقاهرة، أحب أن يكون لها مثيل فى كل إيبارشية . لأن مرحلة الطفولة هى المرحلة التأسيسية فى حياة كل إنسان، ويجب أن نهتم جميعاً بها ..

٨ – النمو فى العناية بالخدام أنفسهم وبفصول إعداد الخدام .

إنه أمر خطير ، أن يبدأ الخدام عملهم فى الخدمة بدون إعداد كافٍ . ويحتاج الأمر إلى أن تنمو الكنيسة فى إعداد خدامها، بحيث يكون إعداد الخدام شاملاً إلى نواح إيجابية تختص بالعقيدة والكتاب والطقس والروحانية والمعلومات التربوية . وكذلك الرد على

السلبيات التي توجه إلي هذا كله، بحيث يعرف الخادم الرد على كل شك وكل بدعة ...

وحتي الخدام الذين يخدمون حالياً يحتاجون إلى تنشيط معلوماتهم بمناهج تسمي Refreshing Courses . مع مناهج أخرى أعلي Advancing Courses وتستمر هذه المناهج ، بحيث لا يفقد الخادم روح التلمذة عنده .

٩ - كذلك ينبغي أن يدرك النمو اجتماعات الخدام .

إذ أن بعض الفروع تجعل اجتماعات الخدام بهدف تعليمات للخدام عن أنشطة معينة ، أو أخبار رحلات أو حفلات وما أشبه. أو تصبح اجتماعات الخدام مجالاً للحوار والنقاش الذى لا يفيد بل قد يعثر .

يجب أن تنمو هذه الإجتماعات فى الروح وفى المعرفة ، بحيث تفيد كل خادم ، القديم والجديد ، وتكون منشطة لهم روحياً وعملياً .

هذا وقد أصدرنا لكم حتي الآن ستة كتب فى الخدمة. وأرجو أن أتابع الكتب الخاصة بالخدمة .

١٠ - النمو فى العناية بالشباب .

لأن ظاهرة واضحة توجد فى كثير من الفروع . وهى أن عدد الطلبة الذى يكون كبيراً بشكل واضح فى فصول المرحلة الإبتدائية، يظل يتناقص بالتدريج فى المرحلتين الإعدادية والثانوية.

ويصبح قليلاً جداً بالنسبة إلى شباب ثانوى وشباب الجامعـة . وهذا أمر له خطورته ، ويحتاج بلاشك إلى علاج ...

وربما من الأسباب ، ضعف المعلومات التى تقدم لتلك المرحلة، أو إلى عدم كفاية المدرسين الذين يشبعون تلك السن ...

ولقد أصدرت اللجنة العليا للتربية الكنسية منهجاً مناسباً للمرحلة الثانويـة، وزودتـه بـالكتب المنهجيـة لمنفعـــة المـدرس مـن جهــة، ولتوحيد الفكر التعليمى من جهة أخرى . وبقى موضوع المدرسـين والمتكلمين .

١١ – النمو فى الإهتمام بإعداد المتكلمين .

كلما ينمو الإنسان فى السن والمعرفة ، يحتاج إلى مستوى من التدريس أعلى وأعمق ، يمكنه أن يعطيه ما ليس عنده، وما يحتـاج إليه من معرفة . ومن هنا كنا نحتاج إلى مستوى عالٍ من المتكلمين لإجتماعـات الأسـرات الجامعيـة ، ولفصـول ثـانوى وجامعـة فـى مدارس الأحد .

ولإعداد هؤلاء أهتممنـا بالقسـم الليلـى الجـامعى فـى الكليـة الإكليريكيـة وقـد إزداد عددهـم جـداً، فوصلـوا الـى المئـات فـى الإكليريكية الأم بالقاهرة، بالإضـافة الـى مئـات أخـرى فـى فروعهـا بالوجهين القبلى والبحرى. بالإضافة الى ماتقوم بـه أسقفية الشباب بمؤتمراتها وخدامها وأنشطتها.

والأمر يحتاج الى مزيد من الإهتمام بموضوع المتكلمين وإعدادهم . ويجب على المتكلمين المعروفين أن يزدادوا فى معرفتهم . وكذلك أن يكون عندهم الإلتزام الكافى فى الحضور وعدم التغيب ، وفى إعداد موضوعاتهم .

ومن أجل الإهتمام بالمتكلمين ، والنمو بالمعرفة عموماً ، قمنا بمشروع جديد :

١٢ - مشروع الميكروفيلم والميكروفيش :

أنشأنا هذا المشروع بنعمة الله الذى كلّفنا حتى الآن أزيد من نصف مليون جنية . ومن فوائده فى الخدمة أنه يمكننا به أن ننتج كميات من الميكروفيليم والميكروفيش لجميع مخطوطاتنا فى الأديرة، وفى الكنائس القديمة ، وفى مكتبة البطريركية ، وغير ذلك... ولكى نزوّد بنسخ منها مكتبات أديرتنا، ومعاهدنا الدينية ، وكنائس المهجر ، وبعض الكنائس الكبيرة، ومكتبات المطرانيات فى كل إيبارشية .

وبهذا تصبح المراجع موجودة ومتوفرة لدى كل دارس ، بهدف نمو معرفته وتعمقها ، مع نشر المعرفة القبطية فى كل كنائسنا بالمهجر ولاشك أن هذا نمو جديد فى نشر المعرفة الدينية .

كما أننا بهذا ، يمكننا تبادل الميكروفيلم والميكروفيش مع

مكتبات العالم وجامعاته التى تحتفظ هى أيضاً بعدد كبير من مخطوطاتنا القبطية .

١٣ - النمو فى أنشطة الخدمة :

توجد فروع للخدمة تقتصر على التدريس فقط . وفروع أخرى لها أنشطة كثيرة . وهدف النمو فى الخدمة هو نشر أنشطتها فى كل مكان .

وقد توجد فروع لها الروح والرغبة ، وليست لها الإمكانيات التى تساعدها على تنشيط الخدمة . وهذا الأمر يحتاج إلى افتقاد الفروع ، وإلى معرفة احتياجاتها ، وتوفير هذه الإحتياجات لها . وبنعمة الله سوف أعمل على تكوين لجنة من الخدام المعروفين لافتقاد فروع الخدمة ، مع تحديد موعد شهرى للإلتقاء بالخدام فى المقر البابوى لأدرس معهم شئون الخدمة واحتياجاتها ، والعمل على نموها ونهوضها .

١٤ - البحث عن المفقودين :

سواء من المخدومين أو الخدام ، والبحث عن أسباب فقدهم ، وعمل كل ما يمكن من أجلهم .

١٥ - النمو فى روحيات الخدام :

ذلك لأنه كلما نما الخادم روحياً ، على هذا القدر تنمو أيضاً

روحيات المخدومين معه . وكلما هبط مستواه ، يحدرهم معه إلى أسفل .

هذا الأمر يعالجه الخادم مع نفسه ومع أب اعترافه . كما أن كل فرع خدمة ينبغي أيضاً أن يراعى روحيات خدامه . فللخادم شروط روحية يجب أن يتصف بها كل خادم . وعلى الكنيسة أن تراقب هذا الأمر .

وعلى كل خادم وكل فرع ، أن يقوم بتقييم خدمته Evaluation ويدرس عوامل الضعف ، أو مظاهره ، لكى يتفاداها فتنمو خدمته .

١٦ - النمو فى التكريس :

التكريس هو مقياس آخر من مقاييس النمو فى الخدمة . وكلما دخل الإنسان فى مجال محبة الله وخدمته ، كلما إزدادت رغبته فى توفير وقت أزيد للخدمة . وإذا ما نما فى ذلك ، كلما إتجه إلى تقديم وقته كله للرب . وهكذا يدخل فى نطاق التكريس . سواء كخادم أو كاهن أو راهب ...

ومع حاجة الكنائس إلى عدد كبير من الكهنة يسامون لخدمتها ، نلاحظ أن بعض فروع الخدمة لا يوجد فيها من يصلح لتقديمه لخدمة الكهنوت ! وهذا أمر يؤسف له جداً ، لأنه يدل على أن النمو قد توقف فيها عند حدّ مدرسى الفصول ... !!

هذه الفروع بالذات تحتاج إلى عناية خاصة ، وإلى تقييم خدمتها ومعرفة أسباب توقف نموها ، وعلاج ذلك .

كتب سبق صدورها عن الخدمة

١ - التلمذة .

٢ - الغيرة المقدسة .

٣ - كيف نعامل الأطفال ؟

٤ - آيات للحفظ (بالأبجدية) .

٥ - مسابقات في الكتاب المقدس .

٦ - الخدمة الروحية والخادم الروحي ج ١ .

الباب الرابع

التعب في الخدمة

كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه (١كو٣: ٨)

ولسنا نقصد هنا تعب العالم الباطل، بل التعب لأجل الملكوت .

أما تعب العالم الباطل، فهو يشبه تعب سليمان فى أمور الرفاهية والغنى، ، حيث قال بعد ذلك " ثم التفت أنا إلى كل أعمالى التى عملتها يداى، وإلى التعب الذى تعبته فى عمله ، فإذا الكل باطل وقبض الريح، ولامنفعة تحت الشمس" (جا٢: ١١). أما التعب الذى تتعبه لأجل الله، فهو تعبك من أجل خلاص نفسك، ومن أجل بناء الملكوت. وسوف نركز الآن على هذا التعب فى الخدمة .

إن كل تعب تتعبه من أجل الله ، هو محفوظ لك فى ملكوته .

بقدر ما تتعب هنا ، ترتاح فى الأبدية . وبقدر ما تحتمل هنا سوف تتنعم هناك. وكما قال أيوب الصديق " هناك يستريح المتعبون " (أى٣: ١٧). وبحسب تعبك لأجل الله: على الأرض يحسن مستواك الروحى، وفى الأبدية يحسن مصيرك . وهؤلاء الذين تعبوا فى بناء ملكوته " يستريحون من أتعابهم ، وأعمالهم

تتبعهم " (رؤ ١٤: ١٣) .

وما أجمل قول القديس بولس الرسول عن التعب فى الخدمة :

" إذن ياأخوتى الأحباء ، كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (١كو١٥: ٥٨) ؛

ذلك " لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة الذى أظهرتموها نحو إسمه، إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم " (عب٦: ١٠) . نعم ، هؤلاء سوف يستقبلهم الرب بعبارته المعزية " تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال، وأنا أريحكم " (مت١١: ٢٨) . أريحكم ليس على الأرض فقط، بل فى السماء أيضاً . على الأرض ترتاح ضمائركم وقلوبكم . وفى السماء ترتاح أرواحكم ..

قال بولس الرسول عن عمله فى الخدمة " أنا غرست، وأبولس سقى .. والغارس والساقى هما واحد . ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه " (١كو٣: ٦، ٨) .

إن الأنصبة فى الملكوت ليست واحدة .

فكما يقول الرسول "لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد" (١كو١٥: ٤١) ومادام الله سوف " يجازى كل واحد بحسب عمله " (مت١٦: ٢٧).. إذن عليك أن تبذل كل جهدك فى خدمة الله،

وأنت هنا على الأرض ، عالماً أن الله يرقب عملك ، ويحسب لك كل تعبك . كما قال لملاك كنيسة أفسس " أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك... وقد إحتملت ولك صبر ، وتعبت من أجل إسمى ولم تكلّ " (رؤ٢: ٢، ٣) .

إن تعبك يدل على مقدار محبتك لله وملكوته .

فالذى يحب الله ، لا يسمح أن يعطى لنفسه راحة ، بل يجاهد حتى يوصل كل إنسان إلى قلب الله . كما قيل عن داود النبى ونذره لإله يعقوب " إنى لا أدخل إلى مسكن بيتى، ولا أصعد على سرير فراشى، ولا اعطى لعينى نوماً، ولا لأجفانى نعاساً ... إلى أن أجد موضعاً للرب ، ومسكناً لإله يعقوب " (مز١٣٢: ٢- ٥) . فاسأل نفسك : ما هو مقدار تعبك من أجل الرب ؟

هوذا بولس الرسول الذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) ، يشرح لنا بعضاً من أتعابه فى الخدمة ، فيقول:

"... فى الأتعاب أكثر ، فى الضربات أوفر ، فى السجون أكثر، فى الميتات مراراً كثيرة . من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة. ثلاث مرات ضربت بالعصى . مرة رجمت ... بأسفار مراراً كثيرة ، بأخطار سيول ، بأخطار لصوص ، بأخطار من جنسى ... بأخطار من الأمم ، بأخطار فى المدينة ، بأخطار

في البرية ، بأخطار في البحر ، بأخطار من أخوة كذبة . في تعب وكد، في أسهار مراراً كثيرة . في جوع وعطش ... في برد وعري . عدا ما هو دون ذلك: التراكم عليّ كل يوم ، الإهتمام بجميع الكنائس ... " (٢كو١١: ٢٣- ٢٨) .

وأنت يا أخي ، ما هو تعبك في الخدمة ، إذا قورن بكل هذا ؟

اعرف أن كل ما تتعبه في خدمة ، مسجل لك في سفر الحياة .

حينما تفتح الأسفار في يوم الدينونة ، وحينما تُكشف كل الأعمال، ستجد كل ما عملته مسجلاً لك ... حتى كأس الماء البارد الذي تقدمه لأجل الله ، هذا أيضاً لا يضيع أجره (مت١٠: ٤٢) . كل خطوة تخطوها إلى الكنيسة ، أو في إفتقاد إنسان، هذه أيضاً محسوبة لك ، تنال أجرها في الملكوت ... كل حبة عرق تسكبها ، كل كلمة تعزية تقولها ... كل ذلك مسجل لك في سفر الحياة .

لا تقل أنا تعبان في الخدمة ، ولا يشعر بي أحد !

كلا ، فإن الله يقول لك تلك العبارة التي كررها لكل ملاك من ملائكة الكنائس السبع : "أنا عارف أعمالك " (رؤ٢، ٣). حتى إن لم تجد تقديراً على الأرض ، ستجد كل التقدير في السماء . والأعمال المخفاة سوف تظهر ، وتنال عليها أجراً أكبر ... بل صدقني ، حتى أتعابك التي قد نسيتها أنت، هي محفوظة عند الله .

إنه يذكرها لك ، لن ينساها . وسوف يقول لك في ذلك اليوم ، مع كل أخوتك الذين تعبوا مثلك وخدموا :

" تعالوا يا مباركى الرب . رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم " (مت٢٥: ٣٤) .

إن الله لا يمكن أن ينسى تعبك وخدمتك . بل أقول إنه حتى الرسل لم ينسوا أبداً الذين تعبوا معهم فى الخدمة . هوذا بولس الرسول يقول فى رسالته لأهل رومه " سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيراً ... سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب . سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيراً فى الرب " (رو١٦: ٦، ١٢) . وعندما أرسل إلى تلميذه تيموثاوس ، أوصاه أن يقيم اعتباراً حسناً ، فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ، ولاسيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم " (١تى٥: ١٧) .

فإن كان الرسول يذكر الذين تعبوا ، فكم بالأكثر يذكرهم الله .

لذلك لا تفكر أبداً أن تعطى نفسك راحة فى خدمتك . بل اتعب فى تحضير الدروس وفى الإطلاع ، واتعب فى الإفتقاد وفى حل مشاكل الناس . واصبر فى إحتمال المقاومات التى تصادفك فى الخدمة ، ولا تترك خدمتك بسببها . اتعب فى إعادة الشاردين من الله الرافضين التوبة ، وكما قال الرسول " خلصوا البعض

بالخوف، مختطفين من النار " (يه ٢٣) . واذكر قول الكتاب :

" من رد خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا " (يع٥: ٢٠) .

حقاً إن النفس الثمينة التى مات المسيح لأجلها ، تستحق منك أن تبذل كل تعب فى سبيل خلاصها . لذلك جاهد ولا تيأس ، حتى إن تأخر ثمر تعبك فى الظهور . استمر . لا تترك غيرك يتعب ، وأن تدخل على تعبه (يو٤: ٣٨) . بل اشترك فى التعب ، أياً كان الجهد الذى تبذله .

ولا تقف لتتفرج على الذين يتعبون . فملكوت الله ليس للمتفرجين .

إنما الملكوت للذين يتعبون في بنائه . تأمل كيف تعب القديس أثناسيوس الرسولى فى حفظ الإيمان وفى مقاومة الأريوسيين ، حتى أنه نفى عن كرسيه أربع مرات . وتأمل كيف تعب بولس الرسول ، واستطاع أن يقول أخيراً :

" جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الإيمان . وأخيراً قد وُضع لى إكليل البر .." (٢تى٤: ٧) .. تأمل أيضاً كيف تعب نحميا كثيراً لكى يبنى سور أورشليم . وكيف لاقى مقاومات ، وصبر عليها حتى أكمل عمله ...

واعلم أنك فى خدمتك ، سيشترك الله معك . ولن يتركك تتعب وحدك .

ونحن نصلى فى الكنيسة ونقول للرب " اشترك فى العمل مع عبيدك " . والقديس بولس الرسول يقول عن نفسه وعن أبولس "نحن عاملان مع الله" (١كو٣: ٩) ... إن الله باستمرار يعين خدامه فى خدمتهم : يعمل معهم ، ويعمل فيهم ، ويعمل بهم . لذلك فى خدمتك ، حاول أن تكون مجرد آلة فى يد الله يعمل بها . وصلّ فى قلبك هذا المزمور :

" **إن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً تعب البناءون**" (مز١٢٧: ١).

لذلك فالخدمة تحتاج أيضاً إلى تعب فى الصلاة لأجلها ، لكى يتولاها الله بعنايته ، ولكى تشعر بيد الله فيها . لأنك ربما تفكر أن التعب فى الخدمة ، هو مجرد تعب ذراعك البشرى . كلا. فقد قال الرب " بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " (يو١٥: ٥) . لذلك جاهد فى أن تشرك الله معك فى الخدمة ، بصلوات ، بأصوام ، بمطانيات ، بصراع مع الله ...

وحذار من أن تبحث عن الخدمات السهلة ، أو تدخل إلى الخدمة من الباب الواسع !

ذلك لأن كثيرين من الذين لا يحبون التعب فى الخدمة ،

يهربون من الخدمات التي تحتاج إلى جهد كبير ، أو التي تصادفها بعض المشاكل ! ولا يقبلون إلا الخدمة السهلة . وقد يبررون الأمر ببعض كلمات تواضع ! كأن يقول الشخص " أنا أصغر من هذا الأمر . أنا لم أصل إلى مستوى هذه الخدمة . أنا ليست لي مواهب "... والرب يرفض كل هذه الإعتذارات . وقال لأرميا " لا تقل إني ولد. لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب ، وتتكلم بكل ما آمرك به " (أر ١: ٧) .

الخدمة الصعبة تظهر فيها يد الله ، كما يظهر فيها بذل الإنسان وتعبه .

كما تظهر فيها محبته للملكوت ، ومحبته لخلاص الناس ، وعدم إهتمامه بنفسه وبراحته ، واستعداده لحمل الصليب في الخدمة ، وعدم تذمره على الضيقات في الخدمة ... ومثل هذه الخدمة لها أجر كبير . وهي التي دعا إليها الرب تلاميذه ، حينما قال لهم " ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب " (مت١٠: ١٦) ... ولم يهرب تلاميذ الرب من خدمه كهذه :

نعم ، خير لنا أن نتعب لكي يستريح الناس .

لا أن نستريح نحن ، ونتركهم يتعبون ...

الباب الخامس

مسحنى لأبشر المساكين

مسحنى لأبشر المساكين

(أش ٦١: ١)

قيل عنه فى تلك النبوءة "روح السيد الرب علىّ . لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين . أرسلنى لأعصب منكسرى القلوب . لأنادى للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق ..." (أش ٦١: ١) .

ولعلنا نسأل : من هم أولئك المساكين الذين قد جاء الرب ليبشرهم ؟ إنهم كثيرون ...

فى مقدمتهم تلك البشرية المسكينة كلها ، المحكوم عليها بالموت بسبب الخطية، وتحتاج إلى الفداء .

ولذلك قيل عن الرب إنه " جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك " (لو ١٩: ١٠). جاء يبشر كل هؤلاء بالفداء الذى سيقدمه عنهم ، "لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية " (يو ٣: ١٦) . وهكذا وقف الملاك فى يوم ميلاد الرب يبشر الرعاة قائلاً "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. إنه ولد لكم اليوم

مخلص هو المسيح الرب " (لو٢: ١٠، ١١) .

جاء السيد المسيح أيضاً لكى يبشر بالخلاص أبرار العهد القديم الذين رقدوا على الرجاء .

أولئك الذين قيل عنهم إنهم " لم ينالوا المواعيد ، بل من بعيد نظروها وصدقوها وأقروا أنهم غرباء ونزلاء على الأرض" (عب١١: ١٣) .

جاء يبشرهم أن باب الفردوس الذى أغلق منذ خطيئة آدم ، سوف يفتح بعد الصليب، وسيدخل كل أولئك الأبرار فى الفردوس.. وسوف يدخل معهم أيضاً اللص اليمين (لو٢٣: ٤٣) .

جاء يبشر البشرية التى أضلها القادة العميان من الكتبة والفريسيين (مت٢٣) بقدوم التعليم السليم.

فسوف يخرجهم من الحرفية التى نادى بها أولئك الذين جلسوا على كرسى موسى، فأغلقوا باب الملكوت . لا هم دخلوا، ولا جعلوا الداخلين يدخلون (مت٢٣: ١٣) .

وهكذا جلس المعلم الصالح على الجبل ، وقال للجموع عظته العجيبة التى كرر فيها عبارة " سمعتم إنه قيل للقدماء ... أما أنا فأقول لكم .. " (مت٥) .

جاء أيضاً يبشر البشرية التى فقدت الصورة الإلهية التى خلقت

بها (تك١: ٢٧) بأن أعاد لهم تلك الصورة ليحاكوها .

وهكذا ترك لهم مثالاً فى كل فضيلة وفى كل بر ، حتى كما فعل هو يفعلون هم أيضاً (يو١٣: ١٥) . وهكذا نصح القديس يوحنا الرسول قائلاً " من قال إنه ثابت فيه ، ينبغى أنه كما سلك ذاك، يسلك هو أيضاً " (١يو٢: ٦) .

جاء الرب يبشر المساكين . وكان من قبل ، حتى فى العهد القديم ، يهتم بالمساكين .

وهكذا قال الرب لموسى حينما دعاه إلى الخدمة " إنى قد رأيت مذلة شعبى ... وسمعت صراخهم بسبب مسخريهم . إنى علمت أوجاعهم ، فنزلت لأنقذهم " (خر٣: ٧، ٨) . وهكذا فعل الرب أيضاً فى عصر القضاة ... فأقام لهم القضاة .. وخلصهم من أيدى أعدائهم .. من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم وزاحميهم " (قض٢: ١٨) . إنه الرب الذى باستمرار يعين المساكين ..

وهكذا أيضاً وقف الرب مع يعقوب فى مسكنته ضد أخيه عيسو المتجبر .

عيسو الذى قال " أقوم وأقتل يعقوب أخى " (تك٢٧: ٤١) . ولكن الله ظهر ليعقوب أثناء هروبه وعزاه برؤيا السلم الواصل بين السماء والأرض . وقال له " ها أنا معك ، واحفظك حيثما

تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض " (تك٢٨: ١٥) .

وكما وقف الله إلى جوار المساكين ، وقف أيضاً ضد العتاة القساة . وقال لقايين أول قاتل من بنى البشر " صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض .. " (تك٤: ١٠) .

وفى كل هذا ما أجمل قول الكتاب :

" **يقاوم الله المستكبرين . أما المتواضعون فيعطيهم نعمة** " (**يع٤: ٦**) .

وقف الله مع إيليا النبى ، لما كان فى موقف المسكنة ، هارباً من بطش الملكة إيزابل ، وهو يقول للرب " ... تركوا عهدك ، ونقضوا مذابحك ، وقتلوا أنبياءك بالسيف . وبقيت أنا وحدى . وهم يطلبون نفسى ليأخذوها " (١مل١٩: ١٤) .

ووقف الرب مع داود الشاب في مسكنته، وهو هارب من شاول الملك الذى يطارده من مكان إلى آخ. ولكنه وقف ضد داود الملك لما تسلط وتقسى قلبه على أوريا الحثى، فعاقبه (٢صم١٢: ٩-١٢)

ووقف الله مع ليئة الضعيفة العينين التى تفتقد محبة زوجها، وأعطاها نسلاً أكثر من راحيل المحبوبة المدللة، لأن الرب يبشر المساكين ...

ووقف الله مع الأمم المحتقرين من إسرائيل .

الذين كانوا " بدون مسيح ، أجنبيين عن رعوية إسرائيل ، وغرباء عن عهود الموعد" (أف٢: ١٢) . فقربهم إليهم ، وطعّمهم في الزيتونة الأصلية (رو١١) وقال " يأتون من المشارق والمغارب، ويتكئون في أحضان إبراهيم ، بينما بنو الملكوت يطرحون في الظلمة الخارجية " .

ومدح الرب قائد المائة الأممي ، وقال : لم أجد في إسرائيل كلها إيماناً مثل إيمان هذا الرجل " . ومدح أيضاً المرأة الكنعانية المتذللة قدامه ...

وبشر الرب الخطاة المساكين ، المذلين في توبتهم ، وأدان الأبرار المتعجرفين في برّهم .

فعل ذلك في مثل الفريسي والعشار . لم ينظر إلى الفريسي المتكبر ، الذي وقف يصلي بانتفاخ قلب ويقول " اشكرك يارب إني لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة، ولا مثل هذا العشار . أنا أصوم يومين في الأسبوع، وأعشّر جميع أموالي. بينما نظر الرب إلى العشار المسكين الذي في مذلة لم يستطع أن يرفع نظره إلى فوق، بل قرع صدره في إنسحاق وهو يقول " ارحمني يارب، فإني خاطئ" . فخرج مبرراً دون ذاك (لو١٨: ٩- ١٤) .

كذلك فعل الرب مع الخاطئة التى بللت قدميه بدموعها ، وفضلها على الفريسى الذى أدانها (لو ٧) .

لقد بشر هذه المسكينة بالمغفرة، وقال لها "مغفورة لك خطاياك.. اذهبى بسلام " .

ونفس الوضع فعله مع مسكينة أخرى ضبطت فى ذات الفعل ، وأذلها القساة طالبين أن تُرجم حسب الشريعة . ولكن الرب خلصها من بين أيديهم ، وطلب منهم أن يلتفتوا إلى خطاياهم ، قائلاً لهم "من كان منكم بلا خطية، فليرجمها بأول حجر " (يو٨: ٧) . وقال للمسكينة " ولا أنا أدينك . اذهبى ولا تخطئى أيضاً " .

وقال الرب عن الخطاة " ما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة .

وبشر كل أولئك بالخلاص عن طريق التوبة . وقال إنه يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة " (لو١٥: ٧) . وضرب فى نفس الإصحاح ثلاثة أمثال لقبول التائبين ، وفرح الرب بعودتهم إليه. هى مثل الإبن الضال ، ومثل الخروف الضال، ومثل الدرهم المفقود. وما أجمل حنوه فى الشفقة على أولئك الخطاة المساكين فى عودتهم ، حينما قال عن الخروف الضال : " وإذ وجده، حمله على منكبيه

فرحاً " (لو ١٥: ٥) .

ومن المساكين الذى جاء الرب يبشرهم ، المرضى والمصروعين من الشياطين .

وقد قيل عنه فى ذلك إنه " كان يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب .. فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين ، فشفاهم " (مت٤: ٢٣، ٢٤) .

هكذا كان اشفاقه على المساكين من المرضى ، وبخاصة الأمراض المستعصية التى يعجز أمامها الأطباء، أو التى تطول مدتهامثل مريض بيت حسدا الذى قضى فى مرضه ٣٨ سنة، وهو مسكين ليس له إنسان يلقيه فى البركة (يو ٥: ٢ - ٩) . فتقدم الرب وشفاه .

إن هذا يعطينا درساً فى الإشفاق على المرضى .

إن كنا لا نستطيع أن نشفيهم ، أونساهم فى علاجهم ، فعلى الأقل نزورهم حسب وصية الرب (مت٢٥: ٣٦)، ونقدم لهم كلمة عزاء، وترفع من معنوياتهم ، ولا ننساهم فى آلامهم .

ومثل ذلك مرضى الروح أيضاً ، الذين ينسوا من خلاصهم ...

هم يحتاجون إلى من يبشرهم بالخلاص ، إلى من يقول لهم ما

قاله الرب لزكا العشار " اليوم حصل خلاص لأهل هذا البيت ، إذ هو أيضاً ابن لإبراهيم " (لو١٩: ٩).

انظروا عمل الرب بعد القيامة : جاء يبشر بطرس الذى بكى بكاءً مراً بسبب إنكاره للمسيح وقت صلبه (مت٢٦: ٧٥) فجاء يبشره فى مسكنته ومذلة نفسه، ويقول له " أرع غنمى. أرعَ خرافى" (يو٢١: ١٥، ١٦) . كما جاء يفتقد توما فى شكوكه ويعيد إليه الإيمان (يو٢٠: ٢٧) .

ما أجمل عبارته فى تبشيره للمساكين :

" من يقبل إلىّ ، لا أخرجه خارجاً " .

هو جاء أيضاً يبشر المساكين من المحتاجين . ويقول لهم "اطلبوا تجدوا، اسألوا تعطوا، اقرعوا يفتح لكم" (مت٧: ٧) . ويعطينا بذلك مثالاً أن نعطى للمحتاجين ما يعوزهم ، عالمين أننا فى ذلك إنما نعطى الرب نفسه الذى قال: " مهما فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر، فبى قد فعلتم" (مت٢٥: ٤٠) . جميل أن نذكر هذا الأمر فى مناسبة العيد، ونبشر المساكين وجميل أن نتذكر قول الرب فى تبشيره للمساكين :

تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال، وأنا أريحكم " (مت١١: ٢٨) .

ليتنا نفعل مثله أيضاً ، ونعمل بكل جهدنا على إراحة المتعبين والثقيلي الأحمال . وفي نفس الوقت نحترس من أن نزيد ثقلاً على أحد، أو ننتقد إنساناً في تعبه .

وكذلك نشفق على اليائسين الذين انقطع رجاؤهم . وقيل لهم خلاص بإلههم (مز ٣٠) ...

هؤلاء يقول لهم الرب لا تخافوا ، ويقف إلى جوارهم . ويقول لكل منهم " أنا معك . لا يقع بك أحد ليؤذيك " (أع١٨: ١٠) .

وبالنسبة إلى كل هؤلاء ، يوصينا الرسول قائلاً :

" **شجعوا صغار النفوس . اسندوا الضعفاء تأنوا على الجميع** " (١تس٥: ١٤) .

فليكن الرب مع كل هؤلاء ، يقويهم ، ويقودهم في موكب نصرته، ويبشرهم بالخلاص ، له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

الباب السادس

خدمة الذين ليس لهم أحد يذكرهم

الذين ليس لهم أحد يذكرهم

فى صلاة تحليل نصف الليل للآباء الكهنة طلبة عميقة جداً ومؤثرة فى معناها وهى :

"اذكر يارب العاجزين والمنقطعين والذين ليس لهم أحد يذكرهم"

نعم ، هؤلاء الذين لم يجدوا أحداً يهتم بهم ، ولا حتى يذكرهم فى صلاته هؤلاء الذين أهملهم الكل ، وربما قد نسوهم أيضاً .

لاشك ، أنه يوجد أشخاص لا يحس أحد بآلامهم ، ولا باحتياجاتهم، ولا بضياعهم . كأنهم ليسوا أعضاء في جسد الكنيسة. ولعله تنطبق عليهم تلك الأبيات التى وردت فى قصيدة " النجم " :

أنا ملقى فى ضلالى ليس من
أسقف يرعى ولا من مفتقد

فطريقى فى ظلام دامس
قد ضللت الله دهراً لم أجد

ذلك الهادى الذى يهدى يدى

يذكرنا بهذا النوع أيضاً مريض بيت حسدا الذى قضى فى

مرضه ٣٨ سنة دون معونة من أحد. قال للسيد المسيح عن حالته "ليس لى إنسان يلقينى فى البركة " (يو٥: ٧) .

إنها خدمة جميلة أن نخدم تلك النفوس المسكينة المحتاجة ، التى لا تجد من يهتم بها ويفتقدها .

الأحياء غير المخدومة :

هناك أحياء توجد فيها كنائس تخدمها ، ويوجد فيها آباء كهنة روحيون ونشطاء يقومون بإفتقاد كل بيت، وكل أسرة وكل فرد . ويعرفون كيف يوفرون الخدمة اللازمة لكل أحد، يحلون الإشكالات، ويتلقون الإعترافات، ويحيطون أبناءهم بجو روحى .. إنها أحياء مخدومة .

ولكن ماذا نقول عن الأحياء والمدن والقرى غير المخدومة ، التى لا تجد أحداً يذكرها ؟! .

وماذا نقول عن الخدام الذين يفضلون أن يرسموا كهنة على المدن الكبيرة والأحياء المخدومة ، ويرفضون القرى والأحياء المحتاجة إلى خدمة ؟!

هل هذا هو أسلوب السيد المسيح ، الذى كان يترك التسعة والتسعين، ويبحث عن الواحد الضال المحتاج إلى خدمة ؟! نعم إنه

الراعى الصالح ، الذى كان " يطوف المدن والقرى كلها، يعلم فى مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب" (مت٩: ٣٥) .

نعم إنه المعلم الصالح الذى قال لتلاميذه :

" لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك ، لأنى لهذا خرجت" (مر١: ٢٨) .

إن الذى يفضل بهرجة المدينة على حاجة القرية ، إنما هو يفكر فى ذاته، بطريقة علمانية، ولا يفكر فى إحتياج الآخرين وخدمتهم !

ونفس هذا الكلام نقوله عن :

خدمة أولاد الشوارع :

اذكر أن هذا الأمر قد هز عاطفتى جداً فى الأربعينات ، وأنا خادم .. وقلت فى ذلك الوقت لزملائى : إننا نخدم الأطفال الذين فى المدارس، والذين يلبسون ملابس نظيفة ، وننسى خدمة الأولاد "الغلابة" . وأتذكر إننى وقتذاك جمعت لنفسى فصلاً جديداً لخدمته..

وكان فصلى هذا من أولاد الشوارع ، ومن بائعى الليمون، وماسحى الأحذية، وأطفال آخرين يقفزون على الشمال فى الترام، وأحياناً يقذفون الجمعية بالطوب .

واهتممت بهؤلاء الأولاد روحياً ، وكنت أحبهم جداً .. وشاءت الظروف أن أنتقل إلى خدمة فى منطقة أخرى وهى أحد الأيام وأنا سائر بالقرب من " حكر عزت " قفز أحد الصبيان الصغار من محل ماسح أحذية وجرى نحوى يسلم علىّ فى محبة وهو يقول " أنا تلميذك" ... اذكر هذه القصة فتنفعل مشاعرى فى داخلى .

ما أحوج هؤلاء إلى الفئات الساقط من خدمتك .. بينما آخرون متخمون بخدمات مركزة !!

إن الذين يعيشون فى الحوارى والأزقة والقرى ، هم يحتاجون أكثر ... فالذى يسكن فى الشارع الكبير قد يجد كثيرين يخدمونه، أما الذى يسكن فى " العطفة " ، والدرب ، والزقاق ، فربما يكون من الذين ليس لهم أحد يذكرهم ...

لذلك ما أجمل ما فعله أخوتنا الذين كرسوا جهودهم لخدمة أحياء الزبالين ، وبعض الأحياء الشعبية الأخرى فى القاهرة .

وما أجمل الذين يجمعون الأطفال الفقراء من الطرقات ، وأولاد الصناع والعمال والكناسين والذين لا عمل لهم ويوصلون إليهم كلمة الله التى يوصلوها إلى أولاد الأغنياء ...

جميلة تلك العبارة التى وردت فى الدسقولية عن الراعى أنه يجب أن " يهتم بكل أحد ليخلصه " .

لذلك سررت لما قال لى أحد الآباء الكهنة إنه سيقيم قداساً كل يوم إثنين فسألته لماذا؟ فقال " من أجل الحلاقين وأصحاب وظائف أخرى ... عطلتهم هى فى هذا اليوم . وآخرون من أصحاب النوبتجيات لا يجدون فراغاً إلا فى يوم معين . ومن المفروض فى الكنيسة أن توفر الرعاية لكل أحد ومن بين هؤلاء ، نذكر :

خدمة الشباب المنحرف :

إننا – للأسف الشديد – نهتم فقط بالشباب الذى يأتى إلينا فى الكنيسة فى إجتماعات الشبان ، أو مدارس التربية الكنسية ، أو فى الأنشطة والخدمات ونكتفى بهذا .

ويندر أن تكون لنا خدمة وسط الشباب الذى يتسكع فى الطرقات، أو يضيع وقته فى الملاهى وفى المقاهى والذى يدل شكله ولبسه وحديثه على أنه بعيد تماماً عن الكنيسة .

أمثال هذا الشباب ، هو من النوع الذى ليس له أحد يذكره . بل بالأكثر قد يوجد متدينون يحتقرونه ويرفضون حتى الحديث معه... كيف يخلص هؤلاء إذن ؟ أليسوا هم أيضاً محتاجين إلى رعاية ؟!

إن الأسقف حينما يرسم على إيبارشية ، إنما يرسم عليها كلها، وليس سيامته من أجل الصالحين فيها فقط، المترددين على الكنيسة، إنما من أجل الكل .

عمله أن يطلب ويخلص ما قد هلك (لو١٩: ١٠) كما فعل سيده

وتحت عنوان " ما قد هلك " ، تدخل فئات كثيرة من الذين ليس لهم أحد يذكرهم : طلبة شطبهم خدام التربية الكنسية من قوائمهم لكثرة غيابهم . وعائلات أعتبرها الآباء الكهنة أنها ليست من أولاد الكنسية بسبب سلوكها. ألوان عديدة من المنحرفين الذين يفضل كل الخدام البعد عنهم خوفاً ، أو حرصاً أو عجزاً ، أو يأساً .. ! ليس لهم أحد يذكرهم .

ما أخطر أن يوجد إنسان ، تيأس منه الكنيسة، أو تنساه، أو تتجاهله أو تحتقره ، أو تطرده، أو تعتبره من أهل العالم !

نتحدث عن نوع آخر من الذين ليس لهم أحد يذكرهم ، وهو :

المنسيون فى الإفتقاد :

قد توجد عائلات فى الأسكندرية أو فى القاهرة ، تمر عليها سنوات عديدة لا يزورها أحد من الآباء الكهنة .

ولا تهتم الكنيسة بهؤلاء ، إلى أن يهتم بهم الشيطان ويفتقدهم ! وحينئذ تبدأ الكنيسة تتعرف إلى أحدهم فى قضية طلاق، أو فى حادث إرتداد. وكان السبب فى كل هذا، أن هؤلاء ليس لهم أحد يذكرهم ، مع أنهم ليسوا فى قرى فقيرة أو نائية ، وإنما هم فى قلب

العاصمة !

نحن أحياناً لا نهتم بالحالة ، إلا بعد أن تصل إلى أسوأ درجاتها ولو ذكرناها فى بادئ الأمر ، ما كنا نحزن فى نهايته ...

لست أقصد بالذين ليس لهم أحد يذكرهم، المحتاجين إلى الرعاية فى مجاهل افريقيا ، أو الهنود الحمر فى أمريكا ، مع حاجة كل هؤلاء بلاشك !

إنما أقصد " الهنود الحمر " فى قلب العاصمة ، أو فى قلب المدينة العامرة وربما قريباً من الكنيسة !

إن التخصص فى خدمة " الضالين " أمر لازم فى الرعاية ...

بلاشك كانت المرأة السامرية واحدة من الذين ليس لهم أحد يذكرهم ، وكذلك زكا العشار ، ومتى العشار ، وآخرون وقد قال السيد المسيح " لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى " . فهل يمكن أن يتخصص بعض الخدام فى مثل هذه الخدمة ؟

هناك نوع من الخدام كنا نسميهم " خدام الحالات الصعبة " .

الحالات الصعبة :

كانوا يذهبون إلى الحالات التى تبدو معقدة ، التى وصلت إلى أسوأ درجاتها . ومع ذلك لم يفقد الخادم الأمل منها .

الحالات التي قد لا تقبل الخدام وقد تطردهم، أو التى لا تقبل كلاماً ولا إقناعاً، وتصل إلى لون من الإصرار والعناد يدفع إلى اليأس ...

هذه الحالات بالنسبة إلى كنائس أخرى ، كانوا يتركونها يائسين، وينفضون أيديهم منها ، وتبقى ضمن الذين ليس لهم أحد يذكرهم ..

أما خدام الحالات الصعبة ، فكانوا يفتقدون هذه الحالات ، ولو فى آخر رمق، وهم متألمون لأن الحالة لم تكن قد افتقدت منذ البدء

إن الخدمة الصعبة لها أجر أكبر عندالله، لأن الخادم يتعب فيها، والله لا ينسى تعب المحبة ...

دعوة يوسف الرامي لخدمة السيد المسيح أمر سهل، ولكن من الصعب أن تدعو رجلاً كزكا. فرق بين أن تدعو إنساناً كيوحنا الحبيب إلى إجتماع، وأن تدعو آخر كشاول الطرسوسى ...

سهل أن تفتقد العائلات المنحلة والتعب فى حل مشاكلها ومصالحة المتخاصمين فيها .

إن الأجر الكبير ليس لمن يزرع الأرض الجيدة ، إنما لمن يستصلح الأراضى البور والأراضى المالحة، ويحولها إلى أرض زراعية جيدة .

فتلك الأراضى البور ربما كانت لمدة طويلة من النوع الذى

ليس له أحد يذكره بسبب صعوبة العمل فيها .

هناك طائفة أخرى نذكرها وهى :

المساجين :

المساجين يحتاجون إلى عناية خاصة تعيد إليهم كيانهم ومعنوياتهم ، وتعيدهم إلى الله وإلى الحياة النقية معه، سواء وهم فى السجن، أو بعد خروجهم منه .

وكثيرون يرون المساجين من الحالات الصعبة ، فلا يفكرون فى خدمتهم، ويتركونهم ضمن الذين ليس لهم أحد يذكرهم ...

اذكر شاباً كان محكوماً عليه بالإعدام منذ حوالى ثلاثين عاماً. وزاره الفاضل المتنيح القمص ميخائيل إبراهيم واستطاع أن يقوده إلى التوبة والإعتراف وإلى الإستعداد للموت. وعاش الفترة السابقة لإعدامه فى حياة طيبة مع الله والناس ، وفى سلام قلبى عجيب وكان محبوباً جداً من كل أسرة السجن التى تعاملت معه . ولاقى الموت بفرح وذهب إلى المشنقة وهو يحيى ويداعب الذين حوله، وبكى عليه ضابط وموظفو السجن ...

هذا الشاب وجد قلباً يذكره ، وهو تحت حكم الإعدام . وظل

هذا القلب إلى جواره إلى أن لاقى ربه فى سلام والإبتسامة على شفتيه .

إن المسجون الذى لا تستطيع أن تنقذ رقبته من المشنقة ، قد تستطيع من ناحية أخرى أن تنقذ نفسه من الجحيم ...

حقاً ما هى الخدمة الروحية التى نقدمها نحن إلى هؤلاء المسجونين؟ بل ما هى الخدمة الإجتماعية التى يلاقيها المسجون بعد خروجه من السجن . على أن هناك نقطة هامة جداً فى هذا الموضوع وهى :

خدمة أسرات المسجونين . وبخاصة أولئك الذين سجن عائلهم ، واصبحت الأسرة مهددة تماماً بالإنهيار المالى والمعنوى .

هل وجدت خدمة منظمة ثابتة لأمثال هذه العائلات ، وتعهدتها بالعناية والإفتقاد والمعونة ؟ حرصاً عليها من التفكك ومن الضياع، وخوفاً عليها من الإنهيار الإجتماعى أو الخلقى ، وسداداً لكل إحتياجاتهم المالية...؟ أم أمثال هذه العائلات ، تدخل تحت عنوان: الذين ليس لهم أحد يذكرهم .

مجموعة أخرى من الناس ، نحب أن نوجه الأنظار إلى خدمتهم روحياً وهم :

الفقراء والمتعطلون :

لست أقصد من يذكرهم مادياً ، فكثيرون يذكرونهم ، إنما أقصد بالذات خدمتهم روحياً ...

توجد مكاتب للخدمة الإجتماعية في البطريركية وفي المطرانيات وفي جميع الكنائس ، تقدم معونات مالية وعينية لهؤلاء، وتساعدهم على أن يجدوا لهم عملاً ومصدراً للرزق . وهذا حسن جداً ، ونرجو أن يصل إلى صورته الكاملة ولكن المشكلة ليست هنا . وإنما هي هذه :

ما أكثر ما يأتي الفقراء إلى مكاتب الخدمة الإجتماعية ، بأساليب من الكذب والخداع والإحتيال . وقد نعطيهم حاجتهم المادية ، وتبقى نفوسهم ضائعة !!

وعلى الرغم من المساعدات التي تقدم لهم ، هم لا يزالون من الناحية الروحية ضمن الذين ليس لهم أحد يذكرهم ...!

وبعض الكنائس تقيم لهم إجتماعاً روحياً ، ينظر إليه بعض الفقراء كمجرد مقدمة للمعونة .. ولا يكون له العمق الذي يغير حياتهم ، ويقودهم إلى التوبة ويبعدهم عن الكذب والإحتيال ..

فعلى مراكز الخدمة الإجتماعية أن تعرف أنه ليس بالخبز وحده

يحيا الإنسان " (مت٤: ٤) .

وإنهم كما يفحصون الحالة الإجتماعية لمن يأخذ معونة مالية ، عليهم أن يهتموا بالمحتاجين من جهة روحياتهم ، لكى يقودوهم إلى حياة أفضل ..

وإن كان هذا يحدث بالنسبة إلى من يتقاضون معونات شهرية ثابتة ، فهل يحدث هذا الإهتمام الروحى أيضاً للحالات الطارئة التى تأخذ معونة وتمضى ، ولا تعرف الكنيسة شيئاً عنها بعد ذلك؟

يمكن أن نضم إلى هؤلاء مجموعات أخرى وهى :

الملاجئ والمعوقين :

نفس الوضع : ربما أهم ما تقدم لهؤلاء ، هى العناية المادية والإجتماعية وقد يبقون من الناحية الروحية والنفسية ضمن الذين ليس لهم أحد يذكرهم .

وكثيراً ما تقدم لهؤلاء العناية العلمية والتأهيل المهنى والوظيفى، والبحث لهم عن عمل . ووسط التركيز الشديد على هذا الأمر ، يبقى هؤلاء محتاجين إلى عمل روحى كبير ، لكى ينجوا من العقد النفسية ، ويتربوا التربية الروحية الصالحة ، التى يجدون فيها

الحب والحنان والمعاملة الطيبة ، والصلة القوية بالله.

ومع العناية باللاجئين ، قد تبقى أسراتهم ضمن الذين لا أحد يذكرهم !

كل ما يستطيع الملجأ أن يقدمه ، هو أن يتلقى الطفل اللاجئ مع أسرته وقد لا يفكر بعد ذلك فى هذه الأسرة وكيف تعيش مادياً وروحياً ؟ وما الخدمة التى يمكن تقديمها لها ؟

مجموعة أخرى قد لا توجد من يهتم بها روحياً وهى :

المرضى :

غالبية إهتمامنا بالمرضى يتركز فى حالتهم الصحية . أما من الناحية الروحية ، فليس من أحد يذكرهم !

وقد يكون إنسان فى مرض خطير ، وبينه وبين الموت خطوات قصيرة . ومع ذلك لا يهتم أحد بأبديته ، ولا يعده لها . بل كثيراً ما يحيطه الكل بالأكاذيب مخفين عنه مرضه ، حتى لا يتعب نفسياً . وقد يحيطونه بالتسليات العالمية أيضاً ..

وقد يجلس الزوار والأقارب حول المريض ، إلى ساعات طويلة، فى أحاديث مستمرة يسلونه بها ، دون أن يعطوه فرصة للصلاة والتوبة ...

لماذا لا يوجد خدام روحيون متخصصون فى زيارة المرضى، يعرفون كيف يتحدثون معهم حديثاً روحياً ونفسياً ، ويهتمون بأبدية الذين قد قرب رحيلهم لكى يعدوهم لهذا الرحيل ، فتخلص نفوسهم فى ذلك اليوم ؟!

كلمتكم فى هذا المقال عن الفقراء والمحتاجين ، وعن المرضى والمساجين ، والشبان المتسكعين ..

وأود أن أتعرض لمجموعة على عكس كل هؤلاء ، وتدخل ضمن الذين ليس لهم أحد يذكرهم ، وهى :

الأغنياء وأصحاب المناصب :

هؤلاء قد يستحى الخدام أو الكهنة من أن يحدثوهم عن التوبة والتخلص من خطاياهم .. وربما كل ما تطلبه منهم الكنيسة هو تبرعاتهم ، أو توسطهم فى أمور تهم الكنيسة ! أما أرواح هؤلاء وقلوبهم وأبديتهم ، فليس لها أحد يذكرها !

إنهم أيضاً يحتاجون إلى الكلمة توصلهم إلى الله فيتوبون ، إن كانوا محتاجين إلى توبة ...

لهذا اشترط الكتاب فى الأسقف أنه " لا يأخذ بالوجوه " ، أى لا يجامل هؤلاء الأغنياء والعظماء ، وبخاصة المتبرعين منهم ، على

حساب روحياتهم ولا نقصد أن يستخدم البعض معهم أسلوب الشدة، كما وبخ المعمدان هيرودس ..

إنما على الأقل ، فليستخدم معهم أسلوب التوجيه الروحى ، الممتزج بالإحترام والمودة ، كما فعلت أبيجايل مع داود الملك ، لما أراد الإنتقام لنفسه ، ويقتل نابال الكرملى (١صم ٢٥) .

أو يستخدم معهم أسلوب الحكمة التى تكلم بها ناثان النبى مع داود أيضاً (٢صم ١٢) .

الباب السابع

يُهيئ للرب
شعباً مستعداً

يهيئ للرب شعباً مستعداً

(لو ١: ١٧)

نعم ، ما أجمل هذه العبارة التى قالها ملاك الرب فى البشارة بميلاد يوحنا المعمدان : إنه " من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس، ويرد كثيرين من بنى اسرائيل إلى الرب إلههم . ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته .. لكى يهيئ للرب شعباً مستعداً " (لو ١: ١٥-١٧) وقيل أيضاً عنه فى نبوة ملاخى " هأنذا أرسل ملاكى ، فيهيئ الطريق أمامى " (ملا٣: ١) (مر ١: ٢) .

وكيف يهيئ الطريق قدام الرب ؟

بأنه " كان يكرز قائلاً : يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لستُ أنا أهلاً أن أنحنى وأحل سيور حذائه " (مر ١: ٧) (مت٣: ١١) " أعدوا طريق الرب ، أصنعوا سبله مستقيمة " (مت٣: ٣) .

وكيف كان يوحنا يهيئ للرب شعباً مُستعداً ؟ ..ذلك بقيادتهم إلى التوبة ... كان يكرز بمعمودية التوبة . ويقول للناس : " أنا أعمدكم

بماء للتوبة " " أصنعوا ثماراً تليق بالتوبة " (مت٣: ١١،٨).

نقول هذا لأن كثيرين كل خدمتهم هى قيادة الناس إلى مجرد المعرفة ، وليس إلى التوبة ...!

لكن ماأجمل المعرفةُ التى تقود إلأى التوبة ... التى لاتخاطب العقل فقط ، إنما تعمل فى القلب ليلتصق بالله ...

لقد خلق اللـه شعباً يملأ الأرض كلها . وهو يريد أ، الجميع يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون (١تى٢: ٤) . وقد ترك الرب هذا الشعب إلى مجموعة من الوكلاء (لو١٢: ٤٢) أوإلى مجموعة من الكرامين (مت٢١: ٣٣) . لكى يعدّوا للرب شعباً مستعداً . ووضع أمامهم هذه الآية : " **من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا** " (يع٥: ٢٠)

والمعروف أن الخلاص بالمسيح وحده ، الذى " ليس بأحد غيره الخلاص " (أع٤: ١٢) . فمامعنى عبارة " يخلص نفساً " هنا؟ معناها: يقودها إلى الخلاص الذى بالمسيح يسوع . أو يهيئ هذه النفس للخلاص ، بالإيمان والتوبة . فى يوم من الأيام ذهب صموئيل النبى إلى بيت لحم ، ليمسح واحداً من أولاد يسى البيتلحمى ملكاً للرب . فقال : " تقدسوا وتعالوا معى إلى الذبيحة ". ويقول الكتاب عنه : " **وقدّس يسى وبنيه ، ودعاهم إلى الذبيحة** "

(اصم١٦: ٥)

فما معنى كلمة " قدّسهم" هنا ؟ معناها نفس العبارة : هيأ للرب شعباً مستعداً .. وهذا الوضع ذاته قيل عن الشعب قبل سماعهم الوصايا العشر ... " قال الرب لموسى : أذهب إلى الشعب ، وقدّسهم اليوم وغداً .. ويكونوا مستعدين .. فأنحدر موسى ، وقدّس الشعب ..." (خر١٩: ١٠،١٤) ...

هو أيضاً هيّأ للرب شعباً مستعداً ، لسماع كلمته ...

ما أعظم هذا الأمر ، أن نهيئ للرب شعباً مستعداً ...

شعباً مستعداً لقبول الخلاص ، شعباً مستعداً لنوال نعمة الرب فى المعمودية (إن كانوا كباراً) أو فى التقدم للتناول من الأسرار المقدسة ... شعباً مستعداً للتوبة ، مستعداً للشركة مع الروح القدس، أو مستعداً لخدمة الرب وبناء ملكوته .. أنظروا ماذا يقول بولس الرسول :

" خطبتكم إلى رجل واحد ، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح "

(اكو١١: ٢)

من فيكم يستطيع أن يقدم نفوساً عفيفة للرب ؟ يهيئ له نفوساً مستعدة لمحبته ...

كانت هذه هى وظيفة يوحنا المعمدان ز لقد هيأ هذه العروس ـ

أى الكنيسة للرب . هيأها له بالتوبة ، بمعمودية التوبة . ولما سلّمها له ، وقف فى فرح يقول : " من له العروس فهو العريس . أما صديق العريس الذى يقف ويسمعه فيفرح .. إذن فرحى هذا قد كمل " (يو٣: ٢٩)

وعروس الرب قد تكون نفساً واحدة ، أو شعباً أو شعوباً

قد تكون فصلاً فى التربية الكنسية ، وقد تكون كنيسة بالنسبة إلى أب كاهن ، وقد تكون إيبارشية بالنسبة إلى أب أسقف. وقد تكون شعباً أو شعوباً كمسئولية الآباء الرسل، وغيرهم من الأنبياء. وقد تكون الكنيسة كلها التى يقدمها المسيح ، حينما يسلم الملك للآب (١كو١٥: ٢٤)، أو هى أورشليم السمائية التى أبصرها القديس يوحنا الرائى .

" ... كعروس مزينة لعريسها " (رؤ ٢١: ٢) .

نعم ، هذه هى وظيفة الخدام والوعاظ والكهنة والرعاة وكل صيادى الناس، أن يهيئوا هذه العروس – أى النفوس – لعريسها، مزينة بالفضائل "معطرة بالمرّ واللبان، وبكل أذرة التاجر" (نش٣: ٦) .

إنهم يهيئون النفوس ، فتبدو جميلة أمام الرب .

تلبس ثوب البر ، أو تلبس ثياباً من نور ، وينشدون لها تلك

الأغنية الجميلـة " كل مجد إبنـة الملـك مـن داخـل، مشـتملة بثيـاب موشاة بالذهب، ومزينة بأنواع كثيرة " (مز ٤٥) .

كان هذا أيضاً هو عمل الأنبياء فى العهد القديم، وعمل الوحى الإلهى، الذى هيأ شعباً مستعداً لقبول الخلاص والفداء والتجسد الإلهى، بنبوءات ورموز ...

وهو أيضاً عمل الملائكة القديسين الذين قيل عنهم :

" أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " (عب١: ١٤).

هؤلاء هم الملائكة الحالة حول خائفى الرب وتنجيهم من كل شر ... هؤلاء الذين نقول عنهم للرب فى صلواتنا باستمرار "احطنا يارب بملائكتك القديسين ، لكى نكون فى معسكرهم محفوظين ومرشدين " .

تهيئة النفوس هى أيضاً مسئولية كل الذين يعملون فى كرمه . فأحدهم يغرس ، والثانى يسقى ، والله ينمى . وكلهم عاملون مع الله (١كو٣: ٦، ٩)... ولكن من أجل قلة العاملين فى تهيئة النفوس للرب، لذلك يقول لنا :

" الحصاد كثير ، ولكن الفعلة قليلون . أطلبوا إلى رب الحصاد أن يرسل فعلة لحصاده " (مت٩: ٣٧) .

ومع ذلك يحتاج الرب إلى فعلة من نوعين ... لا يكونون مثل أولئك الكرامين الأردياء الذين قال لهم الرب "ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل ثماره " (مت٢١: ٤٣) .

والذى يهيئ للرب شعباً مستعداً عليه أن يكون طويل البال ، لا يضجر بسرعة . حتى إن كانت الشجرة لا تصنع ثمراً لسنوات طويلة ، لا يقطعها للتو، بل يتركها سنة أخرى، وينقب حولها ويضع زبلاً ، لعلها تأتى بثمر (لو١٣: ٨) .

هناك كثيرون مسئولون أن يهيئوا للرب شعباً مستعداً ، منهم الآباء والأمهات فى محيط الأسرة .

الأطفال فى أيديهم عجينة لينة يمكنهم تشكيلها بالطريقة التى ترضى الرب ، بالتعليم والتدريب ، وبالقدوة الحسنة ، وبوضع الأساس الروحى القوى ، الذى تبنى عليه الحياة الروحية راسخة ، لا تزعزعها محاربات العدو من الخارج ...

للأسف كثير من الأسرات ، تهمل تربية أولادها ، معتمدة على الكنيسة ومدارس الأحد . ولكن هذا لا يعفيها مطلقاً من المسئولية أمام الله، ناسين قول الكتاب :

" ربِّ الولد فى طريقه . فمتى شاخ أيضاً ، لا يحيد عنه " (أم٢٢: ٦) .

وأيضاً قول الرسول " أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم ، بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره " (أف٦: ٤) .

إن التاريخ يحدثنا عن أمهات قديسات ، أعددن للرب أبناء صالحين قادوا شعوباً . مثل يوكابد الذى كان من ثمرة بطنها وتربيتها موسى النبى، ومريم النبية، وهارون رئيس الكهنة. وكذلك تلك الأم القديسة التى أنجبت القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية كبادوكيا، وأخيه القديس غريغوريوس أسقف نيصص، وأخيه القديس بطرس أسقف سبسطية ، وأختهم القديسة ماكرينا المرشدة الروحية ورئيسة دير ...

هؤلاء الأمهات القديسات أدركن عمل الإشبين فى الكنيسة .

الكنيسة تسلم الأمهات الأطفال بعد المعمودية لكى يقمن – كإشبينات – بتربية هؤلاء الأطفال تربية روحية في مخافة الله ومحبته . فإن قامت الأمهات بواجبهن الروحى، يمكنهن حينئذ إعداد شعب مستعد للرب. وتستطيع الأم أن تعطى إبنها من الروحيات أضعاف ما تعطيه له مدارس الأحد، وتحفظ له النقاوة التى خرج منها من المعمودية، بل تنميها أكثر وأكثر . وتهيئ أبناءها للرب وخدمته ... وينشأ الأبناء على حياة القداسة فى (كنيسة البيت) ...

كذلك عمل الكنيسة أن تهيئ للرب شعباً مستعداً ...

تقوم بتهيئته عن طريق الكرازة ونشر الإيمان ، وعن طريق الأسرار المقدسة : وبخاصة المعمودية والمسحة المقدسة ، وسرّى التوبة والإفخارستيا. وكانت الكنيسة فى القديم تهيئ المؤمنين للعماد عن طريق فصول الموعوظين ، وشرح قانون الإيمان لهم كما فى كتاب القديس كيرلس الأورشليمى .

بل كانت الكنيسة تعدّ شعباً مستعداً للإستشهاد .

تعلّمه تفاهة الحياة الأرضية، وتدربه على حياة الزهد فى المادية وتثبته في حياة الإيمان ، وتشرح له كيف أن الموت مع المسيح أو لأجل المسيح يؤهله إلى الحياة معه فى الفردوس . وأن الموت ليس سوى إنتقال إلى حياة أفضل فى عشرة الله وملائكته وقديسيه ...

وما أكثر الكتب التى حفظتها لنا مكتبة أقوال الآباء وموضوعها [الحث على الإستشهاد] ... وبهذا كله كان الشهداء يتقبلون العذابات والموت فى شجاعة وفرح ...

كانت الكنيسة تعدّ المؤمنين أيضاً للأبدية .

تعدّهم لملاقاة الرب ، سواء فى الموت الشخصى أو فى مجئ الرب . وكانوا يستخدمون عبارة (ماران آثا) أى ربنا آتٍ ، كما كتب القديس بولس الرسول (١كو١٦: ٢٢) .

تعدّهم للأبدية ، بعدم الخوف من الموت ، وبحياة التوبة والقداسة ، وبالتعليق بالسماء والحياة الأخرى . ويقول بولس الرسول "لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً " (فى١: ٢٣) .

كانت الكنيسة تعدّهم ضد الشكوك والهرطقات .

بتثبيتهم فى الإيمان المستقيم ، ويقول القديس بطرس "مستعدين فى كل حين ، لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم " (١بط٣: ١٥) .

وكانت الكنيسة تعدّ شعبها بالرد على كل الهرطقات والبدع ، بالمجامع المقدسة وكتب الآباء وبالتعليم القوى ، حتى لا ينحرف أحد عن إيمانه بما يبذره المبتدعون من شكوك ...

وكانت الكنيسة بمداومة التعليم تهيئ للرب شعباً مستعداً .

كما قال القديس بولس لتلميذه تيموثاوس " لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك . فإنك إن فعلت هذا، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " (١تى٤: ١٦) . وهكذا كانت الكنيسة تشترك أن يكون الأسقف صالحاً للتعليم (١تى٣: ٢) " لكى يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ، ويوبخ المناقضين " (تى١: ٩) . وحتى بالنسبة إلى المخطئين ، تقول الدسقولية " اصلح الذنب بالتعليم " .

وكانت الكنيسة تعدّ للرب شعباً ، بالتأديب أيضاً ...

كما يقول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف "وبخ انتهر عظ " (٢تى٤: ٢) " الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع ، لكى يكون عند الباقين خوف " (١تى٥: ٢٠) . ومن أجل الإحتفاظ بقدسية الكنيسة أمر القديس بولس من جهة خاطئ كورنثوس " أن يسلّم مثل هذا للشيطان لإهلاك الجسد، لكى تخلص الروح فى يوم الرب" (١كو٥: ٥) . ووبخ أهل كورنثوس قائلاً لهم "اعزلوا الخبيث من بينكم " (١كو٥: ١٣) .

ويقول القديس يهوذا غير الإسخريوطى " وخلصوا البعض بالخوف، مختطفين من النار، مبغضين حتى الثوب المدنس من الجسد " (يه٢٣) .

وكانت الكنيسة تهيئ للرب شعباً ، عن طريق الصلاة وتشجيع صغار النفوس والضعفاء .

إذ يقول الرسول فى ذلك " شجعوا صغار النفوس ، اسندوا الضعفاء، تأنوا على الجميع" (١تس٥: ١٤) . ويقول أيضاً " اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم، والمذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد " (عب١٣: ٣) .

وقيل عن السيد المسيح له المجد إنه كان " قصبة مرضوضة لا

يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت١٢: ٢٠) .

ومن أجل تهيئة شعب مستعد لله ، كانت الكنيسة تصلى أن يرسل الرب فعلة لحصاده، وأن يعطى الرب قوة للخدام، وحكمة للرعاة وسمعاً وقبولاً من المخدومين .

كذلك تشجع الشعب على السهر الدائم على خلاص أنفسهم، كما قال الرب " اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة " (مت٢٦: ٤١). وكما قيل عن حراسات الليل إنهم كانوا " كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب . كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل " (نش٣: ٨) .

والكنيسة تعدّ للرب شعباً مستعداً فى الحروب الروحية .

تقول لأولادها " اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر، يجول ملتمساً من يبتلعه هو . فقاوموه راسخين فى الإيمان " (١بط٥: ٨، ٩). وتجعلهم مستعدين لملاقاته، بضبط النفس، وبالصلاة، والتداريب الروحية، والمداومة على الإعتراف والتناول، مستعدين ضد كل غواية وفكر " مستأسرين كل فكر لطاعة المسيح" (٢كو١٠: ٥) . فى كل ما قلناه إسأل نفسك :

كم نفساً إستطعت أن تهيئها للرب ، حتى تكون مستعدة للحياة معه والثبات فيه ؟

الباب الثامن

تكونون لي شهوداً

تكونون لى شهوداً

(أع ١: ٨) .

قال السيد الرب لتلاميذه " وتكونون لى شهوداً فى أورشليم ، وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض " .

إذن فالإنسان المؤمن لا يكتفى بأن يعرف الله ، إنما ينبغى أن يكون شاهداً له ، يعرّف الناس به ...

من الأمثلة الواضحة فى هذا الأمر، المرأة السامرية التى لما عرفت الرب، لم تستطع أن تصمت. وإنما ذهبت لأهل بلدها، وقالت لهم "تعالوا وأنظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت" (يو٤: ٢٩).

ومن الأمثلة الأخرى فيلبس لما عرف المسيح ، لم يقتصر على معرفته ، وإنما " وجد نثنائيل وقال له : وجدنا الذى كتب عنه موسى في الناموس – يسوع الذى من الناصرة " (يو١: ٤٥) .

وهكذا كان الواحد له تأثير على غيره ، يضمه إلى الرب .

من الجائز أنك لا تكون من الناس الكبار الذين أعطاهم الرب خمس وزنات ، ولا حتى من الذين أخذوا وزنتين . وليست لك

سوى وزنة واحدة . هذه أيضاً لابد أن تتاجر بها وتربح . ولابد أن تسأل نفسك هذا السؤال الهام :

ما مدى شهادتى للمسيح ؟ من هم الذين أوصلتهم إلى الرب ؟

لا تحاول أن تعتذر أو تتهرب . لا تقل ليست لى مواهب ولا أصلح ، كما قال موسى " لست صاحب كلام . أنا إنسان أغلف الشفتين . أنا ثقيل الفم واللسان " (خر٤: ١٠) (خر٦: ٣٠) . ولا تقل كما قال أرميا " لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد " (أر١: ٦) . لأن الله لم يقبل استعفاء موسى ولا أرميا . أريد أن أقول لك ماذا تفعل، إن لم تكن لك مواهب ، أو حسبت نفسك كذلك ...

اشهد للرب بحياتك ، بروحك ، بسلوكك ، بمعاملاتك ...

وحينئذ ينطبق عليك قول الرب " فليضء نوركم هكذا قدام الناس، لكى يروا أعمالكم الحسنة ، ويمجدوا أباكم الذى فى السموات " (مت٥: ١٦) . وبهذا تكون قد شهدت للرب ... على الأقل شهدت بأن وصاياه ممكنة التنفيذ ، وليست مجرد مثاليات خيالية ، كما يظن البعض ... ! وكل من يراك يقول :

حقاً " إن أولاد الله ظاهرون " (١يو٣: ١٠) .

نعم ، ظاهرون ومميزون : فى حياتهم وتصرفاتهم وأسلوبهم الروحى ، وطريقة معاملاتهم ، ونوعية ألفاظهم المنتقاة ... وكل

من يستمع إليك يقول " لغتك تظهرك " (مت٢٦: ٧٣) . ولكى تكون لك هذه الشهادة ، ينبغى أن تكون لك حياة روحية نقية ومثمرة . وعلى الجانب الآخر ، لا يستطيع أحد أن يشهد لله بكلامه فقط ، بينما حياته خاطئة . حينئذ سوف تقف حياته ضد كلامه الروحى ، وتفقد ذلك الكلام تأثيره ...

أيضاً يمكنك أن تشهد لله فى بيتك ، وسط عائلتك ...

أهل بيتك يعيشون معك باستمرار ، وينجذبون إليك برابطة الأم، وبينك وبينهم محبة طبيعية وعلاقة طيبة ... فهم أقرب إلى التأثر بك ، إن كنت ذا تأثير . وإن كنت لا تستطيع أن تشهد لله فى بيتك، فكيف تشهد للغرباء ؟! إنما هناك شرط لشهادتك فى بيتك ، أن تكون حياتك بلا لوم أمامهم ، وأن تقول لهم ما تنفذه فعلاً فى حياتك من الفضيلة ونقاوة السيرة . وإلا فإنهم يقولون لك " أيها الطبيب ، إشف نفسك" (لو٤: ٢٣) .

وإن لم تستطع فى بيتك أن تشهد للرب وسط الكبار ، فعلى الأقل افعل ذلك وسط الصغار ، مع الأطفال ...

الأطفال الذين إذا أحبوك يقلدونك . وإن أحببتهم يلتفون حولك، ويحبون أن يسمعوا منك حكاية أو ترتيلة أو كلمة تعليم . خذ هؤلاء مجالاً لخدمتك ، وقل " ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الرب" (أش ٨: ١٨) (عب٢: ١٣) . وإن كنت رب أسرة ومسئولاً عن

هؤلاء الأطفال، تقول " أما أنا وبيتى ، فنعبد الرب" (يش٢٤: ١٥).

لذلك فالإنسان الذى لم يستطع أن يدبر أهل بيته حسناً ، لا يصلح أن يكون كاهناً .

لأن هذا هو أحد الشروط التى اشترطها الكتاب فيه ، إذ يقول "يدبر أهل بيته حسناً " . له أولاد فى الخضوع بكل وقار " (١تى٣: ٤) . ويتابع الرسول فيقول " وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته ، فكيف يعتنى بكنيسة الله ؟!" (١تى٣: ٥) . إذن موضوع الشهادة فى البيت أمر هام .

فالأم إشبينة لإبنها فى وقت العماد .

استلمته من الكنيسة لتربيه فى خوف الله ، وتدربه على حياة الفضيلة ، وتعلمه الصلاة والترتيل ثم الصوم حينما يكبر ، وتعطيه القدوة الصالحة ، وتجعله يحب الكنيسة وكل ما فيها .. ثم تدربه فى نضوجه على الإعتراف والتناول ...

وكذلك الأب يقف أمامه قول الرب فى سفر التثنية "ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك . وتكلم بها حين تجلس فى بيتك .. " (تث٦: ٦، ٧) .

هذا من الناحية الإيجابية. أما من الناحية السلبية، فإن الأب الذى يثور فى البيت، ويشتم ويتشاجر، فإنه يكون عثرة لأولاده فى

روحياتهم ... وينطبق عليه عقاب الرب للذين يعثرون الصغار (مت١٨: ٦) ...

يمكنك أيضاً أن تشهد للرب وسط أصدقائك ومعارفك ...

وسط زملائك في العمل ، وفي أماكن نشاطك كلها . تقدم شهادة للروح الطيبة ، للحياة الفاضلة . لعفة اليد ، وعفة اللسان ، وحسن التعامل مع الآخرين . وتقدم مثالاً للمحبة التي تعطي وتبذل وتضحي ، وتنقذ الآخرين وتساعدهم . بحيث كل إنسان يتعامل معك ، يحب الحياة التي تحياها ، ويمجد الله بسببك ...

أنا لا أقصد بشهادتك للرب ، أن تقيم نفسك معلماً لغيرك " .

وإنما أن تقدم لهم الأمثولة الطيبة للحياة الفاضلة . وإن سألوك عن شئ ، تكون مستعداً للإجابة في وداعة وإتضاع قلب ... وهنا أنتقل إلى نقطة أخرى وهي :

الشهادة للرب في محيط الخدمة .

هذا إذا دعتك الكنيسة أن تخدم ، وقدمت لك مسئولية تقوم بها . وطبعاً ليس كل إنساناً خادماً في الكنيسة . ولكن لاشك أن المسئولين فيها إن وجدوا فيك الغيرة المقدسة وروح الخدمة والإستعداد والإمكانيات ، لابد أن يستخدموك .

وإن لم تكن لك خدمة رسمية ، يمكن أن تزور المرضى ، وأن تعزي الحزانى . وفي كل مناسبة كهذه أو غيرها ، تقول كلمة طيبة

حسبما يعطيك الرب أن تقول ، لا كعظة إنما كعزاء ...

وتذكر في حياتك الروحية وفي صلتك بالناس قول الرب :

" كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تُقطع وتلقى في النار " (مت٧: ١٩) .

وهكذا قال المعمدان أيضاً (مت٣: ١٠) . والثمر الذى تصنعه ، بعض منه خاص بك، والبعض خاص بغيرك ممن تشهد للرب في حياتهم، وتقودهم لحفظ وصاياه. وثق أنك إن عملت في هذا الميدان سوف يعطيك الرب المواهب والإمكانيات. فهو يقول عن الغصن المثمر "كل ما يأتي بثمر، ينقيه ليأتي بثمر أكثر" (يو١٥: ٢) .

ما أعمق حياة الذين شهدوا للرب وأتوا بثمر كثير ...

يونان النبى يدخل الملكوت ، وخلفه ١٢٠ ألفاً من أهل نينوى . والقديس الأنبا أنطونيوس يدخل وخلفه ربوات ربوات من الرهبان والنساك والقديس بولس الرسول يدخل إلى الملكوت ، وخلفه مدن كثيرة كرز فيها باسم الرب ...

وأنت ماذا فعلت ؟ من ستدخله معك إلى الفردوس ؟

الإنسان الروحي له رسالة مع كل شخص يدفعه الرب إلى طريقه ، كما فعل فيلبس مع الخصى الحبشى .

لقد قابله في الطريق ، فرافق مركبته . وانتهى الأمر بأن آمن

ذلك الخصى على يديه ، فعمده ، ومضى ذلك الرجل فى طريقه فرحاً (أع٨: ٢٦- ٣٩) .

وكم من أشخاص القاهم الرب إلى طريقك، ولم تفعل شيئاً لأجلهم ، بينما كان الصوت يرن فى أذنيك " تقدم ورافق هذه المركبة " (أع٨: ٢٩) . زملاؤك وجيرانك ومحبوك ، وربما البعض ممن قابلتهم عفواً ، وكانوا يحتاجون إلى كلمة الرب من فمك . وكانت الفرصة متاحة ، ولم تستغلها !!

هناك من يشهدون للرب بألسنتهم . وهناك من يشهدون له بطريق غير مباشر .

كمن يقدم لشخص كتاباً ، ويقول له " ليتك تقرأ هذا الكتاب ، فإننى قد إستفدت منه كثيراً " ... أو يقدم لغيره شريط كاسيت أو فيديو .. أو يدعوه إلى إجتماع ... أو كأب كاهن مثلاً لا يجيد الوعظ ، ولكنه يدعو إلى كنيسته وعاظاً مقتدرين يتأثر أولاده بعظاتهم . كما أنه يغذى مكتبة الكنيسة بكتب نافعة جداً لأولاده ويكون فى كل ذلك قد شهد للرب بطريق غير مباشر ...

ياليت لقاءاتنا مع الناس ، تكون فيها لمسة روحية ...

ولو بطريقة غير مباشرة ، لا تبدو مصطنعة أمام الناس ، والخادم الروحى يستطيع أن ينتهز الفرصة التى يقدم فيها كلمة

منفعة ، أو يستشهد بآية لها تأثيرها ، أو بقول أحد القديسين . ويكون قد قدّم رسالة للسامعين ، دون أن يبدو فى موقف الواعظ . وأحياناً تكون أمثال هذه الكلمات ذات تأثير أعمق ، مع أنها تبدو كما لو كانت قد أتت عفواً ، فى بساطة وفى حكمة .

ليتك تأخذ هذا التدريب فى لقاءاتك مع الناس ...

ألا تستطيع أن تجد فرصة طوال يومك ، تقول فيها كلمة يمكنها أن تثبت فى قلوب سامعيك أو فى عقولهم ؟!

أم يمر اليوم عليك عقيماً ، دون أن تشهد للرب . فيه شهادة واحدة ..!! ودون أن يرد إسم الله على فمك !

أنا أعرف أن الكتاب المقدس له استعمال فى غرفتك الخاصة. ولكن هل له استعمال فى علاقاتك الإجتماعية ؟

وحينما تأتى المناسبة تخرج من كنزك – أى من محفوظاتك – جدداً وعتقاء ، كما قال الرب (مت١٣: ٥٢) .. وهذا يحدث إن كان فى ذاكرتك رصيد من الآيات لشتى المناسبات . وكانت لك النية لاستخدام ما فى ذاكرتك . وكذلك إن كانت لك الحكمة فى إختيار المناسبة ...

كم من أناس لهم اشتياق أن يسمعوا . وللأسف لم يجدوا من يكلمهم ، على الرغم من اختلاطهم بخدام ا لكنيسة ..!!

وقد يعاشرون خداماً سنوات وسنوات ، ويكون الواحد منهم ، متكلماً ولطيفاً ، ولكنه لا يتحدث عن الله ... كما لو كان يخجل أن يذكر آية، أو كلمة من أقوال الآباء ، أو قصة من قصص القديسين، أو حديثاً عن فضيلة من الفضائل ، أو نصيحة مفيدة ... وكأنه شجرة خضراء مملوءة ورقاً ، ولكن بلا ثمر ...!!

حاول أن تختبر هذا الأمر ، أن تتكلم عن الله ...

أن يكون في كلامك عمق روحي . أن تقصد توصيل رسالة من الله إلى الناس . وسترى أن النتيجة ستكون طيبة جداً . حتى لو استفاد من كلامك شخص واحد من بين مجموعة ، فهذه بركة ونعمة . لقد تحدث القديس بولس الرسول في أثينا . وتأثر بكلامه شخص وسط جمع من المستهزئين به ، هو ديونسيوس الأريوباغي (أع١٧: ٣٤) . وكان أول أسقف لأثينا فيما بعد ...

رسالتك أن تلقي البذار ، واترك الثمار لطبيعة الأرض .

فهكذا علمنا الرب في مثل الزارع (مت١٣) . وثق أن الذي لا تثمر فيه كلمتك اليوم ، ربما تثمر بعد حين ، حينما تهيئ نعمة الرب أرضه للإثمار . استمع إلى قول الكتاب " إلقِ خبزك على وجه المياه ، فإنك تجده بعد أيام كثيرة " (جا١١: ١) .

لماذا لا يكون الرب على لسانك ، ويشغل جزءاً من أحاديثك ؟!

ولماذا لا تكون لك الغيرة المقدسة التى تدفعك دفعاً إلى العمل فى ملكوت الله ، والشهادة للرب فى عالم مظلم؟ استمع قول الرسول:

" من رد خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا " (يع٥: ٢٠) .

حاول إذن أن تعمل فى هذا المجال ، بدلاً من أن تسمع عن الخطاة ، فتنتقدهم وتشهر بهم ، أو تحتقرهم ، دون أن تعمل على خلاص أحد منهم !! أو إن شهدت للرب فى حياتهم ، تشهد لما ينتظرهم من جهنم النار ، دون أن تفتح باب التوبة أمامهم ، وتختطفهم من النار لتخلصهم (يه٢٣) .

إن الشهادة لله ينبغى أن تكون فى حكمة وفى حب ...

استمع إلى القديس بولس وهو يقول " أيها الأخوة ، إن أنسبق إنسان فأخذ فى زلة ، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ، ناظراً إلى نفسك لئلا تجرّب أنت أيضاً . احملوا بعضكم أثقال بعض " (غل٦: ١، ٢) . وبنفس المعنى قال بولس الرسول لشيوخ أفسس الذين استدعاهم من ميليتس " لم أفتر أن أنذر بدموع كل أحد "(أع٢٠: ٣١) .

ولتكن شهادتك للرب مقنعة ومشبعة ودسمة .

تستطيع أن تجذب بها نفوس الناس ، فيفرحون بما يسمعونه من

كلامك. كما قال سمعان بطرس للسيد المسيح " إلى من نذهب ؟! وكلام الحياة الأبدية هو عندك " (يو٦: ٦٨) .

وثق أنك فى شهادتك للرب ، سوف تستفيد أنت أيضاً .

سوف تنمو فى الروح ، وفى معرفة كلمة الرب .

وسوف تدخل فى شركة الروح القدس ، حينما يتكلم روح الله من فمك (مت١٠: ٢٠) . وستجد نفسك مدفوعاً إلى تنفيذ ما تقوله لغيرك . وينطبق عليك قول الرسول : " تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " (١تى٤: ١٦) . وسيدخل فى حياتك عنصر الحب: حب الله وملكوته ، وحب الناس . وحينما ترى ثمر خدمتك فى الناس ، سيدخل الفرح إلى قلبك . كما أنك سوف تكتسب خبرات روحية فى الخدمة وعمل الله فيها وفيك . وستدفعك الخدمة إلى الصلاة ، فتصلى لأجل المخدومين ولأجل نفسك ... وهكذا تنمو روحياً ...

فى شهادتك لله ، أتراك إذن تعطى أم تأخذ ؟

لاشك أنك تأخذ أكثر مما تعطى . فإلى جوار كل ما ذكرناه من فوائد روحية ، ستأخذ أيضاً أكاليل لجهادك (٢تى٤: ٨) . وسيكون لك شرف العمل مع الله (١كو١: ٨) . ويمنحك الله نقاوة ليكثر ثمرك ، لأنه قال " أنقيه ليأتى بثمر أكثر " (يو١٥: ٢) .

الباب التاسع

الخادم داخل الأسرة

الخادم داخل الأسرة

وضع خاطئ :

العجيب أن كثيراً من الخدام عندهم إزدواج فى الشخصية :

فهم فى محيط الخدمة بطريقة، وداخل الأسرة بطريقة أخرى عكسية

فى مدارس الأحد : ملاك طاهر، إنسان لطيف ، بألفاظ كلها إتضاع ورقة ، كأن يقول " صلوا من أجلى، أنا الخاطئ، أنا الضعيف، غير المستحق " ... أما داخل الأسرة ، فهذا الخاطئ غير المستحق يبدو على حقيقته ، الغضب والعنف ، وربما الإنتهار والشتيمة والضرب ...! لذلك فالشخص الذى يرشح للكهنوت من الخدام ، لا تكفى فكرة زملائه الخدام عنه ، إنما أيضاً رأى أفراد أسرته فيه ..

ربما يحاول أن يكون قدوة خارج الأسرة ، ولكنه فى أسرته غير ذلك . قد يفتقد ويخدم الكثيرين خارج الأسرة. ولكن لا خدمة له داخل أسرته .

وأحياناً يخدم داخل أسرته، فيتحول إلى رقيب على كل أحد، عنيف فى رقابته، معلم ومؤدب، يأمر وينهى، بطريق تنفر من الدين.

أتذكر خادماً أيامنا ، رأى عند أخته فى البيت أدوات مكياج ، فثار عليها، وشتمها وصفعها على وجهها، وألقى بأدوات المكياج من البلكون !! فهل هذا أسلوب روحى فى الخدمة ؟! وهل هذه طريقة تجعل أخته تحب التدين، أو تحترم خدام الكنيسة ... بل لا مانع عند مثل هذا (الخادم) من أن ينتهر أباه وأمه، إن كان تصرف أحدهما لا يعجبه .

فهو إما أنه لا يخدم داخل الأسرة ، أو يخدم بكبرياء وعنف .

وقد ينطوى على نفسه داخل أسرته، ويشكو من أنه يعثر من الأسرة، وأنه على خلاف بينهم فى كل المبادئ الروحية. وقد يحدث أن أسرته تمنعه من الخدمة ومن الكنيسة، لأنها ترى أن (تدينه) قد حوله إلى الصلف وإلى العنف، والبعد عن المحبة واللطف . أو ترى أنه قد أهمل دروسه وواجباته بحجة الخدمة ومواعيدها ومتطلباته.. بل أن أسرته هى التى تعثر منه ومن تصرفاته !

هنا ونسأل - من الناحية الإيجابية - عن كيفية الخدمة داخل الأسرة ...

كيف يخدم ؟

١ - بالتعاون مع أهل البيت :

هناك خادم يعطى درساً عن السامرى الصالح فى مدارس الأحد. ولكنه لا يكون سامرياً صالحاً فى بيته . إن الدين ليس

مجرد معلومات تُلقى على الناس ، إنما هى حياة نحياها ... لذلك كن خدوماً ومتعاوناً فى البيت .

تدخل البيت ، فلا تجد والدتك قد انتهت من تجهيز الطعام بعد.. فلا تغضب ولا تلقى محاضرة فى حفظ المواعيد ، إنما أدخل وساعدها فى تجهيزه ، كن معها أيضاً فى إعداد المائدة . وإن إنتهيت من تناول طعامك ، فلا تتركهم يحملون بقاياك ويغسلون أطباقك . وإنما اشترك فى ذلك . هل الأمر يكلفك بضع دقائق ؟ إنها شئ بسيط تساهم به فى مساعدة الدتك وأخواتك . بل تنال بركة دعاء الوالدة ومحبتها لك لأنك تساعدها ولا تتركها وحدها .

بعض (الخدام) لا يكتفون بعدم تعاونهم فى خدمة البيت ، بل يحمّلون أهل البيت ثقلاً فى خدمتهم .

يستيقظون من النوم ، ويخرجون إلى العمل ، ويتركون كل شئ مبعثراً فى حجرتهم ، لمن يتولى عنهم ترتيبه ! لماذا لا ترتب فراشك حالما تستيقظ من نومك؟ ولماذا لا ترتب ملابسك ومكتبك قبل أن تخرج من البيت . لماذا تعتبر أن الخدمة هى فقط تحضير الدروس وإلقاؤها . أليست الخدمة هى أيضاً التعاون مع أهل البيت؟

لماذا لا تتعاون مع أخوتك الصغار فى أن تشرح لهم دروسهم. أو تساعدهم فى ما يحتاجون إليه . وهكذا يحبونك ويتعلقون بك.

وبهذا الحب يمكنك أن تفيدهم روحياً .

لماذا لا تتعلم بعض الهوايات التى تستطيع بها أن تصلح بعض الآلات الكهربية فى البيت أو ما يشابهها ، فتساعدهم اقتصادياً بدلاً من إنفاقهم على ذلك ؟

٢ - نقطة أخرى فى خدمتك للبيت هى البشاشة والمحبة .

كن فى بيتك بشوشاً ، تشيع جواً من البهجة والفرح فى البيت ، وتجعل الكل يحبونك ، وبخاصة الصغار، بوجهك البشوش الحلو، وبابتسامتك اللطيفة ، وما تقصه على أخوتك من حكايات وألغاز، بمرحك ولطفك ...

ولا تكن مثل أولئك الذين لا يحفظون من بستان الرهبان غير عبارة " ادخل إلى قلايتك وأبكِ على خطاياك" ، ولا يحفظون من الكتاب المقدس سوى قول الحكيم " بكآبة الوجه يصلح القلب" (جا٧: ٣) . وهؤلاء يكتفون فقط بحياة التجهم والكآبة والتزمت والبكاء، بل يريدون أن يكون كل أهل البيت مثلهم مكتئبين !!

ويشيعون أن الضحك خطية ! ويلومون كل من يضحك !

وإن ضحك أهل البيت ، يعتبرون هذا منهم إنحلالاً !! وينسون قول الكتاب " وللضحك وقت" (جا٣: ٤) ، وقول الكتاب "افرحوا فى الرب كل حين، وأقول ايضاً افرحوا" (فى٤: ٤) . وإن من ثمار

الروح " محبة فرح وسلام" (غل٥: ٢٢) .

إن القديس أرسانيوس أشتهر بالدموع ، ولكنه أمام الناس كان بشوشاً . فلا تجعل أهل بيتك يتصورون أن كل من يدخل فى الحياة الدينية ، تتحول حياته إلى كآبة ، لئلا يخافوا من التدين بسببك !! بل إعطهم فكرة عن البشاشة الروحية وسلام القلب .

٣ - نقطة ثالثة فى خدمتك للأسرة هى إحترامك للكل .

احترس من أن يكبر قلبك بسبب تدينك ، فتحتقر الآخرين أو تدينهم ، أو أن تكلمهم من فوق ...! لأن كثيرين حينما دخلوا إلى محيط الخدمة، وضعوا فى ذهنهم لافتة مكتوب عليها " عظ ، وبخ، انتهر" (٢تى٤: ٢) . وبهذا الإنتهار أصبح أهل البيت يحترسون من ألفاظهم القاسية ، وتعبيراتهم الخالية من الإحترام بالنسبة إلى الكبير والصغير . وينسون أن هذه العبارة قد أرسلها القديس بولس الرسول إلى تلميذه القديس تيموثاوس الأسقف ، وذكر له الأسلوب "بكل أناة وتعليم " (٢تى٤: ٢) .

فهل أنت تقيم نفسك اسقفاً للبيت ، أم أنت مجرد خادم ؟

وحتى الأسقف لا يكون دائم التوبيخ ، بل قيل له بالنسبة إلى الكبار " لا تنتهر شيخاً ، بل عظه كأب ، والعجائز كأمهات، والأحداث كأخوة.." (١تى٥: ١) بل قيل عن الأسقف أيضاً أنه

يكون محتشماً حليماً غير مخاصم (اتى٣: ٢، ٣) ولا يكون غضوباً (تى١: ٧) ..

فلا تجعل محبة الخدمة تخرجك عن فضيلة الأدب وإحترام الغير.

والرسالة الروحية التى تريد أن تنقلها إلى الآخرين، قدمها لهم بكل محبة ولطف وإحترام، وفى عفة اللسان ، وبتواضع القلب ... حتى أخوتك الصغار، إن طلبت منهم طلباً ، وقلت للواحد منهم "عن إذنك.. لو تسمح.. ممكن كذا" .. هو نفسه سيتعلم منك هذا الأسلوب الرقيق ، ويستخدمه فى حديثه مع غيره ، وبهذا تكون قد خدمته عن طريق القدوة العملية .

حاول فى خدمتك العائلية أن لا تجرح شعور أحد .

ولا تتكلم بكلمة تجرح شعور إنسان . بل إحترم الكل ، فيحترمونك ويتعلموا منك إحترام غيرهم، ويتعلموا أيضاً اللطف فى الحديث، وأدب التخاطب، والنصح الهادئ. وإن كانت هناك نصيحة تقدمها لأبيك أو أمك، أو من فى مستواهما، فاحرص جيداً ألا تتكلم كمعلم ...! احتفظ بتوقير من هو أكبر منك سناً أو مقاماً .

٤- يمكنك -بالنسبة إلى الكبار- أن تقدم التعليم غير المباشر.

كأن تحكى قصة هادفة من قصص الآباء ، أو تأملاً فى آية معينة دون أن توجهها إلى أحد معين ، أو خبرة لحكيم، أو فكاهة

لطيفة تؤدى نفس الغرض ، مع حذف كل عبارة موجعة يتصادف وجودها فى ما تقصه من القصص .

واحذر من أن تجلس إلى أبيك وتقول له " أريد يا بابا أنى أكلمك كلمتين من أجل خلاص نفسك؟ .. كما لو كان خلاص نفسه فى خطر ، أو كان هالكاً يحتاج إليك أن تنقذه ... بل يمكن أن تحكى قصة لأخوتك الصغار ، ويسمعها أبوك عفواً أو قصداً ...

٥ – يجب فى خدمتك العائلية أن تتصف بالتواضع والحكمة .

لاشك أن الحكمة تعلمك التواضع ، وتعلمك الأسلوب المهذب الذى تتكلم به . ولا تظن أنك لكى تصلح الكبار تتجرأ عليهم ، أو لكى تصلح الصغار تتسلط عليهم . ولا تستخدم أسلوباً – فيما تحاول به أن تخلص غيرك – تهلك نفسك .

كن صغيراً باستمرار فى محيط أسرتك . لا تشعرهم فيما تقدمه من نصائح، أنك أصبحت أوسع منهم فكراً، وأكثر معرفة ، أو أنك أكثر منهم روحانية، وأنقى منهم قلباً ... !

إنك بهذا الأسلوب المتعالى ، تخسر صداقتهم ، وتخسر نفسك.

ماذا تستفيد إن كانت طريقتك فى الخدمة قد علمتك السيطرة، وعودتك على الغضب والإنتهار وقساوة القلب ، وأوجدت حاجزاً بينك وبين قلوب الآخرين؟!

تعلّم إذن البشاشة واللطف ، قبل أن تبدأ أية خدمة .

وأعرف أن كل نفس حساسة، وعليك إذن أن تراعى حساسيتها فى خدمتك لها .

٦ - اعرف أن عملك هو الإقناع وليس الإرغام .

أنت مجرد شاهد للحق ، كما أمرنا الرب قائلاً " تكونون لى شهوداً " (أع١: ٨) . أما أن ترغم أهلك وأخوتك على السلوك السليم ، فليس هذا هو عملك . بل إن الله نفسه قال للشعب " أنظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير ، والموت والشر .. قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة ، فاختر الحياة لكى تحيا " (تث٣٠: ١٥، ١٩) ، فإن أقنعتهم بالخير ، وفعلوه باختيارهم ، ينالون أجرهم على ذلك . أما إن فعلوا الخير إضطراراً بضغط منك، وبدون إقتناع ، فأى أجر ينالونه ؟!

لا تظن خدمتك أن تنصح، وترغم، وتوبخ ، وتهدد ، وتعاقب.

ليس هذا هو أسلوب خدمة تتخذه مع أخوتك الصغار أو أخواتك، أو مع الكبار بأسلوب اقل . وإلا فسوف تقول الأسرة عنك " ليته ما دخل فى محيط الخدمة . لقد كان قبل ذلك أكثر لطفاً وحباً وإحتراماً لغيره ...

فى خدمتك لا تفقد أحداً حريته ، إنما ساعده أن تتجه حريته

نحو الخير . ساعد أفراد أسرتك أن يحبوا الله . وإن أحبوه سوف يحبون الخير ، وسوف يفعلون الخير تلقائياً ، دون إرغام ، ودون توبيخ . وستكون إرادتهم قد تطهرت ...

٧ – وفى خدمتك احترس من الحرفية فى التعليم .

لا تكن فريسياً في تعليمك ، سواء في داخل البيت أو خارجه .

ونذكر بهذه المناسبة موقفك من وسائل الترفيه فى داخل الأسرة أو فى خارجها . لا موقفاً حرفياً يكون سبب نكد وعكننة على الأسرة كلها، ولا موقفاً متسيباً لا قدوة فيه ولا ضوابط . إنما تصرف فحكمة ، بخط واضح سليم بين الخير والشر، بحيث تكون مقنعاً ، لا متطرفاً في رأيك ، ولا مستبداً بفكرك بدون إقناع .

من حقهم أن يكون لهم ترفيه . ومن واجبهم أن هذا الترفيه يكون نقياً بلا خطأ .

لا تعاملهم كرهبان أو نساك زاهدين . وأيضاً نبههم إلى مواضع الخطأ، بحكمة وباستمرار اعطِ صورة مشرقة عن تدينك .

لا تقدم لهم الدين كدواء مرّ يجب عليهم أن يشربوه لكي يشفوا ويصحوا ، إنما قدمه كمتعة روحية لهم . ولا مانع من أن يتدرجوا فى ذلك . كما فعل الآباء الرسل مع الداخلين فى الإيمان من الأمم (أع١٥: ٢٨ ، ٢٩) . وكما قال القديس بولس الرسول لأهل

كورنثوس " سقيتكم لبنا لا طعاما ، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون " (اكو٣: ٢) .

٨ - قدم لهم فى خدمتك ، أنموذجاً بنجاحك فى حياتك .

سواء فى حياتك الدراسية بتفوقك الذى تفرح به أسرتك، أو فى حياتك الإجتماعية بكونك موضع محبة وثقة الآخرين ، أو فى حياتك الروحية بكونك بلا لوم، لا يمسك عليك أحد خطأ، أو فى حياتك العملية بصفة عامة .

إن رأوك هكذا مثالاً طيباً ، يحترمون حياتك، وبالتالى يحترمون أيضاً أسلوبك ومبادئك ، فيتخذونك قدوة لهم . وهكذا تكون قد جذبتهم عملياً إلى طريق الرب الذى أحبوه فى حياتك .

تحبك أسرتك ، وتفتخر بك ، وتقبل كلامك إن تحدثت عن الله. وإن دعوتهم إلى الكنيسة ، يذهبون معك . بل قد تجد اباك يقول لأخيك الصغير " تعلم من أخيك فلان ، وانظر كيف هو ناجح ومحبوب ولا يخطئ فى شئ .

حينما تكون ناجحاً ومتفوقاً ، وتأخذ حق الله من نفسك ، قبل أن تأخذه من غيرك، حينئذ تكون موفقاً أيضاً فى خدمتك لأسرتك.

لأنك ستكون إنساناً متوشحاً بالفضيلة ، ولست مجرد متحدث عن الفضيلة. وسوف تكون درساً لغيرك، حتى لو كنت صامتاً لم

تتحدث ...

٩ - يمكنك بعد كل هذا أن تلقى كلمة الله .

ابدأ بأخوتك الصغار . إنهم يحبون الحكايات وسيحبونك جداً إن سمعوا منك حكايات ، من الكتاب ، من سير القديسين ، من قصص الحيوانات ، من أخبار التاريخ ... وأيضاً هم يحبون الأناشيد . علمهم تراتيل وألحاناً . حفظهم أيضاً آيات من الكتاب ، وقدم لهم مسابقات وألغازاً ... وسوف يكونون فصلاً خاصاً لك . حتى لو بدأت بطفل واحد، ثم جرّ وراءه أطفالاً من فروع الأسرة ، أو من أصدقائها وجيرانها .

وسيأتي وقت تحب والدتك أن تسمع حكايتك ، منهم أو منك . وكذلك والدك ... ويمكن أن تكون الحكايات أثناء الجلوس على المائدة ، أو فى حجرة المعيشة ، مقدمة للأطفال ، وسيسمعها الكبار معهم ، بطريق غير مباشرة .

١٠ - العبادة فى محيط العائلة :

يمكن للأسرة المتدينة ، أن يكون لها عبادة مشتركة ، بصفة عامة ، أو جزئية ... إنه موضوع يحتاج إلى مقال خاص .

نصائح لخدمة أسرتك

١ – لا تكن عثرة للأسرة بل اجعلهم يحبون التدين فى شخصك، ويحترمون اسلوبك فى الحياة .

٢ – كن لطيفاً فى ما تقدمه من نصائح . وابعد عن روح الكبرياء والتسلط. بل احترم الكل .

٣ – لا تحاول أن تفرض عليهم جواً من الخشوع الإجبارى، أو جواً من التزمت والتضييق .

٤ – كن حكيماً فى أصوامك ، ولا تسبب قلقاً للأسرة . ولا تجعلها تشكو خوفاً عليك ، فينكشف صومك خارج الأسرة .

٥ – كذلك كن حكيماً فى عبادتك وخدمتك ، ولا تدعها تؤثر على حياتك الدراسية ، ولا على مسئولياتك العائلية .

فى الجزء الأول

من مجموعة (الخدمة الروحية والخادم الروحى) .

حدثناك عن الموضوعات الآتية :

الخدمة الروحية :

١ - الخدمة الروحية وصفاتها .

٢ - مركز الله فى الخدمة .

٣ - التواضع فى الخدمة .

٤ - مقاييس الخدمة ونجاحها .

الخادم الروحى :

٥ - الخادم الروحى وصفاته .

٦ - الخادم الروحى قدوة وبركة

وحياته كلها خدمة .

٧ - الخادم الروحى الذى يعمل الله به .

٨ - الخادم الروحى دائماً يعمل .

العمل الجوانى .

فهــــرســت

صفحة

مقدمة الكتاب	٥
الفصل الأول :	
الخدمة أهميتها – مجالاتها – فاعليتها	٧
الفصل الثانى :	
قوة الخدمة	٢١
الفصل الثالث :	
النمو فى الخدمة	٣٣
الفصل الرابع :	
التعب فى الخدمة	٥٣
الفصل الخامس :	
مسحنى لأبشر المساكين	٦٣
الفصل السادس :	
خدمة الذين ليس لهم أحد يذكرهم	٧٣
الفصل السابع :	
يهيئ للرب شعباً مستعداً	٨٩

الفصل الثامن :

تكونون لي شهوداً

الفصل التاسع :

الخادم داخل الأسرة

البابا شنوده الثالث

الخدمة الروحية و الخادم الروحي

"الجزء الثالث"

The Spiritual Ministry & The Spiritual Minister

Vol. III

By H. H. Pope Shenouda III

1St. Print
Sep. 1994
Cairo

الطبعة الأولى
سبتمبر ١٩٩٤
القاهرة

الكتاب : الخادم الروحي والخدمة الروحية ج ٣ .

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .

الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .

الطبعة : الأولى سبتمبر ١٩٩٤م .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست العباسية – القاهرة .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٤/٩٢٤٧ .

I.S.B.N. 977 - 5345 - 19 - 7

مقدمة الكتاب

نتابع معك أيها القارئ العزيز نشر مقالاتنا عن الخدمة الروحية والخادم الروحي .

وقد حدثناك في الجزء الأول من هذه المجموعة عن :

- الخدمة الروحية : ما هي ؟
- مركز الله في الخدمة .
- التواضع في الخدمة .
- مقاييس الخدمة ونجاحها .
- الخادم الروحي .
- العمل الجواني .

وحدثناك في الجزء الثاني من هذه المجموعة عن :

- الخدمة : أهميتها – مجالاتها .
- قوة الخدمة .
- النمو في الخدمة .

✠ التعب فى الخدمة .

✠ مسحنى لأبشر المساكين .

✠ الذين ليس لهم أحد يذكرهم .

✠ يهيئ للرب شعباً مستعداً .

✠ تكونون لى شهوداً .

✠ الخادم داخل الأسرة .

وفى هذا الجزء نحدثك عن عشرة موضوعات أخرى ، يمكن أن تقرأها فى فهرست هذا الكتاب .

وكتابنا الرابع فى هذه المجموعة ، سيكون بمشيئة الرب عن (كيف تخدم؟) .

(أنظر إعلاناً ص ١٣٢) .

وختاماً نرجو لك نجاحاً فى خدمتك .

وتوفيقاً من الرب فى كل ما تعمله .

البابا شنوده الثالث

لكل كائن رسالة
الآخرون في حياتك
التشجيع

لكل كائن رسالة وعمل

الذى يحيا بلا رسالة ، لا قيمة لحياته .

قيمة حياة الإنسان ، تنبع من قيمة الرسالة التى يقوم بها . إن كان بلا رسالة ، يموت فتنتهى حياته . ولكن تبقى حياة أصحاب الرسالات ، حتى بعد موتهم .

الذى بلا رسالة ، لا يشعر بقيمة للوقت ، فيبحث عن طريقة يقضى بها وقته ، أو يقتل بها وقته ! وما أكثر ما يحاربه السأم والملل والضجر ، وربما القلق واليأس . لأن الحياة بلا رسالة لا طعم لها . يحاول أن يجد لها طعماً باللذة واللهو ، وهذا أيضاً لا يكفى ، وربما لا يجده !

الإنسان الذى بلا رسالة ، يتمركز حول ذاته ، ولكن تبدأ رسالته حينما يهتم بالآخرين ، ويعمل خيراً لغيره ...

الكل له رسالة ، حتى الملائكة ، والطبيعة الجامدة .

الملائكة لهم رسالة حب ، نحو الله والناس : نحو الله فى

التسبيح، ونحو الناس فى الخدمة " أليسوا جميعاً أرواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١: ١٤) .

والشياطين أيضاً لهم رسالة يعملون لها ، ويتعبون لأجلها . ولكنها رسالة هدامة ضد مشيئة الله ، وضد الحب والنقاوة .

وقد جعل الله رسالة ، حتى لأولاد صغار ، استخدمهم الرب لتنفيذ مشيئته ، مثل صموئيل ، وداود، وأرمياء ...

والطبيعة لها رسالة ، الشمس والقمر والنجوم تؤدى رسالة جوهرية لإنارة الكون ، والهواء له رسالة ، وكذلك الرياح والأمطار. والأرض ذاتها ، التي نفلحها ، أو نبني عليها .. وباطن الأرض له رسالة .

لو لم تكن هناك رسالة لكل هذه ، ما خلقها الله .

فالله لا يخلق شيئاً عبثاً ، بدون رسالة وفائدة ...

حياتك لها رسالة ، وستؤدى حساباً على هذه الحياة . وكذلك كل مواهبك وزنات ، لها رسالة ولها حساب ...

كلما كانت مواهب أكثر ، كلما اتسع نطاق رسالتك :

سواء كانت هذه المواهب ذكاء وعقلاً ، أو فكراً ، أو خيالاً ، أو فناً ، رسماً أو شعراً ، أو أية قدرات أخرى ، تستطيع أن تضمها جميعاً في يد الله ، وتؤدى بها رسالة لخير العالم والمجتمع الذى

تعيش فيه ...

والإنسان قد تكون له رسالة محددة . أو متسعة ...

الرسالة المحددة قد يحددها نطاق مهنة ، أو نطاق مجتمع ضيق، أو مكان محدود ، أو زمن محدود .

كأن يقول إنسان : رسالتي هي الطب، أعالج أمراض الناس في قرية معينة ، طوال حياتي على الأرض ، أو في فترات عملي..

إنها رسالة محددة ، ومثلها أية مهنة أخرى ، تؤدي خيراً ، ولكنه خير في نطاق محدد ، وينتهي ..

ومثله أيضاً أية خدمة إجتماعية ، على نطاق الأسرة ، أو في محيط العمل ، أو في مجتمع محدود ...

وهناك أشخاص يسيئون فهم رسالتهم في الحياة :

كالأم التي تظن أن كل مهمتها ، هي الإهتمام بطعام إبنها، وملبسه، وصحته، وتعليمه، ورفاهيته .. ولا شئ غير ذلك . كأن روحيات الإبن لا وزن لها في رسالة هذه الأم ! وكأن مصيره الأبدي لا يستحق أن يكون رسالة في حد ذاته !..

ونفس الكلام نقوله عن الأب الذي يشعر أن رسالته نحو أبنائه قد إنتهت على خير وجه ، حينما يتوظف أولاده ، وتتزوج بناته !! أما المصير الأبدي فليس رسالته !

والبعض للأسف الشديد ، قد تكون له رسالة محطمة .

كبعض الذين يرون رسالتهم فى منح اللذة للناس ، وقد تكون لذة خاطئة ، أو مجرد الترفيه عنهم ، وقد يكون مضيعة لوقتهم إن زاد عن حده ، أو متلفاً إن فسدت وسيلته . وقد يرى أحد أن رسالته هى نوع من الفن ربما يكون فناً رخيصاً ضالاً .

ولكن هناك رسالات أخرى من اللـه ، رسالات مقدسة .. اللـه يختار لها من أبنائه من يراهم صالحين لذلك ...

لقد قال الرسول " الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم " (رو٨: ٢٩) . ولعلك تقول : ما ذنبى أنا، إذا كان الله لم يخترنى لرسالة هامة ؟ أقول لك : لو كانت لك صلاحية لها لاختارك الله بلا شك..

حقاً إن الفخرانى حرّ فى أن يجعل آنية للكرامة، وأخرى للهوان (رو٩)، ولكنه حسب نوعية الطينة التى تقع فى يده، يشكلها . إن وجدها طينة ناعمة جيدة تصلح آنية للكرامة، يجعلها كذلك . وإن وجدها طينة رديئة لا تصلح للكرامة . تصير آنية للهوان ...

والله له أسلوبه فى إعداد أصحاب الرسالات :

لقد أعد رسله بالتلمذة على يديه مدى سنوات طويلة، ثم أعدهم بالتدريب العملى حينما أرسلهم إثنين إثنين ، وصحح لهم أخطاءهم (مت١٠؛ لو١٠) . وأعدهم أيضاً بقوة الروح القدس، وقال لهم

"لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لي شهوداً " (أع١: ٨) .

ويوسف الصديق، الإبن المدلل لأبيه ، صاحب القميص الملون وصاحب الأحلام، أعده الرب بالضيق وبالتجارب .

ما كان ممكناً ليوسف المدلل أن يصلح لرسالته الكبيرة ، لذلك سمح الله له أن يلقى في البئر ، وأن يخونه أخوته ويتآمروا عليه، ويباع كعبد . وسمح أن يتهم ظلماً من إمرأة فوطيفار ، وأن يلقى فى السجن. كل ذلك لإعداده للرسالة ...

وموسى الذى تربى فى قصر فرعون ، فى جو السلطة .

أعده للرب لإحتمال شعب صلب الرقبة ، ينقله من الإمارة إلى الرعى ، من حياة القصر إلى البرية ، فى الإشفاق على الغنم ، حتى يشفق على الشعب العاصى ..

وهكذا كان الله بأنواع وطرق شتى يعد أولاده للرسالات :

وكثيراً ما كان يستخدم أسلوب التشجيع كما فعل مع موسى ، والوعود كما فعل مع يشوع وأرمياء ..

فى كل ما يحيط بك من ضيقات وأحداث ، اعلم أن الله يعدك للقيام برسالتك ، إن عرفت كيف تستخدم الضيقات لخيرك ، لا للتذمر والشكوى .

لقد أعد إبراهيم فى حياة الغربة ، وأعد يونان بالعواصف والأمواج وبطن الحوت ، وأعد بطرس باختبار الضعف البشرى حتى لا يظن أنه أفضل من باقى التلاميذ ...

بل إن إعداد أصحاب الرسالات الكبيرة ، يسبق أحياناً ولادتهم:

أرميا النبى ، قال له الرب " قبلما صورتك فى البطن عرفتك ، وقبلما خرجتِ من الرحم قدستك. جعلتك نبياً للشعوب" (أر ١: ٥) . ويوحنا المعمدان : من بطن أمه إمتلأ من الروح القدس (لو ١: ١٥) وبولس الرسول يقول عن نفسه " لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى، ودعانى بنعمته .. " (غل ١: ١٥) .

والرسالات عند الله تتنوع ، ويختار لها أشخاصاً أكفاء ...

إن توبيخ آخاب الملك الفاسد ، والتخلص من كل أنبياء البعل ، رسالة تحتاج إلى نبى شديد مثل إيليا ، يقول بضمير مستريح "لتنزل نار من السماء وتحرق الخمسين " (٢مل ١: ١٠، ١٢) .

وقيادة شعب معاند مقاوم رسالة صعبة ، تحتاج إلى الرجل موسى الذى " كان حليماً جداً ، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عدد ١٢: ٣) .

وقد يختار الله من لا مواهب لهم ، ثم يهبهم بنعمته كل ما تحتاج إليه الخدمة من مقدرات ...

قد يختار جهال العالم ، ويخزى بهم الحكماء . ويختار ضعفاء العالم ، ويخزى بهم الأقوياء (١كو١: ٢٧، ٢٨) . ويختار أوانى خزفية ضعيفة لتحمل رسالته ، حتى يكون فضل القوة لله وليس لنا كما قال الرسول (٢كو٤: ٧) .

إن الرسالات فى الدنيا عديدة ، ولكن أعظمها هو العمل على خلاص الناس ، وحفظ أبديتهم من الهلاك .

والذين يعملون فى هذا الميدان ، " يضيئون كالجلد، وكالكواكب إلى أبد الدهور (دا١٢: ٣) . وقد قال يعقوب الرسول " من رد خاطئاً عن طريق ضلاله ، ينقذ نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا" (يع٥: ٢٠) .

ما أعظم إنقاذ نفس من الموت : فكم بالأولى إن كانت الرسالة هى إنقاذ نفوس عديدة ...

والذين يعملون فى هذا المجال ، إنما يعملون مع الله . كما قال بولس الرسول عن نفسه وعن سيلا " فإننا نحن عاملان مع الله " (١كو٣: ٩) . وقال فى موضع آخر " كأن الله يعظ بنا " (٢كو٥: ٢٠) .. حقاً إنها شركة مع الروح القدس فى العمل . وهذه الشركة تعطى هذه الرسالة أهمية وخطورة ...

النفوس التى تعمل فى هذا المجال ، هى بلاشك نفوس كبيرة :

إن يوحنا المعمدان ، أعد الطريق أمام المسيح ، فى اقل من سنة واحدة . لقد بدأ عمله وهو فى سن الثلاثين ، وبعد ستة أشهر بدأ المسيح عمله . وكانت معمودية التوبة قد إكتسحت الكل . وفى شهور أعد يوحنا الطريق .

والرسل الإثنا عشر فى سنوات قليلة ، أوصلو الكرازة بالإنجيل إلى أقصى الأرض ، وإلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم (مز ١٩: ٤) . وكانت كلمة الرب تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جداً، وجماهير تنضم إلى الإيمان (أع٦: ٧)، وقد " أتى ملكوت الله بقوة .. " (مر ٩: ١) .

إن أصحاب الرسالات الكبيرة ، أشخاص جادون فى عملهم ..

حياتهم دسمة ، كشجرة ضخمة محملة بالثمار ...

تذكرنى بقول القديس الأنبا انطونيوس عن القديس الأنبا مقاريوس " إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين " ...

إن حياة أصحاب الرسالات ، لم تقتصر على جيلهم .

لقد عبروا الزمان ، فلم يستفد جيلهم فقط من رسالتهم ، بل كل الأجيال ، وكان لرسالتهم إمتداد حتى بعد موتهم أيضاً ، واستمر عملهم ...

قديسون كثيرون ، حتى بعد موتهم كلفهم الله برسالة .

الآخرون في حياتك

صدق ذلك الأديب الذى قال :

ما استحق أن يعيش ، من عاش لنفسه فقط .

لذلك فالشخص الروحى ، فى حياته في المجتمع ، يجد لذته فى أن يحيا لأجل غيره ، متبعاً قول الرب ، " تحب قريبك كنفسك" (مت٢٢: ٣٩) . وهكذا يحب كل احد من اعماق قلبه ...

وتكون محبته للآخرين محبة عملية حسبما قال الرسول " لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق (١يو٣: ١٨) .

هذه المحبة تتميز بالعطاء ، وتتميز بالبذل ، سواء من الناحية الجسدية ، أو الناحية الروحية ...

لذلك فإن الشخص الروحى ، هو بطبيعته إنسان خادم .

يخدم غيره فى كل مجال ، لا لأنه مطالب بهذا ، وإنما لأن الخدمة جزء من طبيعته ، وجزء من كيانه ، يشعر فيها بالحب، ويتغذى بها أكثر مما يغذى غيره .

وإذا كانت الخدمة هى من عمل الملائكة (عب١: ١٤) . فكم بالأولى البشر ...

والملائكة حينما يخدمون البشر، إنما يخدمونهم فى حب وبذل ، وليس عن مجرد واجب أو تكليف . أنظروا إلى السارافيم المخصصين للتسبيح ، لما سمعوا من أشعياء أنه نجس الشفتين ، طار واحد منهم بسرعة ، وأخذ جمرة من على المذبح، وطهر بها شفتى أشعياء (أش٦: ٦) .

هوذا السيد المسيح ظهرت محبته للبشر فى الخدمة والفداء:

وهكذا ورد عنه فى الكتاب " إن إبن الإنسان لم يأت ليخدم ، بل ليخدم ، ويبذل نفسه فدية عن كثيرين " (مر١٠: ٤٥) . وكما قال الرب أيضاً " ليس حب أعظم من هذا ، أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه " (يو١٥: ١٣) .

ما أجمل أن يكون الإنسان سبب سعادة لكل من حوله :

من هنا كانت المحبة التى تتصف بها الأمومة ، والتى تتصف بها الأبوة ، كما قال الرب لأورشليم ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها " (مت٢٣: ٣٣). "إن نسيت الأم رضيعها، لا أنساكم" (أش٤٩: ١٥) . هذا الحب الذى يسعد الغير ، بالعطاء والبذل ، هو سمة من سمات الروحيين،

ولذلك حسناً قال الرب :

"مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" (أع٢٠: ٣٥) . ففى العطاء محبة للآخرين، أما الأخذ فكثيراً ما يحوى إهتماماً بالذات ...

إن المحبة التى تعطى ، تظهر فيها أعماق قول الرب " كنت جوعاناً فأطعمتمونى.. " (مت٢٥: ٣٥) . وأعماق قول الرسول "الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه : إفتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس" (يع١: ٢٧) . والعطاء الذى ينبع من الحب ، غير العطاء الذى هو مجرد تنفيذ للوصية، أو هو لكسب المديح أو لأداء الواجب ...

هناك وظائف هى موضع محبة للناس ، لأنها تعتنى بهم :

مثال ذلك الطب والتمريض والخدمة الإجتماعية. وهناك أيضاً الأطباء الروحيون ، آباء الإعتراف الذين يحملون أثقال الناس ، ويخففون من متاعبهم . وقد يوجد شخص لا يقدم لغيره معونة مادية، ولكنه يقدم أذناً صاغية تستمع فتريحهم ، أو يقدم إبتسامة طيبة أو كلمة تطيب الخاطر ، فيحبونه .

بعكس ذلك، الذين يتمركزون حول أنفسهم، ذواتهم هى كل شئ.

ما أصعب من يقول " أنا أو الطوفان " أو الشاعر الذى قال :

إذا مت عطشاناً فلا نزل المطر

لم يكن موقفاً روحانياً ، ذلك الذى وقفه يونان حينما إغتاظ لخلاص أهل نينوى، وغضب لأن كلمته من جهة عقوبتهم، لم تنفذ، فاعتبر ذلك ضد كرامته !! لذلك عاتبه الله قائلاً له : "هل اغتظت بالصواب" (يون٤: ٤) .

أما موسى النبى ، فقد ضرب مثلاً عالياً فى محبة الآخرين .

وذلك حينما تضرع إلى الرب من أجل الشعب المخطئ قائلاً "والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت" (خر٣٢: ٣٢) . ويشبه ذلك قول بولس الرسول " فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح ، لأجل إخوتى إنسبائى حسب الجسد .." (رو٩: ٣) .

فكلا الإثنين فضل أن يحرم هو نفسه من الرب – أى يفقد أبديته – من أجل إنقاذ الآخرين .. وهذا أمر عجيب ، مثالى فى الحب ، وإن كان من جهة التنفيذ غير ممكن ...

فلا أقل من جهة الحب – أن تصلى من أجل الآخرين .

ولهذا هناك أناس يجعلون الآخرين عنصراً بارزاً فى صلواتهم. والكنيسة فى صلواتها الطقسية لا تترك أحداً لا تصلى من أجله ، بل تصلى حتى من أجل الحيوان والطبيعة .

والسيد الرب أعطانا تعليماً جميلاً فى الصلاة من أجل الآخرين،

حينما وضع لنا الصلاة الربية ، وفيها تكلم الله بأسلوب الجمع - لا باسلوب الفرد - مدمجين حاجيات الآخرين معنا. وكذلك نصلى قانون الإيمان :

وتعلمنا المسيحية أننا جميعاً أعضاء فى جسد واحد ..

إن تألم عضو ، تتألم معه بقية الأعضاء (١كو١٢: ٢٦) . ويقول لنا الرسول " فرحاً مع الفرحين ، وبكاء مع الباكين " (رو١٢: ١٥) .

فماذا فعلنا نحن من أجل الآخرين ، أياً كانوا ؟

إننا نحب الذين يحبوننا ، ولكن السيد المسيح يقول لنا " إن سلمتم على الذين يسلمون عليكم ، فأى أجر لكم؟! الخطاة أيضاً يفعلون هكذا" (مت٥: ٤٦، ٤٧) . إذن علينا واجب حيال الخطاة والمسيئين أيضاً ... حيال من يسخرنا ميلاً . أو من يخاصمنا ويريد أن يأخذ الثوب ، أو من يلعن أو من يسئ ...

الإنسان الروحى لا يبنى راحته على تعب الآخرين . بل يتعب دائماً لكى يريح غيره ، هو شمعة تذوب لكى يستضئ الناس بها، الذين يضعهم فى قمة إهتمامه ..

الرجل الروحى يعمل كل جهده لكى يبنى الآخرين .. لا يبحث من فيهم مستحق ، ومن هو غير مستحق إنما يفكر من فيهم محتاج،

وكيف يبذل كل جهده حتى لا يدع أحداً محتاجاً إلى شئ حين يكون بإمكانه أن يعطيه إياه ...

وتربطه بجميع الناس رابطة قوية من حسن المعاملة . في جو من المجاملة ومن التفاهم ، ومن الروح الواحد ، مراعياً قول الرسول ، الذى نردده في صلاة باكر " أسألكم أنا الأسير في الرب، أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التي دعيتم إليها ، بكل تواضع القلب ، والوداعة ، وطول الأناة ، محتملين بعضكم بعضاً في المحبة ، مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل ، لكي تكونوا .. روحاً واحداً " (أف٤) .

إن الإبن الأكبر ، لم يضع أخاه الراجع في اعتباره، لم يفرح لفرحه ، ولم يشترك في الوليمة التي صنعت لأجله ، بل ركز إهتمامه في نفسه وما ينبغي أن يعطي له من أبيه .

أما نحن فلننكر نواتنا ، لكي نحب الآخرين ... ونسعدهم .

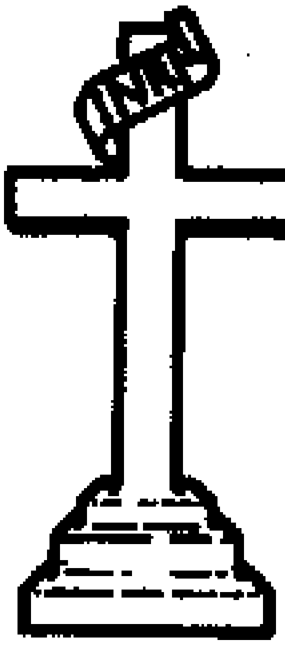

التشجيع

كثيراً ما كلمتكم عن المنتصرين الغالبين . في روحياتهم، وفى علاقاتهم مع الله والناس. واليوم أحب أن أكلمكم عن الضعفاء والساقطين. وما ينبغي أن يقدم إليهم من تشجيع ...

إن التشجيع فضيلة كبرى. وعنها يقول الكتاب: " شجعوا صغار النفوس. اسندوا الضعفاء. تأنوا على الجميع " (اتس٥: ١٤) .

هذه اول مجموعة تحتاج إلى تشجيع : الضعفاء وصغار النفوس:

الضعفاء وصغار النفوس :

صغار النفوس هم الذين أنهارت معنوياتهم من الداخل، وصغرت نفوسهم فى أعينهم ، فأحسوا بالعجز. وقاربوا اليأس .

هؤلاء يحتاجون إلى تشجيع . يحتاجون إلى من يمسك بأيديهم ويقيمهم، لئلا يفشلوا ويضيعوا ...

كذلك الضعيف يحتاج إلى من يسنده . ويقويه .

لأن الذى يحتقر ضعيفاً ويتجنبه ، أو يزدرى به ويتهكم عليه، كإنسان فاشل أو ضائع . إنما يفقده، ويتركه إلى ضعفه بلا معين، فينتهي ، ويستمر في سقوطه أو خطاياه .. بينما الكتاب يقول :

" من رد خاطئاً عن طريق ضلاله ، يخلص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا" (يع٥: ٢٠) .

أخوك الضعيف الذى يسقط كل يوم، حاول أن تنقذه من ضعفه وتقيمه .. حتى إن جاهدت معه، ورأيت جهادك بلا نتيجة، ولايزال هو مستمراً فى ضعفه وسقوطه، فلا تمل من العمل لأجله، ولا تطرحه من قدام وجهك، بل شجعه ليقوم ...

ضع فى ذهنك أن قيامه قد يحتاج منه إلى وقت، ويحتاج منك إلى طول أناة ...

إن الخطايا التى رسبت فى النفس مدة طويلة ، حتى تحولت إلى عادة أو إلى طبع، لا تنتظر أن هذا الضعيف سيتخلص منها بسرعة، مهما كان كلامك له مقنعاً!! لذلك فإن الرسول لا يقول فقط " إسندوا الضعفاء " ، إنما أيضاً " تأنوا على الجميع " .

الذى خضع مثلاً لعادة التدخين . ربما يقتنع تماماً بضررها، ولكنه مع ذلك قد يعجز عن التخلص منها !! إنه يحتاج أن تسنده

بصلواتك، وبنصائحك وتشجيعك ، وأن تصبر عليه ، ولا تيأس من خلاصه وتهمله !!

الخطية التى مدت جذورها فى أعماق النفس، وسيطرت على الشعور والإرادة، قد يضعف الإنسان فى مقاومتها، وبخاصة لو أشتدت عليه حروب الشياطين من الخارج ، مع ميل للخطيئة فى الداخل، فتضعف المقاومة .. هذا يحتاج منك إلى تشجيع ...

إن كثرة التوبيخ الذى تلقيه على إنسان ضعيف قد يحطمه ..

مثل هذا يحتاج إلى نعمة ، لا إلى لوم، ربما ينطبق عليه قول الكتاب " الشر الذى لست أريده إياه أفعل .. فلست بعد أفعله أنا، بل الخطية الساكنة فىّ " (رو٧: ١٩، ٢٠) . هذا الإنسان مقيد بأغلال من العادة والطبع والرغبة والرسول يقول :

" اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم . والمذلين كأنكم أيضاً فى الجسد " (عب١٣: ٣) .

حاول أن تشجع هذا المقيد ، وساعده على التخلص من قيوده، موقناً أننا كلنا تحت الضعف ... وإن ساعدته ، ووجدته متراخياً فى خلاص نفسه ، أو ذا إرادة ضعيفة يقوم ثم يسقط ، ثم يعاود القيام والسقوط، فلا تحتقر ضعفه، بل تذكر قول الكتاب :

" قوموا الأيادى المسترخية ، والركب المخلعة " (عب١٢: ١٢)

الأيادى المسترخية هي العاجزة عن العمل، والركب المخلعة العاجزة عن القيام وعن الحركة، وكلاهما يعبران بصورة متكاملة عن عجز الإنسان كله ، وعدم قدرته على عمل أى شئ ...

ولعل بولس الرسول قد إقتبس هذه العبارة من قول الوحى الإلهى على فم إشعياء النبى " شددوا الأيادى المرتخية ، والركب المرتعشة ثبتوها " (أش ٣٥: ٣) . وقد اختبر أيوب الصديق هذا العمل الصالح . فقال له أليفاز التيمانى " ها أنت قد أرشدت كثيرين، وشددت أيادى مرتخية . بل إن أعظم مثال هو ما قيل عن ربنا يسوع المسيح :

" قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت١٢: ٢٠) .

لاقت هذه الصفة سروراً لدى الله الآب . فقال فيها عنه "مختارى الذى سرت به نفسى .. قصبة مرضوضة لا يقصف. وفتيلة مدخنة لا يطفئ " (أش ٤٢: ١، ٣) . أى أنه لا يقطع رجاء أحد. حتى لو كان قصبة مرضوضة. يربطها ربما تستقيم .

حتى لو كان فتيلة مدخنة . ربما تهب عليها ريح فتشتعل..

إذن شجع الكل . ولا تثبط همة أحد، فالكتاب يقول : "لا تشمتى بى يا عدوتى، فإنى إن سقطت أقوم" (مى٧: ٨) .

فما أسهل أن يقوم الإنسان من سقطته . بالإرشاد والتشجيع والصبر . وعمل النعمة فيه، ويتابع ميخا النبى كلامه فيقول " إذا جلست في الظلمة . فالرب نور لى " حقاً إن الكلام الذى يفيض أملاً ورجاءً ، يقوى القلب ، ويشجعه على القيام مهما سقط، ومهما استمر سقوطه، فقال الحكيم فى سفر الأمثال :

" الصديق يسقط سبع مرات ويقوم " (أم٢٤: ١٦) ...

فإن وقع الساقط فى اليأس ، ذكره بهذه الآية . واحذر من أن تدينه فى سقوطه . " هو لمولاه يثبت أو يسقط. ولكنه سيثبت ، لأن الله قادر أن يثبته " (رو١٤: ٤) . قُل له : حتى إن كنت لا تريد خلاصك، فالله يريد لك الخلاص . وهو قادر أن يخلصك ...

الله الذى " يعطى المعيى قدرة . ولعديم القوة يكثر شدة " (أش٤٠: ٢٩) . الذى " جاء يطلب ويخلص ما قد هلك " (لو١٩: ١٠) ... معزية جداً هذه العبارة الأخيرة .. إنه لم يقل يخلص من قد ضعف، أو من قد سقط، بل يخلص ما قد هلك! إنه لأمثال هؤلاء الناس قد جاء. ويقول عن رسالته فى سفر أشعياء :

"... مسحنى لأبشر المساكين، أرسلنى لأعصب منكسرى القلب، لأنادى للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق " (أش٦١: ١) .

نعم لقد جاء المسيح من اجل المساكين ، المنكسرى القلوب ،

المسبيين والمأسورين، جاء يحمل إليهم بشرى طيبة، كلمة تشجيع.. جاء ينادى لهم بالعتق والإطلاق ، بفك أسرهم وسبيهم. بل يقول أيضاً " لأعزى كل النائحين" " لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد، ودهن فرح عوضاً عن النوح، ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة " (أش ٦١: ٣) .

نعم ، هذا هو عمله كراع حنون شفوق على رعيته. مهما ضلت وجرحت وكسرت . إنه يقول :

" أنا أرعى غنمى وأربضها - يقول السيد الرب - واطلب الضال، واسترد المطرود، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح " (حز٣٤: ١٥، ١٦) .

احفظ هذه الآية ، وشجع بها الضالين والمطرودين. والمنكسرى القلوب الذين جرحهم العدو، إنه يجول يبحث عن كل هؤلاء ، ليردهم إليه ويريحهم. لذلك إن قابلت أحداً منهم، قل له :

لا تخف. أنت لست وحدك. إن الله لن يتركك، سيرسل لك نعمة خاصة. ويفتقدك .

إن الله يهتم بالضعفاء ، ويبحث عن الساقطين .

الساقطين :

لقد كان يجلس مع العشارين والخطاة ، وقال فى ذلك : "لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة " " لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى" (لو٥: ٣١، ٣٢) .

فإن كنت من هؤلاء المرضى، الخطاة، الضالين والمطرودين.. إن كنت كسيراً وجريحاً، ثق أنك من الذين جاء المسيح لأجلهم .

" إنه يفرح بخاطئ واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة " (لو١٥: ٧) .

ما أجمل ما فعله الرب مع الخاطئة فى أورشليم (حز١٦) . وجدها مطروحة بكراهة نفسها، مدوسة بدمها.. فلم يتركها، وإنما قال " بسطت ذيلى عليك، ودخلت معك فى عهد ، فصرت لى. فحممتك بالماء، وغسلت عنك دماءك، ومسحتك بالزيت.. وحليتك بالحلى.. وضعت تاج جمال على رأسك.. وجملت جداً جداً، فصلحت لمملكة " (حز١٦: ٦- ١٤) .

هذا هو أسلوب الله : يشجع الخطاة على طريق التوبة، ويقويهم ويعدهم بوعود جميلة فيقول :

" أرش عليكم ماء طاهراً . فتطهرون من كل نجاساتكم..

وأعطيكم قلباً جديداً . وأجعل روحاً جديدة في داخلكم .. وأنزع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيكم قلب لحم. وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي (حز٣٦: ٢٥ - ٢٧) .

تشجع إذن . إن خلاصك ليس هو عملك أنت وحدك ، إنما بالأكثر عمل الله فيك . لدرجة أن الرسول يقول "إن كنا غير أمناء. فهو يبقى أميناً . لن يقدر أن ينكر نفسه " (٢تي٢: ١٣) .

إن الرب الذى اختار المجدلية ، وكان عليها سبعة شياطين (مر١٦: ٩) ، وجعلها من خاصته ، وظهر لها بعد القيامة . وكلفها بأن تبشر الرسل (مت٢٨: ١٠)، هو قادر أن يخلصك مثلها .

هو الذى أختار متى العشار ، ليكون أحد الإثنى عشر واشفق على زكا، ودخل بيته وقال " اليوم حصل خلاص لهذا البيت " (لو١٩: ٩) . ولما طرح عليه موضوع قلع الشجرة غير المثمرة، قال : "أتركها هذه السنة أيضاً " (لو١٣: ٨) . أى أعطها فرصة أخرى " حتى أنقب حولها وأضع زبلاً فإن صنعت ثمراً ، وإلا ففيما بعد تقطعها" . إنه لا يشجع فقط، وإنما أيضاً يقف على الباب ويقرع (رؤ٣: ٢٠) .

إنه يشجع الضعفاء والخطاة ، وحتى اليائسين :

اليائسين :

من أبرز المواقف لليائسين ، تشجيع موسى النبى للشعب، الذى وجد نفسه محصوراً ما بين البحر الأحمر، ومركبات فرعون الستمائة التي تسعى وراءه .. وهوذا الموت ينتظره لا محالة . وهنا يقول موسى النبى: " قفوا وانظروا خلاص الرب، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون " (خر١٤: ١٣، ١٤) .

ونفس الوضع بالنسبة إلى داود النبى فى المزمور الثالث حيث يقول "يارب لماذا كثر الذين يحزنونني: كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص بإلهه" . ولكن حالاً يتكلم الروح فى قلبه مشجعاً فيقول "أنت يارب هو ناصرى ، مجدى ورافع رأسي. بصوتى إلى الرب صرخت، فاستجاب لى من جبل قدسه " (مز٣) .

كذلك ما أجمل مزمور " يستجيب لك الرب فى يوم شدتك" (مز١٩: ٢٠) .

كله تشجيع .. لقد نشرت لكم كتاباً عن التأملات فى هذا المزمور المملوء رجاء وتشجيعاً .. إقرأ أيضاً مزمور "لولا أن الرب كان معنا" (مز٢٣) الذى يقول فيه المرتل "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ أنكسر ونحن نجونا.. "

كل المزمور عبارات مشجعة . وما أكثر المزامير التى من هذا النوع ... حتى الذين يئسوا لطول المدة ، أعطاهم الرب تشجيعاً ورجاء فى مجيئه حتى فى الهزيع الرابع من الليل لإنقاذ التلاميذ (مت ١٤: ٢٥) .

الخائفين :

كثيرون كانوا يقفون خائفين . حتى فى مجال دعوتهم للخدمة فلم يرفضهم لخوفهم وضعفهم . وإنما كان يشجعهم ويعدهم ، ويثبت دعوته لهم . ومن أمثلة ذلك :

موسى النبى ، خاف لأنه ثقيل الفم واللسان .

لقد خاف من لقاء فرعون ، كيف يكلمه ؟ وكيف يجيب عن أسئلته واسئلة الشعب. وقال للرب "لست أنا صاحب كلام، منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك. بل أنا ثقيل الفم واللسان" (خر٤: ١٠) . "ها أنا أغلف الشفتين فكيف يسمع لى فرعون ؟!" (خر٦: ٣٠) .

ولكن الرب شجعه ، ومنحه أخاه هرون معيناً له، وقال له " تكلمه ، وتضع الكلمات فى فمه. وأنا أكون مع فمك ومع فمه .

وأعلمكما ماذا تصنعان.. وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فماً" (خر٤: ١٧) .

ارميا أيضاً خاف وقال "لا أعرف أن أتكلم لأني ولد" (أر١: ٦).

ولكن الرب شجعه وقال له " لا تقل إني ولد، لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب.. لا تخف من وجوههم لأني أنا معك، لأنقذك" "ها قد جعلت كلامي في فمك، أنظر قد وكلتك اليوم على الشعوب وعلى الممالك .." (أر١: ٧ - ١٠) .

بل أكثر من هذا، رفع معنوياته جداً وقال له "هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة، وعمود حديد وأسوار نحاس على الأرض كلها.. فيحاربونك. ولا يقدرون عليك ، لأني أنا معك - يقول الرب - لأنقذك " (أر١: ١٨، ١٩) .

يشوع أيضاً كان خائفاً بعد الفراغ العظيم الذي تركه موسى النبي بوفاته .

ولكن الرب شجعه ، وقال له " تشدد وتشجع" " لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك. لا أهملك ولا أتركك.. أما أمرتك؟ تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب ، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب " (يش١: ٥ - ٩) .

وهكذا شجع الرب يعقوب ، وهو خائف من ملاقاة عيسو ...

لذلك قواه ، ومنحه المواعيد وظهر له ، وأعطاه فرصة أن يجاهد معه ويغلب (تك٣٢: ٢٨) . وكان في أول هروب قد ظهر له . أيضاً رؤيا السلم والملائكة وقال له " ها أنا معك. واحفظك حيثما تذهب؛ وأردك إلى هذه الأرض " (تك٢٨: ١٥) .

أسلوب التشجيع عند إلهنا، هو أسلوب ثابت .

إنه لم يشجع فقط الضعفاء والمأسورين . والخطاة والخائفين واليائسين ، وإنما أيضاً :

أصحاب القليل :

كما نصلي في أوشية القرابين ونقول "أصحاب الكثير وأصحاب القليل، الخفيات والظاهرات" وقد تعلمنا هذا الدرس من الرب نفسه.

لقد طوب الأرملة التي دفعت الفلسين . وقال عنها إنها "ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا في الخزانة " وأن " الجميع من فضلتهم ألقوا، وأما هذه فمن أعوازها، ألقت كل ما عندها ، كل معيشتها " (مر ١٢: ٤٣، ٤٤) .

وشجع اللص اليمين الذي جاءه في آخر ساعة من حياته، لم يوبخ تأخيره في التوبة، ولا كل حياته القديمة الشريرة، وإنما قال

له في محبة : "اليوم تكون معى فى الفردوس " (لو٢٣: ٤٣) .

وقال الآباء إن العنقود وإن كانت فيه حبة واحدة. ففيه بركة . يكفى أن عصارة الكرمة (سلافها) لازالت تسرى فيه. وعن هذه قال أشعياء النبى "كما أن السلاف يوجد فى العنقود، فيقول قائل: لا تهلكه، لأن فيه بركة، هكذا افعل لأجل عبيدى، حتى لا أهلك الكل" (أش٦٥: ٨) .

كم من الصغار قبلهم الرب ، وقبل عطاياهم .

قبل التسبيح من أطفال بيت لحم ، وقال " إن سكت هؤلاء فالحجارة تنطق " (لو١٩: ٤) . وهكذ دافع عنهم، وقال " دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم . لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات" (مر١٩: ١٤). وتقبل من طفل خمس خبزات وسمكتين، وصنع بهذه العطية البسيطة معجزة عظيمة (يو٦: ٩- ١٤) .

ومن تشجيع الرب اشفاقه على أصحاب الأمور المستعصية :

الأمور المستعصية :

مثل معجزات الشفاء للأمراض عديمة العلاج . كمنحه البصر للمولود أعمى (يو٩). وشفاء مريض بيت حسدا الذى قضى ٣٨

سنة مطروحاً إلى جوار البركة (يو٥) . وصاحب اليد اليابسة (مت١٢: ١٠، ١٣) ونازفة الدم (مت٩: ٢٠، ٢٢) . وكافة البرص والعميان والمفلوجين .

ويقول القديس متى الرسول عنه في ذلك " فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة . والمجانين والمصروعين، والمفلوجين، فشفاهم " (مت٤: ٢٤) ... يضاف إلى كل هذا معجزات إقامة الموتى . وهكذا شجع المرضى إنه لا يأس ولا مستحيل .

وكذلك ما فعله الرب في حالات مستعصية مثل إلقاء دانيال في جب الأسود (دا٦). وإلقاء الثلاث فتية في أتون النار (دا ٣) . وخلاصه العجيب في مناسبات عديدة .. ما يفتح باب الأمل والرجاء أمام كل أحد .

وفى الكلام عن التشجيع ، نذكر أيضاً الوعود الإلهية :

الوعود الإلهية :

كلها رجاء وتشجيع . تقوى المعنويات وتبعث الأمل، كقوله : "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر " (مت٢٨: ٢٠) . وكقوله أيضاً " هوذا على كفى نقشتك " (أش٤٩: ١٦) .

" أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم محصاة " (مت١٠: ٣٠) . "شعرة واحدة من رؤوسكم لا تسقط" (لو٢١: ١٨) . وقوله " لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم " (مت١٠: ٢٠) .

وما أجمل مواعيد الرب فى سفر المزامير ، وهى كثيرة .

ليتنا من كل ما ذكرناه من أمثلة نتعود كيف نشجع الكل، مهما كانت حالتهم، ونمنحهم رجاء يشتدون به، وتقوى عزائمهم وإرادتهم. وبهذا ننقذ نفوساً من اليأس والضياع .

رائح النفوس

حَكيم

رابح النفوس حكيم

ربح النفوس :

أهم رسالة لنا فى الحياة هى ربح النفوس . نربحها من حيث علاقتنا الطيبة بها . نربحها قبل كل شئ لله ، فتصير له .

ولعل هذا هو ما قصده الرب ، حينما قال لبطرس وإندراوس "هلما ورائى فأجعلكما صيادى الناس " (مت٤: ١٩) . وهى نفس الرسالة التى عهد بها لتلاميذه ، حينما قال لهم " وتكونون لى شهوداً.. " (أع١: ٨) .

والله هو أول رابح للنفوس .

ربحهم بالحب ، بالسعى إلى خلاصهم ، وإلى رد الضال منهم . وإصحاح ١٥ من لوقا يعطينا ثلاثة أمثلة عن ذلك : الخروف الضال ، والإبن الضال ، والدرهم المفقود ... ومن أجل هذا ، نقول عن الرب فى ختام كل صلاة بالإجبية :

الذى لا يشاء موت الخاطئ ، مثلما يرجع ويحيا . الداعـى الكل إلى الخلاص ، من أجل الموعد بالخيرات المنتظرة .

الله ، من أجل ربح النفوس لملكوتـه ، أرسل الأنبيـاء والرسل لهدايتهم وقيادتهم إلى التوبة . وعين الرعاة ، وأقام الخدام ورجال الكهنوت ، لكيما يعدوا للرب شعباً مبرراً ، كما كان يوحنا المعمدان: الملاك الذى يهيئ الطريق أمامه .

وقد أعطانا السيد المسيح مثالاً عملياً لربح النفوس .

وهكذا قيل عنه إن الكل قد سار وراءه (يو١٢: ١٩) . عندما دخل أورشليم ، ارتجت المدينة لقدومه . وعندما كان يدخل البيوت كانت تزدحم حتى لا يوجد موضع لقدم . وفى قصة شفاء المفلوج : بسبب الزحام لم يستطع أصحاب المفلوج أن يدخلوه ، فنقبوا سقف البيت وأنزلوه (مر٢: ٤) . وفى معجزة الخمس خبزات والسمكتين، كان عدد الرجال – غير النساء والأطفال – خمسة آلاف .

ومن الأمثلة الرائعة لربح النفوس ، القديس بولس الرسول :

ذلك الذى قال " فإنى إذا كنت حراً من الجميع ، استعبدت نفسى للجميع ، لأربح الكثيرين . فصرت لليهودى كيهودى، لأربح اليهود، للذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس ، لأربح الذين تحت الناموس .. صرت للضعفاء كضعيف، لأربح الضعفاء.

صرت للكل كل شئ، لأخلص على كل حال قوماً " (اكو٩: ١٩-٢٢) .

صياد حكيم يلقى شباكه ، ولابد أن يرجع بها مملوءة ...

وهكذا كان السيد المسيح ، الذى قيل عنه أنه كان يجول يصنع خيراً (أع١٠: ٣٨) . كان يربح الناس بأنواع وطرق شتى : بالتعليم والكرازة ، بالشفاء، بالعطف ، بالحب ، بالتأثير الشخصى، بكل نوع

وأنت كيف تراك ستربح النفوس ؟

تربح الناس بالحب :

أول وسيلة تربح بها الناس ، هى الحب . إن لم تحب الناس، وإن لم يحبوك، لا تستطيع أن تقودهم إلى الله . لأن الناس يميلون إلى سماع من يحبونهم .

والشخص الذى ينفر منك ، تكون خسرته فى علاقتك معه . وأيضاً لا يمكن أن تجذبه إلى الله . لن يسمع منك بينما الذى تحبه، قد يحب الله بسببك وتقدم له الله بالحب .

ومن مظاهر محبتك للناس ، أن تحتملهم .

كل إنسان فى الدنيا له أخطاؤه وله ضعفاته ، وإن ظللت ترقب

أخطاء الناس وتحاسبهم عليها ، تكون النتيجة أنك تخسر الناس وأن يخسروك ... احتمل الناس إذن .

إنسان تحتمل أخطاءه ، وآخر تحتمل ثرثرته . وثالث تحتمل جهله ، ورابع تحتمل ضعفه ، وخامس تحتمل أعصابه .. إلخ .

وكرمز لطول بال الكاهن واحتماله ، تكون ملابسه واسعة فضفاضة. رمزاً لسعة الصدر . لأن الذى يكون ضيق الصدر ، يخسر الناس . تذكر أن السيد المسيح قد حمل جميع خطايا العالم كله ...

من أمثلة احتمال الله للناس ، أنه يوجد ملايين من الملحدين ينكرون وجود الله ، أو يجدفون عليه ، والله يحتملهم بدون عقوبة .

ما أسهل ان يبيد الله كل هؤلاء ، ولكنه ساكت ، يحتمل . ربما لا يخلص هذا الجيل ، ويدرك الخلاص الجيل التالى ، وهكذا يحتمل الله الذين يستهزئون بالدين والتدين .

احتمل الناس بالمحبة ، فتكسبهم ، فإن المحبة لا تسقط أبداً (اكو١٢: ٨) . وتذكر قول الكتاب :

" إن جاع عدوك فاطعمه ، وإن عطش فاسقه " (رو١٢: ٢٠) .

إن عاملك إنسان معاملة رديئة ، واحتملته فى لطف ، فإنك

بإحتمالك له - كما يقول الكتاب - "تجمع جمر نار على رأسه" (رو١٢: ٢٠) . ولاشك أن ضميره سيوبخه من جهتك . مثلما قال إنسان لشخص إحتمله " أنت تقتلنى بنبلك هذا، تحطمنى بأدبك " . كان يرى إنسانه العتيق يتحطم ...

ما أسهل ان تغلب الناس بالنبل مثلما قال الكتاب " لا يغلبنك الشر . بل اغلب الشر بالخير" (رو١٢: ٢١) .

جرب مثلاً أن يسئ إليك إنسان فتكون أول من يسعى لإنقاذه حينما يقع فى مشكلة .. جرب الأدب الجم فى الرد على إنسان متسيب فى ألفاظه لاشك أنه يحتقر نفسه ويحترمك ...

أما إن أردت أن تأخذ حقك من الناس بالقوة ، فسوف تخسر الناس ، وتخسر حقك وتخسر الله ، وتخسر أبديتك ..

وكما تربح الناس بالحب والإحتمال والمعاملة الطيبة ، اربحهم بالحكمة .

اربح الناس بالحكمة :

السيد المسيح يهمه أن نكون حكماء حتى أنه مدح وكيل الظلم ، لأنه بحكمة صنع (لو١٦: ٨). مدح الحكمة التى فيه ، وليس الظلم.

ويقول الكتاب " الحكيم عيناه فى رأسه، أما الجاهل فيسلك فى الظلام " (جا٢: ١٤).

ولأن الشمامسة يعملون أيضاً فى ربح النفوس ، اشترط الآباء الرسل - فى إختيار الشمامسة السبعة - أن يكونوا مملوئين من الروح القدس والحكمة " (أع٦: ٣) .

كان يمكن الإكتفاء بشرط الإمتلاء من الروح القدس ، على إعتبار أنه روح الحكمة والمشورة والفهم (أش١١: ٢) ولكنهم شددوا على صفة الحكمة هذه .

قال بولس الرسول : " إننا نتكلم بحكمة بين الكاملين . ولكنها حكمة ليست من هذا الدهر" (١كو٢: ٦) .

وقد تحدث القديس يعقوب الرسول باستفاضة عن الحكمة النازلة من فوق (يع٣: ١٣- ١٧) .

إنها حكمة تصلح لربح النفوس ، لأنها طاهرة مسالمة مترفقة مذعنة ، مملوءة رحمة وأثماراً صالحة ... وقال " من هو حكيم وعالم بينكم ، فلير أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة " .

أما الحكمة العالمية فنسميها أحياناً بالدهاء والخبث إذ تحوى تدابير شريرة .

وكم من أشخاص فكروا أن يربحوا الناس بالخداع والكذب ،

وبالإنحراف ، وبأن يكونوا ذوى وجهين ، وذوى لسانين ، وبارعين فى سبك الخطط !! وفى سبل الإغراء والتشويق . أما أنتم فلا تكن لكم هذه الحكمة ، بل الحكمة الروحية النازلة من فوق ...

أبيجايل إمرأة نابال الكرملى ، استطاعت بالحكمة أن تربح داود النبى وتمنعه عن الإنتقام من زوجها وعن إرتكاب القتل (١صم٢٥) .

واعجب داود بأسلوبها الحكيم الذى يمتزج فيه الإتضاع ، بالتوبيخ الهادئ المشبع بالمديح ؟

وقال لها " مبارك الرب الذى أرسلك اليوم لاستقبالي. ومبارك عقلك . ومباركة أنت ، لأنك منعتنى عن إتيان الدماء " . وكانت لما مات زوجها ، أن تزوجها داود ، الذى قبل منها التوبيخ دون أن يغضب ...

الإنسان الحكيم يعرف متى يتكلم ، وكيف يتكلم ؟ ومتى يصمت، وكيف يتصرف ؟

ويعرف المداخل التى يدخل بها إلى نفوس الناس ، وكيف يقول لهم ما يمكنهم قبوله ، وكيف ينصحهم بما يمكنهم عمله وكيف يدرجهم فى الوصول إلى الفضيلة بل وإلى الكمال .. ولذلك اتصف آباؤنا القديسون بالإفراز .

الرجل الحكيم يزيد عدد أصدقائه .

أما الجاهل فيخسر أعز أحبائه ...

الحكيم يعرف كيف يكسب الناس . والذين قد كسبهم ، يعرف كيف يحتفظ بهم أيضاً ...

والمرأة الحكيمة لا تخسر زوجها ، ولا تخسر أقارب زوجها أيضاً : أمه وأخوته .. وحيث توجد الحكمة، يمكن أن تحل كل المشاكل الزوجية ، وكل الخلافات العائلية .. وبالحكمة كل فريق يربح الأخر .. قال القديس يوحنا ذهبي الفم :

" هناك طريقة تتخلص بها من عدوك وهى أن تحول العدو إلى صديق .

طبعاً ، لا نستطيع أن ننكر أن هناك أشخاصاً ليس من السهل كسب صداقتهم . ويكون السبب راجعاً إليهم هم. مثلما حدث للسيد المسيح نفسه مع الكهنة والفريسيين والصدوقيين ورؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . ولو أن عدداً كبيراً منهم قد آمن فيما بعد .

ولأن كسب جميع الناس ليس سهلاً لذلك قال الرسول : "إن كان ممكناً، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس" (رو ١٢: ١٨) .

لذلك فإن ربح الناس قد يحتاج إلى صبر وإلى إحتمال، وقد يحتاج إلى وقت .

وهو لا يأتى بالإلحاح الكثير وبالإسراع .. فربما الإلحاح والإسراع يأتيان بنتيجة عكسية ، لأنهما ربما يتعبان أعصاب ونفسية الشخص الذى تريد كسبه ، أو تريد مصالحته . وربما يسببان له العناد .. أو أنه يشعر بإصرارك فيتثاقل ويعتز ويفرض شروطاً وحلولاً صعبة ...!

بالحكمة فى التصرف ، يمكن أن تكسب الناس فى العلاقات الإجتماعية وفى الروحيات أيضاً ...

أليس من المخجل أن كثيرين من أهل العالم ، يكونون حكماء ويكسبون الناس بينما أولاد الله يفشلون فيما نجح فيه أولئك ؟

مشكلة تقابل إنساناً ، فيرتبك لها ، أو يتصرف فيخطئ . ونفس المشكلة تقابل شخصاً آخر ، فيحلها بمنتهى السهولة .. إنها الحكمة..

ولكن ليست الحكمة أن تربح الناس على حساب المبادئ والروحيات، أو تربحهم وتخسر الله .

تربح النفوس لله :

العاملون فى هذه الخدمة ، سماهم الرب " صيادى الناس " . ولابد أن تكون لهم حكمة الصياد الذى يعرف طباع السمك، وطبيعة المياه . والذى يعرف كيف يلقى شباكه فى العمق .

حكمة إنسان اختبر الطريق الروحى وسار فيه ، وعرف حروبه ومطباته .. لهذا يعرف نوعية الكلام الذى يقدمه للناس .

١ - من هذه الحكمة أنه لا يقدم للناس روحيات فوق مستواهم ، لكى لا ييأسوا أو يفشلوا من أول الطريق .

هذه المشكلة عرضها السيد المسيح فى توبيخه للكتبة والفريسيين فقال إنهم " يحزمون أحمالاً عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس " (مت٢٣: ٤) .

كثير من الخدام لهم مثاليات معينة ويريدون أن كل احد يسير فى هذه المثاليات ، ومن أول خطوة .!!

وإلا فإنهم يرفضونه وينتقدونه ويقولون إنه لا يصلح للطريق الروحى . بينما السيد المسيح لم يقل هكذا ، بل إنه تدرج حتى مع تلاميذه ، وقال لهم " عندى كلام لأقوله لكم، ولكنكم لا تستطيعون أن تحتملوا الآن " (يو١٦: ١٢) . وتلميذه بولس الرسول تعلم هذه القاعدة فقال :

" سقيتكم لبناً لا طعاماً ، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون " (اكو٣: ٢) .

والرسل الإثنا عشر - فى مجمع أورشليم - راعوا نفس القاعدة فرأوا أنه " لا يثقل على الأمم الراجعين إلى الله . بل يرسل إليهم

أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام ، والزنا، والمخنوق، والدم" (أع١٥: ١٩، ٢٠) . فلا يوضع على أعناقهم نير " لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله " (أع١٥: ١٠) .

ولكن ليس معنى التدرج ، أن نتساهل في وصايا الله ! كلا، بل ندرب الناس عليها بالتدريج ، إلى أن يصلوا ..

ذلك أن بعض الخدام يغلقون أبواب الملكوت أمام الناس ، بتصعيب الطريق فلا هم يدخلون ، ولا يجعلون الداخلين يدخلون (مت٢٣: ١٣) .. والبعض الآخر يتساهلون إلى الدرجة التي يفقد فيها المخدوم روحياته ، ويفقد جدية الحياة الروحية أيضاً ... !

٢ - ومن الحكمة أن الخدام لا يقودون الناس في مناهج روحية متناقضة ..

كأن يتوب إنسان ، فيقوده البعض إلى حياة الندم والإنسحاق والدموع، بينما يشده البعض الآخر إل حياة الفرح بالرب "وبهجة الخلاص " ويشجعه فريق على الخدمة وعلى التحدث بكم صنع الرب به . بينما يقوده آخرون إلى الشعور بعدم الإستحقاق ، وعدم الإسراع إلى الخدمة ، حتى تستوفى التوبة حقها من مشاعر الخزى على الخطية ...

وهكذا يرتبك المسكين بين مشورات متناقضة ، ولا يدرى أين

يسلك !

ويزيد الأمر تعقيداً أن كل فريق يشرح له أن الفريق الآخر مخطئ ، وإن سلك وراءه سيضيع! وهنا تظهر الذات فى الخدمة . ويتنافس الخدام بغير حكمة فى إختطاف المخدومين من بعضهم البعض .

٣ - كذلك ليس حسناً أن يقحم خادم نفسه فى خصوصيات إنسان ، ويتطوع لإرشاده ، بدون معرفة بظروفه وداخلياته ونوع نفسيته .

لذلك فإن الكنيسة وضعت هذا الإرشاد تحت مسئولية أب الإعتراف الذى يعرف نفسية وظروف المعترف ، ويستطيع أن يقدم له العلاج الذى يناسب حالته . وفى نفس الوقت يقوده فى منهج واحد لا تناقض فيه ، يوافق مستواه الروحى .

رابح النفوس الحكيم يعرف متى يقدم التوبيخ على الخطية ، ومتى يفتح باب الرجاء بلا توبيخ ، حسبما ينفع النفس .

فالشخص الغارق فى تبكيت نفسه اليائس من خلاصه ، فهذا نقدم له الرجاء . أما الذى لا يشعر بجسامة الخطية ، وينظر إليها ببساطة ممتزجة باللامبالاة ، فإننا نوبخه بشدة لكى يستيقظ إلى نفسه ويعرف أن الخطية خاطئة جداً ، وأجرتها الموت .

٤- والخادم الحكيم لا يحاول أن يجعل من يخدمهم صورة منه

فلا يقود الناس إلى الوحدة ، والصمت ، إن كان هو يحب ذلك . **فربما له تلميذ إجتماعى لا تناسبه الوحدة .**

وبالعكس لا يقود مخدوميه كلهم إلى الخدمة التى تستغرق كل الوقت والجهد إن كان هو يحب ذلك ، **فربما له تلميذ يحب حياة الصلاة والتأمل والهدوء .**

لا يجوز له أن يطبعهم بطابعه ، فكل إنسان له نفسيته الخاصة ، وله ما يناسبه ...

وكل إنسان له ظروفه الخاصة ، وله درجة معينة فى الروحانية، ربما لا يوافقها المنهج الذى يسير عليه الخادم .

وظيفة الخادم إذن أن يرشد إلى الحق مجرداً. ويترك التفاصيل إلى ما يناسب نوعية النفس ، وإلى إرشاد أب الإعتراف .

بعض الخدام إذا تحمسوا لشئ ، يريدون أن يتحمس له كل أحد، مهما كانت حالته !

فمثلاً واحد منهم متحمس لإصلاح معين ، وثائر فى داخله ، يريد أن يكون الجميع ثائرين مثله ! وقد تضرهم هذه الثورة ، وقد يخطئون فيها ، وقد لا تكون حكيمة ...

أو شخص يحب الرهبنة ، فيدعو الكل إليها وقد لا تناسبهم .

٥ - **رابح النفوس الحكيم ، ينبغي أن يكون صبوراً لا يمل.**

ليس من الحكمة أن يتعجل الثمر ولا أن ييأس من مخدومه ويتركه ، إن لم يستجب لتعليمه بسرعة ، أو تحتد أعصابه عليه ويكثر من توبيخه لئلا يفشل ذاك أيضاً .

الخدمة تحتاج إلى طول أناة ، وإلى رفق بالخطاة . كما أن الرب نفسه يتأنى ، وطول أناته تقتاد إلى التوبة (رو٢: ٤) .

بطول الأناة تحول أوغسطينوس من شاب خاطئ إلى قديس عظيم ، وتحول شاول الطرسوسي من مضطهد للكنيسة إلى أكبر كارز تعب في الخدمة .

لذلك لا تشطب من كشفك أسماء الذين افتقدتهم بضع مرات ولم يحضروا، ولا تيأس من الذين نصحتهم مراراً ولم يتوبوا ..

ولا تظن أنه لا استجابة ، ربما توجد الإستجابة ، ولكن تحتاج إلى وقت ...

رابح النفوس حكيم (٢)

لا تكن نقاداً :

هناك أشخاص لا يرون في غيرهم إلا ما يعيبهم . ولا ينظـرون إلى الآخرين إلا بمنظار أسود . فهم باستمرار ينتقدون ، ويخسـرون الناس بنقدهم لهم ...

أما الإنسان الروحـي ، فإنـه لا ينتقـد كثيراً ، ولا يديـن كثيراً . وإذا كان هناك داعٍ روحي للنقد ، فإنه ينتقـد فـي حكمـة وفـي محبـة وفي لطف . لذلك يكسب الناس .

والسـيد المسـيح ، الـذى سيأتى فـى مجـده ، ليديـن الأحيـاء والأموات ، يقول إنه لم يـأت لكـى يديـن العـالم، بـل ليخلـص العـالم (يو٣: ١٧) . فإن أردت أن تربـح النـاس ، اسلك كمـا فعـل السـيد المسيح ، وبدلاً من أن تعكـف على إدانتهم ، أعمل على خلاصهم ..

بدلاً من أن تحكم عليهم ، اشفق عليهم . وبدلاً من أن توبخهم

على أخطائهم، ساعدهم على التخلص من تلك الأخطاء .

فى قصة المرأة الخاطئة ، التى ضبطت فى ذات الفعل ، لم يستطع أن يكسبها الذين عاملوها بقسوة وحكموا عليها ، طالبين رجمها . أما السيد المسيح فقد استطاع أن يكسب نفسها بأن دافع عنها ضد المشتكين عليها ، ثم قال لها "ولا أنا أدينك. اذهبى ولا تخطئى أيضاً " (يو٨: ١١) .

الناس يحتاجون إلى عين مغمضة ، لا تنفتح لتنظر إلى أخطائهم ، محملقة فيما يفعلون ! يحتاجون إلى عين إن رأت خطأ ، كأنها لم تبصر شيئاً .

يحتاجون إلى قلوب مشفقة عطوفة ، تدرك تماماً ضعف الطبيعة البشرية وسهولة سقوطها ، وتشفق على الناس إن سقطوا ، وتصلى من أجلهم لكي يقوموا .. وبهذا تربحهم ..

لا يمكنك أن تربح الناس ، إن كنت باستمرار تتأمل أخطاءهم، وتفحص عيوبهم، وتتحدث عنها أمام الآخرين، وتستصغرهم بسببها. وقد تعايرهم بها ..! وهكذا تخدش مشاعرهم ولا تكسبهم ..

إننا فى عالم جوعان إلى العطف ، وإلى الحنان والمعاملة اللطيفة ، وقد ذكر القديس بولس الرسول إن اللطف هو من ثمار الروح (غل٥: ٢٢) . عامل الناس إذن بلطف .

ولا تكن عينك مفتوحة لأخطائهم ، إنما مفتوحة لترى فضائلهم .

إن تركيزك على أخطاء الناس ، ربما يدفعهم إلى اليأس أو إلى صغر النفس ، كما أنه لا يشعرهم بإحترامك لهم ، أو على الأقل بتقديرك لحالتهم ورغبتك في إنقاذهم .

يمكنك كخادم أن تنقذهم من أخطائهم ، دون أن تخجلهم بها .

ويستثنى من هذا ، أولئك الذين هم فى حالة الإستباحة واللامبالاة ، ويحتاجون إلى من يوقظهم من سباتهم الروحى ، ليعرفوا خطورة ما هم فيه وينيروا طريقهم ...

وحتى هؤلاء ، يحتاجون إلى من يوبخهم . دون أن يشعرهم بإحتقار ، كما أنه ينتهز باسلوب من يحب ومن ينقذ .

صدقونى ، كما أن الناس جياع إلى العطف والحنان ، هم أيضاً جياع إلى المديح والتشجيع .

المديح الذى يشعرهم أن فيهم شيئاً خيراً ، فترتفع معنوياتهم ، ويشعرون أنهم قادرون على حياة البر .

إسلوب المديح والتشجيع :

تأكد تماماً أن الشخص الذى تمدحه فى صدق وفى إخلاص ، من السهل أن تكسبه. وكذلك الذى تشجعه كثيراً تكسبه . والذى

تكتشف فضائله وميزاته وقدراته ، وتتحدث عنها، يمكنك بهذا أن تكسبه ..

بهذا كله ، تشعره بمحبتك وتقديرك ، فيميل إليك ، ويكون مستعداً أن يسمع نصائحك ، وأن يقبل عملك الروحى من أجله .

تصور أنك فى إجتماع ، يحضره لأول مرة عضو جديد. لتقدمه أنت للحاضرين ، وتشرح مواهبه وإمكانياته وتاريخه وإنتاجه ، وتظهر فرحك بوجوده . لاشك أنك بذلك تكسبه ، إذ يجد فيك صديقاً يحترمه ويقدره .

ولكن ليس مديح الناس معناه تملقهم . كلا . وإنما كل إنسان - مهما كان - له ميزة أو ميزات . اكتشفها وامتدحها، بصدق وإخلاص .

لقد وجد السيد المسيح شيئاً صالحاً يستحق المديح فى زكا العشار ، وفى المرأة السامرية ، وفى الخاطئة التى بللت قدميه بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها .. بل حتى فى الشاب الغنى ، إذ قيل عن الرب بأنه " نظر إليه وأحبه " (مر ١٠: ٢١) . كما أنه قال للسامرية " حسناً قلت .. هذا قلت بالصدق " (يو ٤: ١٧، ١٨) . وقال عن الخاطئة الباكية إنها " أحبت كثيراً " (لو٧: ٤٧) . وشرح كيف أنها كانت أفضل من سمعان الفريسى .

إن الرب فى كل هذا ، اكتشف الجوهرة المدفونة فى الطين ، ونظفها ومدحها ، وأظهرها للناس ، فربحها، ورابح النفوس حكيم .

كان شاول الطرسوسى مضطهداً للكنيسة ، وكان يجر رجالاً ونساء موثقين إلى أورشليم (أع٩: ٢) . ومع ذلك كان فى داخله شئ حسن. رآه المسيح، فاختاره رسولاً يبنى به الملكوت.. إن اكتشاف النور الداخلى الذى تخفيه ظلمة خارجية، أمر جميل ومشجع ..

يوجد كثيرون يتعبون ، ولا يجدون من يقدرهم ، ويجاهدون ولا يجدون من يشجعهم ، ارفع نفسية هؤلاء فتربحهم .

مثل طفل يجتهد فى دروسه ويحصل على درجات عالية ، ولا يحس به أحد فى المنزل . فيضطر أن ينبههم بنفسه إلى إمتيازه ، ماأسعد هذا الطفل بمن يكتشف تفوقه ويشجعه ، دون أن يتكلم هو عن نفسه .

لا تظنوا أن التشجيع هو للصغار فقط ، فالكبار أيضاً يحتاجون إليه .

كما يحتاج خادمك إلى تشجيع ، ليستمر فى إخلاصه لك وفى تعبه وتفانيه ، كذلك يحتاج رئيسك إلى تشجيع ، ليستمر فى معاملته

الطيبة لك ولغيرك .

إن صاحب البيت تسعده كلمة تحية ، وتقدير يسمعها من بواب منزله .. فيقول إن هذا البواب هو أفضل بواب عرفه. لا من أجل تفانيه فى عمله ، بل لأجل الكلمة الطيبة والمديح والشكر ..

الناس يحتاجون دائماً إلى كلمة طيبة تسعدهم، فيحبون قائلها.

والإنسان الذى يملك لساناً عذباً حسن المنطق ، ووجهاً بشوشاً ، وحسن معاملة للناس ، يمكنه أن يربح الدنيا كلها ومن عليها ، إلا من يستسلمون تماماً لقيادة الشياطين ...

من أجل حاجة الناس إلى كلمة طيبة ، أعطاهم الله الإنجيل ومعناه " **بشارة مفرحة** " وبدأ الرب عظته على الجبل بالتطويبات ، وكلمة "**طوبى**" معناها السعادة والبركة معاً .. وكان الرب **يشجع** باستمرار حتى أنه مدح الزرع الذى انتج ثلاثين فقط، وقال إنه زرع جيد كالذى أتى بستين ومائة ...

إن الإنسان الحكيم ، هو شخص لطيف ، يشجع الناس ولا يدينهم ، لذلك فهو يربحهم .

السيد المسيح ما كان يدين بل يشجع ، مع أن جميع خطايا الناس .. الخفيات والظاهرات .. كانت مكشوفة أمامه ومعروفة ، حتى مشاعر القلب ، وحتى الأفكار والنيات والظنون .

فإن كان وهو الذى يعرف كل الخطايا وكل الخفايا ، ويعرفها عن يقين ، لا يوبخ أحداً ، فكيف بنا نحن الذين لا نعرف الحقيقة تماماً! وربما ما لدينا من إنتقادات فيه الكثير من الظن أو الشك أو الظلم ، وقد نحكم على الناس ظلماً ، فيكرهوننا ، ولا نربحهم .

وحتى إن وجد فى الناس خطأ يقينى ، فبالكلمة الطيبة نعالجه ونربحهم .. ما أجمل قول الكتاب " شجعوا صغار النفوس " (١تس٥: ١٤) .

الصغير شجعوه ، والكبير قدروه ووقروه ، والممتاز امدحوه ، والضعيف لا تحتقروه ..

والإنسان الحكيم الطيب ، رابح النفوس ، يوزع كلمات التشجيع والبركة على كل أحد .. والمعاملة الرقيقة يعامل بها الكل . وكما يقول الكتاب "باركوا ولا تلعنوا " (رو١٢: ١٤) .

خذوا هذا التدريب ونفذوه : حاولوا أن تكسبوا الناس .. اعطوا كل إنسان حقه فى الكرامة . اكرموا الكل . اكسبوهم فى محبتهم لكم ، لكى تقودهم إلى محبة الله .. أنظروا الخير الذى فى الناس وشجعوه . واكسبوهم بالتشجيع ، وأيضاً بالإتضاع .

اكسبوهم بالإتضاع :

الناس لا يحبون الشخص الذى يتعالى عليهم ، ويحدثهم من فوق ، كأنه فى مستوى أسمى من مستواهم ، بل يحبون الإنسان المتضع ، الذى لا يشعرهم بأنه أعلى منهم .

لذلك فى كسب الناس ، إياك من هذا التعالى الذى ينفر الناس ، ويبعدهم عنك .

فى عظاتك ابتعد عن أسلوب عرض المعلومات والتباهى بالمعرفة ، إنما ركز على ما يلزمهم فى حياتهم الروحية .

ولا تستخدم ألفاظاً أو تعبيرات لا يفهمونها ، بقصد أن تظهر أنك تفهم ما لا يفهمون ..!

إنما كن متضعاً فى أسلوبك بسيطاً فى تعبيرك ، تشرح أعمق المعانى فى أسهل الألفاظ . إياك أن تحول الدين إلى فلسفة . وتذكر قول القديس بولس الرسول " وأنا لما أتيت إليكم إيها الأخوة، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة .. " (١كو٢: ١) . " وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة " (١كو٢: ٤) .

إنك فى خدمتك ، لست تبنى نفسك ، بما تقوله من كلام ، إنما

أنت تبنى الآخرين .

لذلك كن متواضعاً فى خدمتك ، ولا تجعل هذه الخدمة مجالاً للذات ، فليس فى ذلك ربح للناس ...

والذين هدفهم **(الذات)** قد يجعلون مركز إهتمامهم فى عظاتهم هو اللغة أو المعلومات ، وليس التأثير الروحى ... أو قد يكون هدفهم هو إعجاب الناس بكلامهم ، وليس قيادة الناس إلى التوبة .

كذلك فإن رابح النفوس الحكيم ، ليس واجبه فقط هو أن يربح المخدومين وإنما أيضاً أن يربح زملاءه فى الخدمة .

الخادم المتواضع ، لا يغطى على غيره ، بل يعطيه فرصة ليعمل هو أيضاً. وهو لا يكتسح غيره من الخدام ، بل يتذكر قول الرسول " مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة " (رو١٢: ١٠) .

وإذا كان فى لقاء لا يأخذ الجلسة كلها لحسابه الخاص ، بل يعطى مجالاً لغيره لكى يتكلم . ولا يقاطعه ، ولا يحقر رأيه ، ولا يحاول أن يثبت أنه أعمق فكراً أو أكثر معرفة ، بل يمتدح ما يقوله زملاؤه من الخدام - ولو كانوا تلاميذه .

وتكون له فضيلة حسن الإصغاء .

فيحبه الناس لإصغائه .. وعندما يتكلم ، لا مانع أن يقول "أعجبنى رأى فلان فى كذا . ومن النقط الجميلة ما قاله فلان ، وأنا

أوافق فلانا على رأيه ، وقد استفدت كثيراً مما قاله فلان " ...

وهكذا يعجب الناس بطريقة كلامه ، كما يعجبون بإصغائه .

والخادم الحكيم المتواضع ، لا يتجاهل أحداً ، ولا يستصغر أحداً ، بل يحترم الكل . فيحبه الناس في تواضعه .

السيد المسيح تواضع فدخل بيت زكا العشار ، وأعطى مقاماً لمتى العشار بأن جعله رسولاً . ودخل بيوت الخطاة وسمح للمرأة الخاطئة أن تلمس قدميه وتمسحهما بشعرها . بل أعطى أهمية للأطفال أيضاً .

لذلك أحبه الكل ، وربح الكل . وقادهم بمحبته وتواضعه إلى الملكوت .

وداود النبي بعد إنتصاره على جليات ، وبعد تعيينه رئيساً على رجال الحرب ، أمكنه أن يكسب جميع الناس بسبب عدم تعاليه عليهم . وكانوا " يحبونه لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم " (اصم١٨: ١٦) .

والخادم المتواضع الحكيم يربح الناس أيضاً بتنازله إلى ضعفاتهم ...

ومن أمثلة تنازل السيد المسيح لضعفات الناس ، أنه زار نيقوديموس ليلاً وسراً ، إذ كان نيقوديموس خائفاً من اليهود . فلم

يجبره الرب على إعلان صلته به مادام لم يكن قد وصل إلى إحتمال ذلك . وبهذا ربحه إليه ، وأعلن إنتماءه فيما بعد ...

تنازل الله أيضاً لضعف المجوس .

وكانوا يرصدون النجوم ، فأظهر لهم قوة سمائية فى هيئة نجم عجيب فى تحركاته وفى إتجاهه ، وفى سيره ووقوفه . وبهذا جذبهم إلى الإيمان . فلما آمنوا ، لم يرشدهم عن طريق نجم ، وإنما أوحى إليهم فى حلم (مت٢: ١٢) .

كذلك تنازل الله للبشرية كلها بتجسده وربحهم بذلك .

إن الذى يتنازل لضعف الناس يربحهم .. أما الذى يتعامل معهم من برجه العالى ، فلا يمكن أن يصل إلى قلوبهم ولا إلى أفكارهم .

لا تكن كالفيلسوف الذى لا يتكلم إلا بأسلوب معقد ، ولا يتنازل ليبسط معلوماته للناس ، فلا يجتمع حوله سوى نفر قليل من مريديه وحوارييه ومن يمكنهم فهمه .

ولا تكن كذلك الأديب الذى عاتبه أحدهم بقوله " لم لا تقول ما يُفهم " . فأجابه فى عظمة ، " ولم لا تفهم ما يُقال " .

احتمل قصر فهم الناس، وإن جادلوك فى تعليمك فلا تثر عليهم ولا تنتهرهم .

الخادم الحكيم المتواضع ، لا يحسب أن كلامه منزه عن الجدل

والنقاش والحوار . ولا يحاول أو يفرض رأيه على الناس . ولا يعتبر أن مناقشته فى كلامه إهانة له ، وإنما بكل محبة وبكل إتضاع يجيب . ولا يضيق صدره مطلقاً بأية معارضة لرأيه ، كما لو كانت كلماته عقائد !

إن فرض الرأى لا يقنع أحداً . وبالتالى لا يربح احداً . والذى يفرض رأيه فى أمور الخدمة ، ينفر الكل منه ...

والخادم الذى يعيش فى خدمته وفى تعامله مع زملائه أو مخدوميه ، بأسلوب الأمر والنهى ، وبأسلوب السلطة والإدارة ، لا يمكن أن يربح العاملين معه . فإما أن ينفر الكل منه ويصل إلى الإنفرادية فى العمل ، أو يتحول محيط الخدمة إلى مجال للصراعات التى تفقد الخدمة روحانيتها .

طريق الإقناع والتفاهم ، قد يكون أطول بكثير من طريق السلطة أو القوة ، ولكنه أكثر ثباتاً ، وأعمق تأثيراً .

وهو الأسلوب الروحى الذى يتسم بالوداعة والإتضاع ، وهو أيضاً أسلوب حكيم ، لأنه يؤدى إلى نتائج عملية سليمة ...

حتى إن كنت على حق بالتمام ، وغيرك على باطل بالتمام ، أصبر واحتمل ، حتى تقنع هذا الغير ، ولا تظن أنك بالعنف يمكن أن تتجاهله وتقضى على رأيه فى الخدمة .

الخادم الحكيم يربح الناس بالإحتمال ، وبطول الأناة وسعة الصدر ...

يحتمل فى سبيل ربح الناس كل كلمة جارحة ، وكل صبد . يحتمل رفض الناس له ، ويحتمل جدلهم ومناقشاتهم .. بل يحتمل تهكمهم أيضاً عليه من أجل الرب ، من أجل خلاص النفس لأنه إن لم يحتمل ، قد يخسر مواقف ، وقد تفشل خدمته ...!

الخادم المتواضع يربح أقل الناس فهماً ، وأكثرهم عناداً ، وذلك بكياسته ولباقته ، وعدم تعاليمه ، وعدم توبيخه للناس ، وحرصه على مشاعر الكل ...

أما الخادم غير الحكيم ، أو غير المتواضع ، أو الخادم الضيق الصدر ، فإنه لثقته بذكائه أو بعلمه أو بمركزه، قد لا تعجبه أفكار وتصرفات الناس . فيكثر من توبيخهم حتى يخسرهم . وينتهر هذا، وينتقد ذاك ، ويكلم ثالثاً بكلمة شديدة ، أو ينصح بأسلوب جارح ، أو بهزء وسخرية . ويعلق تعليقات قاسية على طريقة تفكير غيره ومدى فهمه . هكذا يخسر الكل ، لمقارنته فى داخل قلبه بين ذكائه وضعف تفكيرهم .. !

كثيرون لهم عقول كبيرة ، وفى نفس الوقت لهم قلوب صغيرة ونفسيات أصغر ... !

ولذلك يفشلون فى الخدمة ، لا بسبب العقل أو المعرفة ، إنما بسبب القلب المحب لذاته ، وبسبب النفس التى تضيق بسرعة ، أو بسبب الأعصاب المتوترة . وفى كل ذلك لا تسعفهم عقولهم بحلول، لأن حالتهم النفسية لم تعطِ فرصة للعقل الكبير أن يتصرف . فقامت الأعصاب بقيادة الموقف .

لذلك نقدم نصيحة هامة وهى :

اربح الله فتربح الناس :

كن إنساناً روحياً ، قبل أن تدخل الخدمة لتعلم الناس الروحيات . اعرف الطريق الموصلة إلى الله ، لكى يمكنك أن تقود غيرك إليه. اربح الله أولاً ، حينئذ تربح نفسك ثابتة فى الله . وإن ربحت نفسك، ستربح الناس ، بالقدوة قبل التعليم . كما أنك ستعرف الأسلوب الحكيم ، الذى يمكنك به أن تكسب محبة الناس لك ، ومحبتهم لله ...

وإن كنت تربح الله ولم تربح نفسك فانتظر ولا تغامر بالخدمة، لئلا يعيروك قائلين : أيها الطبيب اشف نفسك أولاً !

حينما تخرج الخشبة من عينك ، ستبصر جيداً ، وتعرف كيف تخرج القذى من عين أخيك (مت٧: ٥) .

العمل الإيجابي البنّاء والعمل الفردي

العمَل الإيجابي البنّاء

فى حياتنا الروحية وفى خدمتنا، علينا أن نهتم بأعمال البناء وبالأعمال الإيجابية. ولكن فيما نحن نبنى حياتنا وحياة الناس، مشتركين مع الروح القدس فى العمل ، **يتدخل الشيطان ليقدم لنا سلبيات لكى ننشغل بها عن عملنا الروحى البناء ...**

أما الإنسان الحكيم ، فهو الذى لا يسمح للسلبيات أن تشغله وتعطله عن عمله الإيجابى. لذلك فهو يسلك فى عمل البناء باستمرار، ويبعد عن الأمور السلبية، التى تدخله فى صراعات لا تنتهى، يفقد فيها روحياته، ويفقد خدمته، ويتعطل عمله البناء...

فى الواقع أن السيد المسيح نفسه ، هو الذى وضع لنا قاعدة العمل الإيجابى وعدم الإنشغال بالسلبيات .

فى فترة تجسده على الأرض ، حينما بدأ خدمته، كانت هناك أخطاء كثيرة جداً جداً فى المجتمع الذى عمل فيه .. كانت هناك أخطاء تحيط بالقادة : الكتبة والفريسيين والصدوقيين والناموسيين

والكهنة وشيوخ الشعب... وهناك أخطاء أخرى تحيط بكل من هيرودس وبيلاطس ، وبالعشارين ورؤسائهم ، وبغير أولئك جميعاً.

ولم يضيع السيد المسيح وقته فى محاسبة كل هؤلاء ، إنما كان يجيبهم إن تعرضوا له . وانشغل بالعمل الإيجابى .

إنشغل بالوعظ والتعليم ، وبالإشفاق على المرضى وبالحزانى والمعوزين، وكان باستمرار "يجول يصنع خيراً ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس" (أع ١٠: ٣٨). " وكان يطوف كل الجليل ، يعلم فى مجامعهم ، ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب " (مت٤: ٢٣). " ويقول قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل " (مر١: ١٥) .

اشتغل وانشغل بتعليم الناس ، وبرعايتهم ...

" تحنن عليهم ، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها " (مت٩: ٣٦) . كان يعظ على الجبل ، ووسط الزروع ، وفى الطريق ، وفى مواضع خلاء ، وفى البيوت ، وعلى شاطئ البحيرة، وفى كل مكان ، ويشفق على الناس ويهتم بهم، مع أنه " لم يكن له أين يسند رأسه " (لو٩: ٥٨) .

لم يضيع وقته فى مشكلة العشارين كيف يجمعون العشور بطريقة يظلمون فيها الناس ، ولا شغل وقته بما يفعله حنان وقيافا

ومجمع السنهدريم ... إنما كان شغله هو الشعب ، وكيف يعلمه ويرعاه . وهكذا قدّم لنا عملياً المثل الذى يقول :

بدلاً من أن تلعنوا الظلام ، أضيئوا شمعة ...

نعم . إن أضأنا شمعة ، ينقشع الظلام دون أن نحاربه ، ودون أن نعطل عملنا الإيجابى بسببه ...

ولكن لعل أحدكم يقول : ولكن السيد المسيح وبخ الكتبة والفريسيين ، وقال لهم : أيها القادة العميان . إنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون .. كيف تهربون من دينونة جهنم ؟!" (مت٢٣: ١٣، ٣٣) .. وكذلك قال للكهنة " إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل ثماره (مت٢١: ٤٣) . ووقف ضد الصدوقيين والناموسيين (مت٢٢). كما أنه طهر الهيكل، وقلب موائد الصيارفة . وقال " مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص " (مت٢١: ١٢، ١٣) . فكيف نقول إنه لم تشغله السلبيات ؟!

لقد فعل السيد المسيح ذلك فى الأسبوع الأخير، لكى يغير القيادات حتى لا تبقى كنيسته تحت سلطانها ...

كل ذلك حدث ما بين أحد الشعانين وما قبل الفصح بيومين

(مت٢٦: ٢) قبل الجلجثة بأيام قليلة . وكان تغيير القيادات الدينية لازماً قبل صلبه ...

أما طوال سنوات الخدمة ، فكان إهتمامه كله بالعمل الإيجابى فى رعاية الشعب ، وتكوين القيادات الجديدة التى يسلمها مفاتيح الملكوت. وخلال تلك السنوات لم يكن يحارب أولئك المنحرفين، بل هم الذين كانوا يحاربونه . فيرد عليهم ليشرح لهم الصواب هم والذين يسمعونه ...

وهناك مثل عجيب قدمه لنا السيد المسيح عن الملكوت ، وهو مثل الحنطة والزوان ، وما يحمل من تعليم روحى ...

قال إن " عدواً جاء وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى .." (مت١٣: ٢٥) . فاقترح عبيد السيد أن يقلعوا الزوان من الحقل. فأجابهم " لا . لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه . دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد " (مت١٣: ٢٩). وفى يوم الحصاد يجمع الزوان ويحرق .

نعم يا أخوتى ، ليس عملكم أن تقلعوا الزوان ، لئلا تقلعوا حنطتكم معه ... عملكم هو أن تنموا كحنطة .

وعندما يأتى يوم الحصاد العظيم ، ينظر الرب إلى حقولكم فيجدها مملوءة حنطة . فيجمع منها ثلاثين وستين ومائة ، وتمتلئ

أهرلؤه قمحاً .

هذا هو العمل الإيجابى النافع .. أما إذا شغلتم وقتكم بجمع الزوان وخلعه من الأرض ، فقد تتلفون أعصابكم ، وتضيعون روحياتكم ، وتقعون فى أخطاء لا تعد. كاولئك الذين باسم الإصلاح، استخدموا أسلوب الشتائم والإدانة والتشهير ، ووقعوا فى الغضب والنرفزة ، وفى الحقد والتحطيم، مع الصياح وعلو الصوت، وإعثار الآخرين بما يقولون ...

وإذا بهم فيما يخلعون الزوان ، صاروا هم زواناً ...

لأنه ما هى طبيعة الزوان إلا ما يفعلون ...! أما روحياتهم فضاعت فى غمرة الصراع . وخدمتهم توقفت وأعثرت . ولم يقدموا لا قدوة ولا إصلاحاً .. واختبروا واختبر الناس معهم حكمة ما قاله السيد المسيح :

" لا . لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه " .

إن كان الرب قد قال هذا عن الزوان الحقيقى ، فماذا يقال إذن عن الذين يحسبون الحنطة زواناً، لضعف رؤيتهم ، فيتحمسون لخلع الحنطة ، ويبقى الزوان وحده فى الحقل !! ولا يجد صاحب الحقل شيئاً قد بقى له ليحصده ويضمه إلى مخازنه ...

كونوا إذن حنطة . واحذروا من الإنشغال بجمع الزوان .

إن الشغوفين بخلع الزوان يفقدون سلامهم القلبي ، ويفقدون التواضع والوداعة ، بل يفقدون أيضاً سلامهم مع الناس . وباستمرار تجدهم غاضبين متضايقين ، ينفثون غضبهم فى الكل . ولا يتحدثون إلا عن الأخطاء والنقاط السوداء . ويصورون الحال قاتماً كئيباً ، ويتحولون إلى شرر من النار يحرق كل ما يصادفه فى قسوة وعنف ... وفيما يفكرون فى خطايا الآخرين ، ينسون خطايا أنفسهم !!

أما أنت يا رجل الله ، فانشغل ببناء الملكوت فى وداعة وهدوء ، وفى محبة للكل ، وبتواضع قلب .

عملك الإيجابى كخادم هو أن تبنى . وكما قال القديس بولس الرسول " ليكن كل شئ للبنيان " (١كو١٤: ٢٦) . واعرف أن الذى يبنى، دائماً يصعد إلى فوق . أما الذى يهدم ، فهو دائماً ينزل أو يهبط إلى أسفل ...

واحذر وأنت تخلع الزوان من الأرض، أن تقلع الحنطة التى فيك ، والتى فى سامعيك ...

ازرع الحنطة فى كل مكان ، واحسن انتقاء ما تلقيه من بذار ، ازرع الحب فى كل قلب ، وقل كلمة عزاء ورجاء ، وكلمة منفعة . حتى الأشرار ، حاول أن تكسبهم بالحب . وليس معنى هذا أن

تخضع للباطل أو تجامله ، فتنتقل من الضد إلى الضد .

ولا تبدد طاقاتك فى السلبيات ، فإن الشيطان مستعد أن يقدم لك سلبيات فى كل يوم، ليشغلك بها !!

هو مستعد أن يقدم لك شائعات وأخباراً فى كل يوم، ومشاكل وصراعات ومضايقات . ويكشف لك اسراراً وأفكاراً، إن أعطيتها مكاناً فى ذهنك تتعب أعصابك ونفسيتك .. قل لنفسك : ما شأنى بكل هذا؟! أنا وقتى مكرس لخدمتى . لا يجوز لى أن آخذ وقت الله، لكى أقدمه لمناقشة السلبيات ...

أحب أن أضرب لك مثلاً بما حدث فى تاريخنا الحديث من أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين .

كانت هناك نقائص شديدة فى الخدمة ، بل لم يكن هناك وعاظ فى الكنائس ولا كهنة متعلمون . ولذلك بدأت الطوائف تتأسس وتنمو على حساب الكنيسة . وكثرت لذلك الإنشقاقات والصراعات الداخلية .

البعض استخدم أسلوب الشتائم والإنتقادات والتجريح. والبعض دخل مع الكنيسة فى صراع وصل إلى المحاكم وانفقت أموال طائلة فى القضايا ... والبعض ظل يبكى على سوء ذلك الحال ...

وكل ذلك لم يجد نفعاً . لا انتفعت الكنيسة بالإنتقادات والتجريح،

ولا بالإنقسام والقضايا ، ولا بالبكاء ... فكيف تم الإصلاح إذن ؟

تم الإصلاح عن طريق العمل الإيجابى الذى آمن به حبيب جرجس قائد الخدمة فى القرن العشرين ...

لم ينشغل بكل أخطاء زمانه . وإنما بدأ يعمل : حفر أساساً ووضع فيه حجرين هما الإكليريكية ومدارس الأحد . وظل يبنى . وأخذ البناء يرتفع . وتكوّن عدد كبير من الخدام يعملون فى الوعظ والتعليم ، فى الكنائس وفى الجمعيات وفى مدارس الأحد وفى القرى . وهو يرتل فى قلبه للرب قائلاً " وأما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف وربوات ربوات يصنعون مشيئتك " .

إنه لم ينتقد النقص ، إنما عمل على تزويد الكنيسة بالإحتياجات التى تنقصها ...

وجد الكنيسة ينقصها الوعظ ، حتى أن كثيراً من الآباء الكهنة كانوا يقرأون من كتب الوعظ وليست لهم قدرة على الوعظ ولا كفاءة، فلم ينتقد ذلك ولم يملأ الدنيا بكاء على الكنيسة ، وإنما بدأ في إعداد الوعاظ والخدام. واستطاع أن يجعل طلبة الإكليريكية ينشئون جمعيات للوعظ أمكنها أن تؤسس ٨٤ فرعاً فى القاهرة والجيزة وضواحيها .

وجد أن الأطفال والشبان لا يجدون من يعلمهم ، فلم ينتقد

الكنيسة على ذلك ولم يجرحها . وإنما أنشأ مدارس الأحد التى انتشرت فى كل مكان . وبدأ يؤلف الكتب لتدريسها فى المدارس العامة ، وفى مدارس التربية الكنسية .

ولما وجد الترانيم البروتستانتية بدأت تزحف وتجد مكانها فى بعض الإجتماعات ، أخذ ينظم تراتيل على ألحان الكنيسة . وهكذا خدم فى كل مجال .

والآن نسى الناس كل السلبيات التى كانت موجودة . وثبت فى ذاكرتهم العمل الإيجابى البناء الذى قام به حبيب جرجس ، وقدّم به درساً .

وهنا أذكر عبارة وردت فى قصة الخليقة :

قيل " كانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة " (تك١: ٢) . فما الذى فعله الرب ؟

لم يقل الكتاب إن الله لعن الظلمة والخراب . إنما قيل " إن روح الله كان يرف على وجه المياه " .

ولم يقل الله : لا تكن ظلمة . إنما " قال الله فليكن نور ، فكان نور " (تك١: ٣) .

ورأى الله النور أنه حسن . وفصل الله بين النور والظلمة " (تك١: ٤) .

والله يدعونا أن نكون نوراً . بل قال " أنتم نور العالم " (مت٥: ١٤) . وإن صرنا نوراً ، سوف ينقشع الظلام من تلقاء ذاته ، دون أن نلعن الظلام .

العمل البناء هو العمل الباقى لنا ولغيرنا . والعمل الإيجابى كله ربح ، لا خسارة فيه لنا ولا لغيرنا ...

أقول هذا لكم ، لأنى رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً ينظرون بعيون لا ترى إلا السواد . وأما النقاط البيضاء فلا يرونها ، ولا يتحدثون عنها . هم يبحثون عن الظلام ، لكى يركزوا عليه وينتقدونه .

وفى كل ذلك يفقدون بشاشتهم ووداعتهم وسلامهم الداخلى . وحديثهم عن الظلام يجعل سامعيهم يفقدون سلامهم أيضاً ، ويفقدون فرحهم ، ولا يرون الأرض إلا خربة وخالية . وعيون هؤلاء الناقدين لا ترى روح الله يرف على وجه المياه ، ولا تسمع صوت الله يقول ": ليكن نور " فكان نور ... حقاً ، ما أجمل قول الكتاب :

"ما أجمل قدمىّ المبشر بالخير، المخبر بالخلاص" (أش٥٢: ٧) (نا ١: ١٥) .

لقد بدأ العهد الجديد بملائكة يبشرون بالخلاص ويحملون بشارة مفرحة ، يقول فيها الملاك " أبشركم بفرح عظيم يكون لكم ولجميع

الشعب " (لو٢: ١٠) .

ليتكم إذن فى خدمتكم تحملون للناس خبراً مفرحاً . إن الشعب له من آلامه ما يكفيه ، ويحتاج إلى كلمة عزاء تفرحه وتعطيه رجاء . افتحوا له إذن طاقات من نور . وإن لم تجدوا نوراً على الإطلاق، حاشا ... فكونوا أنتم نوراً له . كونوا أصحاب العمل الإيجابى البناء. وقدموا للشعب بعملكم وخدمتكم ما يفرحه .

كونوا كالحمامة التى حملت لنوح ورقة زيتون خضراء . فعلم أن المياه قد قلت عن الأرض (تك٨: ١١) .

العمل الفردى

لعله من أروع الأمثلة على أهمية العمل الفردى فى الخدمة :

أن الله نفسه - على الرغم من رعايته للعالم كله - اهتم بالعمل الفردى .

فى العهد القديم :

الله يرسل ملاكه إلى الجب الذى أُلقى فيه دانيال ، لكى يسدّ أفواه الأسود فلا تؤذيه (دا٦: ٢٢) . وكذلك يسير مع الثلاثة فتية فى أتون النار ، فلا تكون للنار قوة لإحراقهم (دا٣: ٢٥- ٣١) .

ويفتقد إيليا ، وهو خائف ، وهارب من الملكة إيزابيل ، ويسأل عنه قائلاً له بصوت منخفض خفيف " مالك ههنا يا إيليا ؟" (١مل١٩: ١٢، ١٣) . وكذلك يظهر ليعقوب وهو خائف وهارب من وجه أخيه عيسو، لكيما يعزى قلبه بكلمات المحبة والمعونة قائلاً له : "ها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك٢٨: ١٥) .

وبنفس العمل الفردى قام الرب بعملية إنقاذ ، لكى ينجى سارة

من الملك أبيمالك ، وظهر له فى حلم ، وحذره وأنذره ، وقال له "وأنا أيضاً أمسكتك عن أن تخطئ إلىّ ، لذلك لم أدعك تمسها " (تك٢٠: ٣– ٦) .

وكما كان للرب عمل فردى مع كلٍ من هؤلاء لإنقاذه ، أو منحه السلام ، أو لإنقاذ الغير منه ، كذلك كان للرب عمل فردى فى دعوة البعض إلى خدمته .

فهكذا دعا الله أبانا إبرام أبا الآباء والأنبياء ، ليذهب إلى الجبل الذى يريه إياه ، وباركه وجعله بركة ، وقال له أيضاً " وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض " (تك١٢: ١– ٣) .

ودعا الرب موسى من وسط العليقة المشتعلة بالنار ، ولما اعتذر عن ذلك بأنه ثقيل الفم واللسان وليس صاحب كلام ، منحه أخاه هرون لكى يكون له فماً . وقال له " تكلمه وتضع الكلمات فى فمه . وأنا أكون مع فمك ومع فمه . وأعلمكما ماذا تصنعان " (خر٣: ٤) (خر٤: ١٠– ١٦) .

ودعا الرب أرميا أيضاً " ولما اعتذر بأنه صغير السن ، قال له " هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود حديد ، وأسوار نحاس على كل الأرض ... فيحاربونك ولا يقدرون عليك ، لأنى أنا معك – يقول الرب لأنقذك " (أر١: ٦– ١٩) .

ودعا الرب سائر الأنبياء ، وكان معهم . وكان لـه عمل فردى مع كل منهم .

وفي قصة يونان النبى ، كان للرب عمل فردى معه ، ومع أهل السفينة . وعمل فردى آخر مع مدينة نينوى .

وهكذا فى تلك القصة ، كان العمل الفردى مع يونان هو قيادته إلى الطاعة وإنقاذه من جوف الحوت ، وإقناعه وتخليصه من فمه .

وكان عملـه مـع أهل السفينة ، لقيادتهم إلـى الإيمـان ، وتقديم ذبيحة له ...

وعملـه مـع أهل نينـوى هـو لقيـادتهم إلـى التوبـة والإنسـحاق ، والإيمان به أيضاً ، باعتبارهم من الأمم ... وهنـا نلاحـظ ملاحظـة هامة وهى :

عمل الله مع مدينة نينوى يعتبر عملاً فردياً ، إذا قيست بكل ما فى العالم من مدن .

ونفس الوضع يعتبر عمل اللـه مـع شعب إسرائيل فـى العهد القديم: من جهـة قيادتـه لهـذا الشـعب ، وإرسـال الأنبيـاء والشـريعة والعهود له ، وكذلك ما أجراه معه من الآيات ، وما أوقعه عليه من العقوبات ... إنه مجرد شعب واحد ، إذا قيس بالشعوب العديدة فـى العالم كله . لاشك أن عمل الله معه ، يعتبر بوجـه المقارنـة عمـلاً

فردياً .

والأمثلة عن العمل الفردى في العهد القديم عديدة جداً ، من الصعب إيرادها الآن . ننتقل إلى نقطة أخرى وهى :

العمل الفردى للسيد المسيح :

كانت للسيد المسيح رسالة وسط الجموع والآلاف العديدة من الناس ، مثلما حدث في معجزة الخمس خبزات والسمكتين ، حيث كان الرجال فقط خمسة آلاف غير النساء والأطفال (مت١٤: ٢١)، وقد قيل في أكثر من موضع أن الجموع كانت تزحمه (لو٨: ٤٢، ٤٥) (مر٥: ٢٤: ٣١) . وحدث مثل ذلك أيضاً في قصة شفاء المفلوج الذى حمله أربعة (مر٢: ٢- ٤) .

وعلى الرغم من كل ذلك ، كان للسيد المسيح عمل فردى .

إذ لم يشأ أن يضيع الفرد في زحمة الجموع . ومثالنا عمله مع زكا العشار .

كان الجمع يزحم السيد المسيح . ولم يقدر زكا أن يراه بسبب الجمع، فصعد إلى جميزة . ووسط كل تلك الجموع والزحام، وقف السيد ونادى زكا باسمه ، ودخل بيته " وحصل خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضاً ابن إبراهيم " (لو١٩: ٩) . وتاب زكا ، واعترف

بأخطائه ، ورد ما قد ظلم فيه الغير أربعة أضعاف .

كذلك كان للسيد المسيح عمل فردى مع نيقوديموس .

قابله نيقوديموس ليلاً ، وحدثه المسيح عن الميلاد من الماء والروح وعن إبن الإنسان الذى هو فى السماء، وعن الخلاص (يو٣: ١ - ٢١) . وأثمر هذا اللقاء فآمن نيقوديموس ، بل إنه اشترك مع يوسف الرامى فى تكفين جسد المسيح (يو٢٠: ٣٨ - ٤٠) . ويذكر التاريخ إنه فيما بعد صار أسقفاً ...

وكان للسيد أيضاً عمل فردى مع المرأة السامرية .

قابلها عند البئر ، وتحدث معها عن الماء الحى، وعن السجود لله بالروح والحق ، وقادها إلى الإعتراف والتوبة وإلى الإيمان به . وقد تعجب التلاميذ من أنه كان يتكلم مع إمرأة (يو٤: ٢٧) . ولكن حديثه معها كان له ثمرة ، ليس فقط فى حياتها الخاصة فى إيمانها وتوبتها ، بل أكثر من هذا إنها ذهبت لتبشر أهل السامرة ، بأن هذا هو المسيح (يو٤: ٢٨- ٣٠) .

والإصحاح ١٥ من إنجيل لوقا ، كله عن أعمال فردية لأجل التوبة .

سواء عن الخروف الضال ، الذى ذهب الراعى الصالح ليبحث عنه تاركاً التسعة والتسعين ، حتى وجده وحمله على منكبيه فرحاً،

أو البحث عن الدرهم المفقود ، أو الفرح برجوع الإبن الضال وإقامة وليمة له ، أو العمل الفردى لإقناع أخيه الكبير الذى كان ساخطاً على الفرح برجوعه .

ومن الأعمال الفردية أيضاً التى لها دلالتها :

عمل السيد المسيح مع مرثا ، حيث قال لها " أنتِ تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ، ولكن الحاجة إلى واحد " (لو١٠: ٤١، ٤٢) .

وكذلك عمله مع المولود أعمى ، بعد شفائه له ، وقد طرده اليهود خارج المجمع . فظهر له الرب ، ودعاه إلى الإيمان به ، وأعلن له أنه إبن الله : فقال الرجل " أؤمن يا سيد ، وسجد له " (يو٩: ٣٥- ٣٨) .

كذلك حديثه مع نثانائيل ، لما قال له " قبل أن دعاك فيلبس ، وأنت تحت التينة - رأيتك . فآمن نثانائيل وقال له "يا معلم ، أنت إبن الله" (يو٢: ٤٧- ٥١) .

وما أكثر الأعمال الفردية التى قام بها السيد المسيح ، سواء مع تلاميذه الإثنى عشر ، أو مع بطرس ويعقوب ويوحنا، أو حتى فى قصة التجلى مع موسى وإيليا (مر٩: ٢- ٨). ومع أفراد كثيرين آخرين .

ولا ننسى الأعمال الفردية التى قام بها السيد المسيح بعد القيامة :

حيث ظهر لتلميذى عمواس " وابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب " (لو ٢٤: ٢٧). كذلك ظهوره لتوما، وكيف نجاه من شكه ، وأعطاه الفرصة أن يلمس جراحه ، وقال له " لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً" (يو ٢٠: ٢٦– ٢٩) . وبنفس الوضع ظهر لمريم المجدلية ، التى ثلاث مرات تقول " أخذوا سيدى ولست أدرى أين وضعوه " (يو ٢٠: ٢، ١٣، ١٥) . فبكلامه معها آمنت بقيامته ، بل أرسلها لتبشر التلاميذ، مع مريم الأخرى (مت٢٨) .

وظهر الرب بعد القيامة للتلاميذ ، وأقنعهم بأنه ليس مجرد روح أو شبح ، فالروح ليس له لحم وعظام ، وأراهم يديه ورجليه ، وأكل قدامهم (لو ٢٤: ٣٦ – ٤٣) . بل ظهر لهم أيضاً ومنحهم سرّ الكهنوت . نفخ فى وجوههم ، وقال لهم : اقبلوا الروح القدس . من غفرتم له خطاياه غفرت له ، ومن أمسكتموها عليه أمسكت " (يو ٢٠: ٢٢، ٢٣) .

بل عمل أيضاً عملاً فردياً مع بطرس ، الذى كان حزيناً جداً على إنكاره للمسيح قبل صلبه . فعزاه وقال له " ارعَ غنمى ... ارعَ خرافى " (يو ٢١: ١٥– ١٧) .

ومن أعظم الأعمال الفردية التى عملها الرب بعد صعوده :

دعوته لشاول الطرسوسى :

ظهر له فى طريق دمشق ، وعاتبه قائلاً " شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟! (أع٩: ٤) . وقاده إلى الإيمان ، وأرسله إلى حنانيا فعمده (أع٢٢: ١٦) . واختاره رسولاً للأمم (أع٩: ١٥- ١٨) . وظهر له مرة أخرى فى رؤيا الليل وهو فى كورنثوس وقال له "لا تخف، بل تكلم ولا تسكت. لأنى أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك . لأن لى شعباً كثيراً فى هذه المدينة " (أع١٨: ٩، ١٠) . كما أرسله مرة وقال له " اذهب فإنى مرسلك بعيداً إلى الأمم " (أع٢٢: ٢١) .

كذلك ظهر له مرة أخرى وقال له " ثق يا بولس ، لأنك كما شهدت بما لي فى أورشليم، هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً " (أع٢٣: ١١) . وأطاع القديس بولس ، وذهب إلى رومية ليؤسس كنيستها " وأقام سنتين كاملتين في بيت أستأجره لنفسه . وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه، كارزاً بملكوت الله ، ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح ، بكل مجاهرة بلا مانع " (أع٢٨: ٣٠، ٣١) .

ولعل من اعظم الأعمال الفردية التى قام بها السيد المسيح :

عمله مع اللص اليمين

كيف كان تأثيره على ذلك اللص المصلوب معه ، حتى آمن وقال له " اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك " فأجابه الرب "الحق أقول لك اليوم تكون معى فى الفردوس " (لو٢٣: ٤٢، ٤٣). وأدخله معه فعلاً إلى الفردوس .

أعمال فردية للرسل :

إن الرسل كرزوا فى جميع الأمم وتلمذوهم وعمدوهم (مت٢٨: ٩)، بل كرزوا بالإنجيل للخليقة كلها (مر١٦: ١٥). ومع ذلك كانت لهم أعمال فردية :

مثال ذلك عمل بولس وسيلا مع سجان فيلبى ، فى دعوته إلى الإيمان " حيث كلماه وجميع من في بيته بكلمة الرب ... واعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون " (أع١٦: ٣١- ٣٣) . كذلك عمل بولس مع ديونسيوس الأريوباغى (أع١٧: ٣٤) الذى صار فيما بعد أسقفاً لأثينا ... كذلك عمله مع تلاميذ كثيرين صاروا من أعوانه فى الخدمة فيما بعد ...

ومن الأمثلة الجميلة فى العمل الفردى :

عمل فيلبس مع الخصى الحبشى

رأى ذلك الرجل فى مركبته يقرأ سفر أشعياء ، فسأله " أتفهم ما تقرأ ثم بدأ يشرح له ، وبشره باسم يسوع . وانتهى ذلك اللقاء العابر ، بأن اقبلا على ماء ، فعمده ، وذهب ذلك الخصى فى طريقه فرحاً (أع٨: ٢٧- ٣٩).

كذلك العمل الفردى الذى قام به بولس الرسول نحو ليديا بائعة الإرجوان التى تأثرت بكلامه وآمنت واعتمدت . وأستجاب بولس الرسول لطلبتها ، فدخل بيتها (أع١٦: ١٥) . وقيل إن بيتها صار كنيسة للرب في ثياترا .

ومن الأمثلة التاريخية للعمل الفردى ، عمل مارمرقس مع أنيانوس .

وكيف أنه انتهز كلمة عن الله التى لفظها ، فبشره وعمده ، وصار أول من آمن على يديه فى الأسكندرية ، وصار بيته كنيسة. بل أصبح أسقفاً ، وأول خليفة لمارمرقس .

العمل الفردى (٢)

الآباء الرسل كان لهم عمل فردى ، حتى فى رسائلهم :

مثال ذلك رسالة القديس بولس مع فليمون . فقد كان فيها عمل فردى مع فليمون ، وعمل آخر مع عبده أنسيموس الذى صيره القديس بولس أخاً وخادماً نافعاً له فى الخدمة ، وتعهد بأن يوفى عنه ديونة .. (فل ١٦ - ١٨) .

كذلك رسالته أيضاً إلى تيموثاوس . بالإضافة إلى ما ورد فيها عن حياته وسلوكياته ، بل عن صحته الجسدية أيضاً ، إذ يقول له "لا تكن بعد شريب ماء، بل خذ قليلاً من الخمر لأجل معدتك وأسقامك الكثيرة " (١تى٥: ٢٣) .

والأمثلة كثيرة عن العمل الفردى فى رسائل الآباء الرسل .

ميزات العمل الفردى :

العمل الفردى يتميز عن العمل الجماعى بعدة أمور ، نذكر منها :

١ - فيه نوع من التركيز والتخصيص والفائدة المباشرة :

ففى العظـة التى تلقى فـى الكنيسـة أو فـى أى إجتمـاع ، يتكلم الخادم كلاماً عامـاً لجميـع النـاس . ولكنـه فـى العمل الفـردى يكلـم إنساناً بالذات يمس الحياة الخاصة لهـذا الإنسـان ، والظـروف التـى يمر بها . إنها خدمة مركزة ، ونتيجتها واضحة .

فما معنى عبارة " نتيجتها واضحة " ؟ .

أى أنه فى العظـة العامـة ، لا يعـرف الواعـظ مـاذا كـان تـأثير كلامه ، وهل أتـى بنتيجـة أم لا . أمـا فـى العمـل الفـردى ، فيرى النتيجـة أمامـه . إنـه يكلـم شخصـاً يـرى أمامـه مـدى اسـتجابته أو رفضـه، ومـدى تفاعلـه مـع الكـلام الــذى يسـمعه ، وإن كـان لــه إعتراض يبديه ...

٢ – العمل الفردى يتميز أيضاً بمكافأة خاصة ، لأنه عمل فى الخفاء .

العظـات العامـة ، والفصــول الكبـيرة فــى التربيـة الكنسـية ، والخدمة فى القـرى ، لهـا وضـوح وهـى ظـاهرة أمـام الكـل . وقد يوضـع جدول لها يبين إسم الخـادم وخدمتـه وموعدهـا . أمـا العمـل الفردى ، فهو فى الخفاء ، لا يحس به أحد ، ولا ينـال إعجابـاً مـن جمهور . ولكن كما قال السيد الرب " ابوك الذى يرى فى الخفاء ، هو يجازيك علانية " (مت ٦: ٤، ٦) .

٣ – كذلك العمل الفردى ، يحمل أيضاً تواضعاً فى الخدمة .

هناك أشخاص لا يخدمون إلا على مستوى معين !! إما فى إجتماع كبير، أو كنيسة كبيرة ، أو مكان له شهرته ... وإلا فإنهم يعتذرون عن الخدمة ..! أما العمل الفردى فإن فيه إتضاعاً ، لأن الخادم يكلم فيه شخصاً واحداً ، فى بعد عن الشهرة ، فهى خدمة تعطى ، وفيما يبدو لا تأخذ شيئاً ...

٤ – العمل الفردى يتميز بحب أكثر ، وبإهتمام أكثر .

فيه عنصر المبادرة وعنصر الإهتمام . ففى العظات العامة يذهب الناس إلى الكنيسة . أما فى العمل الفردى ، فالخادم هو الذى يذهب إلى المخدومين ، وليسوا هم الذين يأتون إليه . وحتى إن أتى بعضهم ، فإنه يجد إهتماماً خاصاً .

العمل الفردى هو حب للناس . هو إدراك لقيمة النفس الواحدة.

هو إدراك عملى لقيمة النفس التى مات المسيح لأجلها . وكان ثمنها هو دم المسيح . هو إنتشال لهذه النفس من النار ، كما قال الرسول " وخلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار " (يه٢٣). وكما قال ملاك الرب عن يهوشع وهو ينقذه من الشيطان الذى يقاومه " أفليس هذا شعلة منتشلة من النار " (زك٣: ٢) . وما

أعمق قول معلمنا يعقوب الرسول " من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا " (يع٥: ٢٠) .

٥ - وربما عمل فردى تكون له خطورته ، ويتحول إلى عمل عام كبير .

مثل عمل السيد المسيح مع شاول الطرسوسي ، فى عتابه له وهدايته ، وفى دعوته أيضاً . وكيف أنه بهذا العمل الفردى ، تحول شاول إلى طاقة جبارة فى العمل الكرازى ، وتعب فى الخدمة أكثر من جميع الرسل (اكو١٥: ١٠) .

فما أدراك . ربما هذا الفرد الذى تخدمه يصير شيئاً كبيراً فيما بعد ...

٦ - أيضاً فى العمل الفردى ، تأخذ خبرة روحية عميقة .

خبرة لا تستطيع أن تحصل عليها فى العمل العام . فأنت تعرف خلالها طبيعة النفس البشرية وحروبها ، وما تقف أمامها من عوائق عملية فى طريق الفضيلة . وترى الفارق بين التعليم النظرى الذى يقال للجماعات، وبين شخص تكلمه فيرد عليك ، وتأخذ وتعطى معه فى الحديث . وتشرح له الفضيلة ، فيشرح لك العقبات العملية التى تقف أمام التطبيق ...

٧ – لذلك فالعمل الفردى يتميز بالناحية العملية أكثر من العمل الجماعى .

والإنسان الذى له خبرة سابقة أو حالية فى العمل الفردى ، يستطيع فى عمله الجماعى أو فى العظات العامة أن يكون أكثر فعالية ، وأن يمس كلامه مشاعر الناس ، ويكون عملياً فى تعليمه يتحدث عن الواقع الذى يعيشه السامعون ، ولا يقول كلاماً نظرياً .

وفى خدمة الكهنوت ، يوجد العمل الفردى والعمل الجماعى ، كلاهما معاً :

العمل الجماعى فى الصلاة العامة ، وفى العظات العامة والخدمات العامة . أما العمل الفردى ففى الإعترافات ، وفى حل مشاكل الناس ، وفى الزيارات والإفتقاد . إنه يتعامل مع الكل ، ومع كل فرد على حدة .

ومن الجائز أن العمل الفردى لا يكون مع فرد واحد . من الجائز أن يكون مع إثنين معاً ، يصلحهما أو يدبر حياتهما المشتركة ، أو يوفق خدمتهما . أو يكون العمل الفردى مع أسرة كاملة ، ولكن لها طابعها الفردى بالنسبة إلى باقى الأسرات . أو مع مجموعة من الناس ، مع مجلس جمعية مثلاً ...

مجالات العمل الفردى :

من الممكن أن يوجد عمل فردى فى مجال الأسرة .

مثلما يقول الكتاب " أما أنا وبيتى فنعبد الرب" (يش٢٤: ١٥)... ومثلما قال الرب عن وصاياه " قصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك " (تث٦: ٧) . فهل أنت لك خدمة روحية وسط أفراد أسرتك ؟ أم علاقتك بهم مجرد علاقة إجتماعية عائلية ! أم علاقة إحتكاكات أحياناً !! هل افتكرت أن توصل أخاك الصغير إلى الله؟ أو أن تقود أحد أقربائك إلى حياة التوبة ، أو تعلمه العقيدة السليمة ؟ إنه عمل فردى .

يمكن أن يكون العمل الفردى فى مجال الجيران أو المعارف .

إن كنت شخصاً روحياً ، ولك جيران أو أصدقاء ، فهل استفادوا من روحياتك؟ هل تمر حياتك الروحية مروراً عابراً على الآخرين، دون أن تترك فيهم أثراً ، ويكون وجودك وسطهم بلا ثمر ؟! هل كل أحاديثك معهم خالية من الله ؟ أم تراك تتحاشى ذلك أو تخجل منه ، لئلا يتهموك بأنك متدين ؟!

ونفس الكلام يقال عن زملائك فى العمل أو فى الدراسة .

وأيضاً عن زملائك فى النادى ، أو فى أى نشاط اجتماعى . ما هى خدمتك الفردية وسط كل هؤلاء ؟ هل استطعت أن تجذب أحداً

إلى طريق الله ، أو حتى أن تدعوه إلى اجتماع فى الكنيسة ؟

يعجبنى فيلبس ، أنه وهو سائر فى الطريق ، كان له عمل عميق مع الخصى الحبشى .

قدّم له الإيمان وعمده، وذهب فى طريقه فرحاً (أع٨: ٣٨، ٣٩) .

وأنت كم من الناس قد قابلتهم فى طريق الحياة ، دفعهم الله إلى طريقك . فهل قدّمت لأحد منهم كلمة روحية ، أو أية كلمة منفعة ، أو دفعة إلى قدام ...

ما أعجب خدام الرب الحقيقيين . إنهم مميزون بشهادتهم للرب (أع١: ٨) . أشخاص كثيرون يتقابلون معك . واحد منهم يقدم لك علمه ومعرفته ، وآخر يقدم لك ذكاءه، وثالث يقدم ظرفه ولطفه ، ورابع يقدم خدمة . أما هذا النوع المميز ، فيقدم لك المسيح ، بلباقة ولطف فتشعر باشتراك المسيح معكما ...

المسيح، بلباقة ولطف فتشعر باشتراك المسيح معكما ...

قد يكون ذلك فى أية مناسبة ، فى زيارة ، فى مرض، فى تعزية ، فى معايدة ...

فى لقاء عادى ، يحوله هو إلى لقاء روحى ، بأسلوب هادئ طبيعى ...

وهنا أتذكر أعماقاً مذهلة فى لقاءات القديسين . لعل فى مقدمتها لقاء مريم العذراء مع إليصابات . أكان لمجرد خدمة تلك العجوز فى الشهور الأخيرة من حملها ؟ أم إننا نقف أمام هذه العبارة الجميلة " فلما سمعت أليصابات سلام مريم .. إمتلأت أليصابات من الروح القدس " (لو١: ٤١) ... وكان لقاء نبوءة وكشف إلهى ، وتسبيح وكلام روحى .

ماذا أيضاً عن اللقاء بين القديس الأنبا أنطونيوس، والقديس الأنبا بولا... وماذا عن اللقاءات بين القديسين التى كانوا يتكلمون فيها بعظائم الله، وإسمه على ألسنتهم . وكما تقول التسبحة " اسمك حلو ومبارك فى أفواه قديسيك " .

ولعلك تقول : من يسمع ؟ ومن يقبل ؟ ومن يفهم ؟

كلا يا أخى . تكلّم أنت ، وأترك النتيجة إلى عمل الله فى القلوب . المهم أن تنطق بكلمة الله فى حكمة . وثق أن كلمة الله لن ترجع فارغة . بل كما قال السيد الرب " هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى، لا ترجع إلىّ فارغة، بل تعمل ما سررت به، وتنجح فيما أرسلتها له " (أش٥٥: ١١) . إذن احرص فيما تخدم، أن يكون الله متكلماً على فمك. أما عن النتيجة، فاذكر قول الكتاب:

" إرم خبزك على وجه المياه ، فإنك تجده بعد أيام كثيرة "

(جا١١: ١) .

هناك نفوس تحتاج إلى مدى زمني ، حتى تقبل كلمة الله، وحتى يمكن أن تأتى الكلمة فيها بثمر... والأمر يحتاج إلى صبر ومثابرة .

إن كل نفس تعمل معها عملاً فردياً ، لها ظروفها الخاصة ، وعقليتها الخاصة ، ولها ماضيها وحاضرها، وبيئتها وضغوطها، ولها مشاعرها وأحاسيسها ومفاهيمها . وليست كل نفس تنفعها نفس الكلمة .

لذلك فإن العمل الفردى يحتاج إلى حكمة ، تتخير الكلام المناسب، والأسلوب المناسب ، ونوع المعاملة .

إن كنت بصدد مشكلة معينة معروفة ، يمكن أن تطرقها بطريقة مقبولة . أما إن كنت بصدد هداية عامة ، فربما لا يصلح الأسلوب المباشر الذى تفرض به العمل الروحي فرضاً ، بطريقة غالباً لا تقبلها ولا تستسيغها النفوس التى لم تتعودها . إنما يترقب الشخص المناسبة التى يقول فيها الكلمة الروحية بحيث تبدو طبيعية جداً غير مصطنعة ...

لاحظ نفسك والتعليم..

(١تي ٤ : ١٦)

لاحظ نفسك والتعليم
(١تى٤: ١٦)

من قالها ؟ ولمن ؟

من قال هذه العبارة " لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك . فإنك إن فعلت هذا، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " (١تى٤: ١٦) .

القديس بولس الكارز العظيم ، الذى اختبر الخدمة فى عمقها ، واختبر الحياة الروحية فى عمقها ، الذى فى الخدمة تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) وفى الروحيات صعد إلى السماء الثالثة ، إلى الفردوس (٢كو١٢: ٢، ٤) .. بولس هذا يكتب إلى تلميذه تيموثاوس أسقف أفسس ، الذى سكن فيه الإيمان العديم الرياء ، وفى أسرته، أمه وجدته من قبل، وهو منذ الطفولة يعرف الكتب المقدسة (٢تى ٣: ١٥) .. يكتب إليه فيقول له " لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك . لأنك إن فعلت ذلك تخلص نفسك والذين

يسمعونك أيضاً " (اتى ٤: ١٦) .

ومع أنه فى الأسقفية محاط بأعباء ومسئوليات ضخمة ، وبخاصة فى بلد كأفسس ، ليست الخدمة فيها سهلة إذ قال القديس بولس نفسه " حاربت وحوشاً ، فى أفسس " (١كو١٥: ٣٢) . ولكن على الرغم من كل مسئوليات الخدمة الملحة ، يقول له معلمه "لاحظ نفسك ".

ويقول " لاحظ نفسك " أولاً قبل التعليم ، ويرى هذا لازماً لخلاصه ولخلاص أنفس الناس " لأنك إن فعلت ذلك ، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " ..

إنها قاعدة أساسية يقدمها الرسول للجميع ، سواء كانوا خداماً أو أشخاصاً عاديين ، ولكن الخدام يمسهم هذا الأمر بعمق أكثر . فلماذا ؟

لاحظ نفسك . لماذا ؟

لأن هناك خداماً كثيرين ، وصلوا إلى مستوى كبير من شهرتهم وفى نشاطهم وفى سعيهم وراء الآخرين . وصارت لهم أسماء رنانة ... ومع ذلك نسوا أنفسهم وضاعوا .

هم يخدمون من الخارج فقط ... ولكن داخلهم مفقود !!

بعض هؤلاء الخدام كانوا يهتمون بأنفسهم قبل أن يصيروا خداماً . فلما بدأوا الخدمة زحف الفتور إلى قلوبهم . لأنهم ظنوا أن مهمتهم صارت الإهتمام بالآخرين وليس بأنفسهم هم والبعض منهم أصبحوا فى مستوى أقل بكثير من مستوى أولادهم وتلاميذهم . وهؤلاء يقول الرسول لكل منهم : " لاحظ نفسك والتعليم " .. ولماذا؟

" لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟" (مت١٦: ٢٦) .

ماذا يستفيد هؤلاء الخدام الذين يميتون أنفسهم فى الخدمة ، وإذ يهملون أنفسهم يخسرون الملكوت ؟ ويظن الواحد منهم وهو فى الخدمة ، أنه قد أخذ راحيل ، ثم ينظر فإذا هى ليئة ...

خدام كثيرون وجدوا أنهم فى الخدمة قد دخلت إلى حياتهم مشاكل وصراعات وإدانات ما كانوا يعانون منها من قبل .

حقاً إن الخدمة ليست فى جوهرها سبباً لكل هذه المشاكل والصراعات ولكن الذى لا يلاحظ نفسه ، قد يصل إلى هذا الوضع أو إلى ما يشبه . ويجد أنه فى الخدمة قد كثرت أخطاؤه ، ونبتت خطايا جديدة لم يكن يشكو منها ، أو كانت خافية ثم ظهرت .

وربما يبدو أن الخدمة قد أصعدته إلى فوق ، بينما هو فى حقيقة

الأمر قد هبط إلى أسفل ، سواء شعر بذلك أو لم يشعر !!

كلما يكبر فى الخدمة تزيد مشغولياته وقد تزيد أيضاً أخطاؤه وكلما تزداد مسئولياته تمتص وقته كله ، وبالتالى يهمل نفسه ولا يعطيها الغذاء الروحي اللازم لها . وهكذا ينزلق إلى تحت . وإن نصحته بترك الخدمة لكيما يلتفت إلى نفسه ، يحزنه ذلك جداً ، لأن الخدمة صارت بالنسبة له كل شئ فى حياته ، لا يمكنه أن يحيا فى المجتمع بدونها وليت مثل هذا الخادم يدرك حقيقة هامة وهى :

الذى يوصل إلى الله ، ليس الخدمة بل القلب النقى ...

والخدمة الحقيقية ليست هى الخدمة التى تقل فيها روحيات الإنسان ، وتظل تقل حتى تنتهى ، لأن الإنسان عاش فيها بعيداً عن نفسه . كل همه خارجها ينسى عبارة " ملكوت الله داخلكم " (لو١٧: ٢١) . ويحسب أن الملكوت هو خارج نفسه ، وسط الناس..!

فى عمق أعماق الخدمة ، كان القديس بولس الرسول يلاحظ نفسه ويهتم بروحياته . ولذلك استطاع أن يقول فى صراحة تامة :

" أقمع جسدى واستعبده ، حتى بعدما كرزت للآخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً " (١كو٩: ٢٧) .

ما أخطر هذه العبارة وما أوجعها أن يصير إنسان مرفوضاً من

الله ، على الرغم من كرازته للآخرين .. يصير كالجسر الذى يوصل من شاطئ إلى شاطئ بينما هو قابع مكانه لا يتحرك ، ولا يصل إلى الشاطئ الآخر .. أو يصير كأجراس الكنائس التى تدعو الناس أن يدخلوا إلى الأقداس دون أن تدخل هى ...

" ليتك تخاف من عبارة " لئلا أصير أنا نفسى مرفوضاً " !

إذن لاحظ نفسك لأن هناك خداماً حياتهم الروحية لها شكل هرمي يرتفع أولاً حتى يصل إلى قمته ، ثم ينحدر إلى أسفل نازلاً من ارتفاعه !..

يصبح وقتهم ليس لهم ، واهتمامهم أيضاً ليس لهم ، وكذلك عاطفتهم .. كل الوقت والإهتمام والعاطفة يتحول إلى ما يسمونه الخدمة ! أما روحياتهم الخاصة ، فلا يجدون لها وقتاً على الإطلاق، ولا توجد رغبة فى قلوبهم للإهتمام بها ..! وربما يظن بعضهم أن هذا لون من بذل الذات لأجل الآخرين !

بذل الذات فضيلة بلاشك . ولكن بذل الروحيات خطيئة وضياع..

ويوحنا المعمدان : عندما قال " ينبغى أن ذاك يزيد وأنى أنا أنقص " (يو٣: ٣٠) . لم يقصد مطلقاً أنه ينقص فى الروحيات أو فى محبة الله ! كلا ، بل ينقص من جهة الكرامة والخدمة

والظهور. أما روحياته فكانت تزيد باختفائه لكى يظهر المسيح مكانه ، ويتولى دفة الكنيسة بنفسه ، يتسلم العروس .. وهكذا كان يوحنا يزيد فيما كان يبدو أنه ينقص ! .. كان يزيد فى إتضاعه وفى محبته لله وفى إيمانه بالمسيح وعمله ..

لاحظ نفسك . فإن وجدت روحياتك تقل فى محيط الخدمة ، اتخذ موقفاً لانقاذ نفسك :

لا تقطع من روحياتك لكي تعطى للخدمة وأيضاً لا تقطع الخدمة وتوقفها من أجل روحياتك .. إنما اقتطع من الوقت الضائع وقدمه لروحياتك ، واقتطع أيضاً من مشغولياتك العالمية أو العلمانية لكى تهتم بروحياتك . قم من غفلتك هذه ، وافهم الخدمة على حقيقتها إنها ليست دوامة تدور فيها نفسك ، دون أن تعرف أين أنت !

أمثلة للضياع فى الخدمة :

تحت هذا العنوان نقدم نوعين : نقدم أمثلة من أشخاص ، وأمثلة من أخطاء .

الإبن الضال الكبير (لو ١٥) كان مثلاً واضحاً حينما رفض أن يشترك فى الفرح برجوع أخيه ، بل احتج على ذلك ، وكلم أباه بروح الإنتقاد والشكوى والتذمر ، قائلاً له " ها أنا أخدمك سنين

هذا عددها، وقط لم تعطنى جدياً لأفرح به مع أصدقائى، وإبنك هذا" وإذا بـه بعد سنين هذا عددها فـى الخدمة ، يصل إلى هـذا المستوى الساقط !

فهو مركز حول ذاته ، وهو ساخط على وضعه ، ويقارن نفسه بأخيه ، ويغضب لأن أخاه في موضع الرضى وقد فرح به كل أهل البيت .. بينما هو ليس فى شركة مع الآب !

وما أكثر الخدام الذين يعيشون فى نفس هذه المشاعر ، على الرغم من طول خدمتهم . لذلك يقول الرسول لكل منهم : لاحظ نفسك ...

فى الخدمة أيضاً سقط سليمان مع أنه كان من قبل ممتلئاً حكمة..

وكان قد بدأ خدمته بروح عجيبة ، وقام بأعمال عظيمة . وتراءى له الله مرتين : فى جبعون وفي أورشليم . ولكنه إذ لم يلاحظ نفسه سقط (١مل١١) . وأبوه داود أيضاً الذى حل عليه روح الرب (١صم١٦) ، وكان رجل صلاة ومزامير ، إذ لم يلاحظ نفسه لما كبر في الخدمة ، سقط أكثر من مرة ، و تاب ...

ديماس كان خادماً كبيراً من أعوان بولس الرسول ، وإذ لم يلاحظ نفسه سقط وانتهى (٢تى٤: ١٠) . ونيقولاوس كان أحد

الشمامسة السبعة المملوئين من الروح القدس وسقط !

هناك أمور عديدة يسقط فيها الخادم الذى لا يلاحظ نفسه ، وفى مقدمتها الكبرياء .

الخادم الروحى يحتفظ بتواضع قلبه ويحب كل حين أن يتعلم ويزداد معرفة . ولكن يحدث أن البعض حينما يكبرون تكبر قلوبهم ، ويفقدون تلمذتهم . ثم يعتزون برأيهم الخاص وبأفكارهم الخاصة . ولا يسترشدون بأحد . وقد يسألون أحياناً أحد المرشدين لمجرد معرفة رأيه ، دون التقيد بالسير حسب هذا الرأى ؟

ثم يتطورون من حب التعلم واستلهام الطريق إلى المناقشة والمجادلة ، ثم إلى المعارضة والتشبث بالرأى ، ثم إلى الإدانة وتحطيم الغير .

وبعضهم قد ينتهى به الأمر إلى التأله ، فيقدم فكره وكأنه عقيدة ولا يقبل مناقشة فيه ولا يحتمل معارضة ويثور على كل من يخالفه فى شئون الخدمة . ويأتى وقت قد يفرض فيه رأيه فرضاً . ويصف كل من يخالف هذا الرأى بالعناد والعصيان .. أليس من الأصلح لمثل هذا الخادم أن يلاحظ نفسه أولاً ليرى أين هو؟ وإلى أين يسير ؟!

وكثير من الخدام كلما كبروا ، يلاحظ أن أعصابهم قد ضعفت ،

واصبحوا يثورون !

تكثر أنتهاراتهم للغير ، ويكثر توبيخهم وغضبهم . ولا يعودون يحتملون أخطاء الغير . وإن نبهوهم إلى هذه الأخطاء ، يكون تنبيههم فى عنف ، وربما بأسلوب جارح وفى غير إحترام لشعورهم ! وتكثر إدانتهم للآخرين . وفى كل ذلك يفقدون وداعتهم ويفقدون إتضاعهم ..

وتضيع صورتهم البشوشة ومعاملتهم الطيبة ...

وبعض هؤلاء يكثر صياحه ويعلو صوته ، ويكثر أمره ونهيه ويملكه روح التسلط .

ومثل هذا يحتاج بلاشك إلى عبارة " لاحظ نفسك " قوانين الكنيسة تشترط فى الأسقف أنه لا يكون غضوباً . وهذا هو تعليم الكتاب أيضاً (تى١ : ٧) . وهذا الوصف أيضاً للقسوس والشمامسة وكل الخدام ...

كيف تلاحظ نفسك :

١ – ضع هذا فى فكرك وقلبك باستمرار أنك تهتم بنفسك وأبديتك . وأن النعيم الأبدى لا يمكن أن تناله إلا بنقاوة القلب وعمق صلتك بالله . وأنك إن خسرت نفسك خسرت كل شئ وإن

ربحتها ربحت كل شئ .

٢ – واعرف أنك إن لاحظت نفسك سوف تلاحظ التعليم أيضاً. بل إن نفسك ذاتها هى التعليم . هى الدرس والقدوة والعظة والنموذج الحى ..

الأم والأب هما أول درس يتلقاه الطفل فى حياته الروحية . والزوجة المتدينة هى درس عملى لزوجها .. تجذبه معها إلى الله والخادم أو المدرس هو الدرس والقدوة بالنسبة إلى أولاده وتلاميذه. يتعلمون من حياته أكثر مما يتعلمون من عظاته ...

٣ – لذلك إن أردت أن تهتم بتلاميذك وتهتم بالتعليم ، ضع أمامك قول الرب :

" من أجلهم أقدس أنا ذاتى ، ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق" (يو ١٧) .

وطبعاً هذه العبارة تؤخذ على الرب بمعنى ، وعلى الخدام بمعنى آخر . المهم أن تتقدس حياتك للرب كلما تكون خدمتك ناجحة ومثمرة . لأنك لا يمكن أن تعطى غيرك من فراغ . وإنما كن كما نقول دائماً فى مجال الخدمة " لا يفيض إلا الذى إمتلأ " . فلكى تفيض على غيرك ينبغى أن تمتلئ أولاً ...

٤ – ولكن لا يكن غرضك من الإمتلاء هو أن تفيض على

غيرك . إنما امتلئ لأن هذا الإمتلاء متعة روحية لك ..

إمتلئ بالحب ، امتلئ بالروح ، امتلئ بالمعرفة ، لأن الحب هو حياتك وفكرك . ومعرفة الله هي أعمق معرفة تغذي الروح وتعطيها متعة روحية ، هنا وفي الأبدية (يو١٧: ٣) . إقرأ من أجل روحياتك ، وليس لكي تحضر درساً ، أو لكي تنفع الآخرين بمعلوماتك !

٥ - وعندما تلاحظ نفسك ، لاحظ أفكارك ومركز الله فيها .

استوقف عقلك بين الحين والحين ، لكي تعرف أين تجول أفكارك . وإن سرحت أعرف في أي موضوع تسرح ولماذا ؟ وماذا تختبئ وراء ذلك من مشاعر . وتذكر أن الأب الكاهن يسأل للشعب في القداس الإلهي ويقول لهم : " أين هي عقولكم ؟ " فيجيبونه قائلين " هي عند الرب " ليت هذه الإجابة تكون صادقة وسليمة في كل وقت . ولتكن لك باستمرار يقظة العقل ...

وإن سرحت بك أفكارك ، اجمعها بسرعة وقل لنفسك أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت " (مز٣) . وليتك تقول في ذلك أيضاً " أنا استيقظ مبكراً " (مز٥٦) .

٦ - وكما تلاحظ افكارك ... لاحظ حياتك كلها وتصرفاتك ... لاحظ تعاملاتك مثلاً مع الناس ... ولاحظ مدى روحانية

تصرفاتك . وفي كل خطوة تخطوها إسأل نفسك – أين أنا الآن ؟ حاسب نفسك جيداً . بدون تبريرات وبدون أعذار ولا تجامل ذاتك في أمر من الأمور واذكر قول القديس مقاريوس الكبير "احكم يا أخي على نفسك قبل أن يحكموا عليك ..

٧ – لاحظ أيضاً اهدافك وكذلك وسائلك :

هل لك أهداف عالمية ؟ هل ذاتك هي أهم أهدافك ؟ أم لك هدف واحد هو الإلتصاق بالله . ومعه لا تريد شيئاً على الأرض ؟ وهل انحرفت بك الأهداف ؟ هل أصبح من أهدافك المال أو الشهرة أو السلطة أو العظمة أو الترف أو مجرد العلم والمعرفة ؟

وما هي الوسائل التي تحقق بها أهدافك ؟ أهي وسائل روحية ؟ أم دخل فيها التحايل والخطأ ؟

٨ – لاحظ مستواك : أهو المستوى الجسداني ؟ أم المستوى الروحي ؟ أم الإجتماعي ؟

قد تكون فضائلك كلها إجتماعية لا دخل للروح أو لمحبة الله فيها . وقد تكون مجرد فضائل جسدانية بلا روح . وربما لا تكون قد وصلت إلى هذا المستوى أو ذاك . فليتك تعرف أين أنت ؟ وتعرف مدى ممارستك لوسائط النعمة .

٩ – لاحظ أيضاً أخطاءك .. لا تجعلها تمر عليك سهلة ... أو

بدون علاج ..

الإنسان الروحى قد يسقط ، ولكنه يدرك سقطته ويندم عليها . وبسرعة يقوم . كما أنه يحتاط للمستقبل حتى لا يتكرر سقوطه . فهل أنت كذلك ؟ أم أنك تسقط وتستمر في سقوطك . وقد تتحول إلى أسوأ . أو قد تتأقلم مع الأخطاء وتصبح عادات لك . أو تدخل فى طباعك فتتطبع بها . وتحاول أن تفلسفها . وتبررها كسلوك سوى ..!

١٠ - لاحظ نفسك أيضاً من جهة النمو الروحى .

الحياة الروحية هى رحلة نحو الكمال .. يتقدم فيها الإنسان باستمرار . حتى يصل إلى الصورة الإلهية التى خلق بها (تك١: ٢٧) . فهل أنت فى كل يوم تمتد إلى قدام ؟ أم وصلت إلى مستوى معين فى الروحيات وتجمدت عنده ؟ أنظر إلى نفسك ؟ هل أنت سائر فى الطريق الروحى ؟ أم أنت واقف ؟ أم أنت راجع إلى الخلف ؟

وهل تنمو من جهة الكمية والنوعية ؟ أم هو نمو شكلى ؟ كمن يزيد عدد صلواته ، ولكن بغير عمق ، بغير روح ، بغير فهم ولا تأمل ، بغير حرارة ولا خشوع ، بغير إيمان بغير إتضاع !!

لاحظ نفسك والتعليم :

والتعليم ليس مجرد رسميات . والخدمة كذلك ليست هي وظيفة. الدين هو حب ينتقل من قلب إلى قلب ، وإيمان يتسلمه جيل من جيل .. والدين هو قدوة تنتقل من حياة إلى حياة ، وهو ملكوت الله ينتشر وينمو . وهو غيرة مقدسة تشتعل في قلب فتشعل بلهيبها قلوباً أخرى ... والخادم الروحي هو إنسان إلتصق بالله " والله محبة " فامتلأ بالحب نحو الله والناس .

هذه هي الخدمة التي ينبغي أن تلاحظها . ومن جهة التعليم فينبغي أن يكون تعليماً سليماً ، كما قال القديس بولس لتلميذه تيطس " تكلم بما يليق بالتعليم الصحيح " (تي٢: ١) . فلا يكن تعليمك فكراً شخصياً ، ولا تعليماً منحرفاً ، ولا مجرد عقيدة أبتكرتها . فتعدد مدارس التعليم أوجد البدع والهرطقات .

وكما يكون تعليمك سليماً ، ينبغي أن يكون أيضاً تعليماً دسماً يشبع سامعيك . كما يجب أن يكون مناسباً لهم ، متدرجاً مع مستواهم . ويكون تعليماً نقياً من الشتائم ومن التوبيخ . يشعر كل من يسمعه أن الروح هو الذي يتكلم على فمك ، وهو الذي أعطاك ما تتكلم به .

لاحظ التعليم الذى تعلّمه لغيرك بحيث يكون تعليماً كتابياً يستند على كلمة الله التى تحكمك للخلاص (٢تى٣: ١٥) . وكما قال القديس الأنبا أنطونيوس " كل ما تقوله ينبغى أن يكون لك عليه شاهد من الكتب " .

وليكن تعليمك أيضاً تعليماً رسولياً حسب التقليد الذى تسلمناه من الآباء (٢تى٢: ٢)، ليكن تعليماً آبائياً حسبما تعلمناه من آبائنا القديسين . لا تعتمد على فكرك الخاص ، لئلا تضلك الأفكار . وكما قال الكتاب " وعلى فهمك لا تعتمد " (أم٣ : ٥) . وإنما انظر ماذا قال آباؤنا الذين تكلموا بالروح .

وليكن تعليمك أيضاً كاملاً . فلا تذكر أنصاف الحقائق ، واحذر من خطورة استخدام الآية الواحدة . فالكتاب كله تعليم متكامل ... وليكن تعليمك أيضاً مؤثراً وجذاباً ، ومشوقاً لسامعيك . يفرح به تلاميذك " كمن وجد غنائم كثيرة " (مز١١٩) ... تمتصه الروح فى بهجة قلب ، ويشبع به الفكر .

وإن لاحظت نفسك والتعليم ، ماذا تكون النتيجة ؟

تخلص نفسك :

لا تنسَ نفسك وسط اهتمامك بالآخرين وتعليمهم . وينبغى أن تشعر أنك تحتاج إلى التعليم مثلهم ، وتسعى إلى الخلاص أيضاً

مثلهم إن كانت القديسة العذراء قد قالت " تبتهج روحى بالله مخلصى " (لو١: ٤٧) . فماذا تقول أنت عن نفسك ؟

أنت محتاج إلى الخلاص أيضاً ، كما كان يحتاج إليه القديس تيموثاوس الأسقف الذى كتب له هذه العبارة . ولا تظن أن عملك فى الخلاص هو خاص بخلاص الآخرين ، وإنما بنفسك أيضاً . لذلك لاحظ نفسك ، لكى تتمم خلاصك بخوف ورعدة كما يقول الرسول (فى٢: ١٢) . وأنصت إلى القديس بطرس وهو يقول "سيروا زمان غربتكم بخوف " (١بط١: ١٧) .

إنك لا تستطيع أن تعمل على خلاص غيرك ، طالما أنت نفسك لم تسر فى طريق الخلاص بعد ، ولا يمكنك أن تعلم غيرك التدقيق فى الحياة الروحية ، إلا إن كنت أنت نفسك مدققاً ، أعنى إن كنت تلاحظ نفسك ، وتلاحظ كيف تطبق التعليم فى حياتك الخاصة ... وحينئذ كما تلاحظ نفسك وتعمل على خلاصها . فإنك أيضاً :

تخلص الذين يسمعونك :

أى تقودهم فى طريق الخلاص ، بالتعليم السليم ، وبالقدوة الصالحة التى تقدمها لهم فى ملاحظتك لنفسك وإهتمامك بها ... فيقلدون حياتك وسيرتك ، كما كان يفعل القديس تيموثاوس بالنسبة

إلى معلمه القديس بولس الرسول (٢تى٣: ١٠، ١١) .

هذا هو السلوك السليم الذى ينبغى أن يسلكه كل خادم .

أما الذى لا يهتم بنفسه ، ولا بالتعليم ، فإنه يضيع نفسه والذين يتتلمذون عليه أيضاً .

فإن لاحظت نفسك والتعليم ، استمر هكذا ، وكما يقول الرسول:

داوم على ذلك :

لأن كثيرين بدأوا خدمتهم باهتمام وحرص، ثم فتروا فى حياتهم، وفترت خدمتهم أيضاً ، وفتر تأثيرهم على غيرهم !! أما أنت يا رجل الله فلا تكن هكذا . وإنما لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك . ولتكن روحك مشتعلة بالحب الإلهى ، وبنقل هذا الحب إلى الآخرين .

الدموع فى الخدمة

الجدية فى الخدمة

الدموع في الخدمة

لعل من أشهرها دموع أرميا النبى .

هذه التى سجلت فى سفر كامل ، من الأسفار المقدسة دعى (مراثى أرمياء) .

والذى يشمل صلوات كثيرة ، كلها تنهد وحسرة ، كأن يقول :

"أنظر يارب ماذا صار لنا . وأنظر إلى عارنا . قد صار ميراثنا للغرباء .. صرنا بلا أب، أمهاتنا كأرامل" (مرا٥: ١- ٣) .

ويقول أيضاً " مضى فرح قلبنا . صار رقصنا نوحاً . من أجل هذا حزن قلبنا . من أجل هذه أظلمت عيوننا .. لماذ تنسانا إلى الأبد وتتركنا طوال الأيام . أردنا يارب فنرتد . جدد أيامنا كالقديم . هل كل الرفض رفضتنا ؟!" (مرا ٥: ١٥ - ٢٢) .

ويشرح في هذا السفر بكاء مملكة يهوذا فيقول :

" على هذه أنا باكية . عينى عينى تسكب مياهاً . لأنه قد ابتعد عني المعزى، رادّ نفسى " (مرا ١: ١٦) " كلّت من الدموع عيناى. غلت أحشائى" (مرا ٢: ١١). " سكبت عيناى ينابيع ماء على سحق

بنت شعبي . عيني تسكب ولا تكف بلا إنقطاع ، حتى يشرف وينظر الرب من السماء " (مرا ٣: ٤٨ - ٥٠) .

هنا بكاء بلا إنقطاع ، وبلا عزاء ، حتى تعبت العين من البكاء، وشعور بأن الله قد ترك النفس أو نسيها أو رفضها !! وصلاة .. مع صلاة إليه أن يرجع .

٢ - ولعل من الأمثلة أيضاً بكاء المسبيين عند أنهار بابل . وفي ذلك يقول المرتل :

" على أنهار بابل هناك جلسنا ، فبكينا عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علقنا قيثاراتنا . لأن هناك سألنا الذين سبونا أقوال التسبيح ... كيف نسبح تسبحة الرب في أرض غريبة ؟!" (مز ١٣٦) .

٣ - ومن الأمثلة أيضاً بكاء نحميا لما سمع أخبار سيئة عن أورشليم .

فقال : فلما سمعت هذا الكلام ، جلست وبكيت ، ونحت أياماً وصمت وصليت أمام إله السماء " (نح١: ٤) .

وفي صلاته أعترف بخطايا كل الشعب ، وطلب من الرب رحمة ، مذكراً إياه بمواعيده للآباء .

٤ - ونفس الوضع بالنسبة إلى عزرا الكاهن ، لما عرف

خطايا الشعب . فبكى وأبكى الشعب معه .

وفى ذلك يقول الكتاب " فلما صلى عزرا ، واعترف وهو باكٍ وساقط أمام بيت الله، اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جداً من الرجال والنساء والأولاد . لأن الشعب بكى بكاءً عظيماً " (عز١٠: ١) .

وفى غير المراثى ، يقل أرمياء النبى فى سفره :

" يا ليت رأسى ماء ، وعينى ينبوع دموع ، فأبكى نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبى" (أر٩: ١) .

٥ – وقد بكى دانيال النبى أيضاً من جهة سنوات السبى :

وقال فى ذلك " فوجهت وجهى إلى الله السيد طالباً بالصلاة والتضرعات ، بالصوم والمسح والرماد . وصليت إلى الرب إلهى واعترفت وقلت .. أخطأنا وأثمنا، وعملنا الشر، وتمردنا وحدنا عن وصاياك وأحكامك .. " (دا٩: ٣– ٥) .

" فى تلك الأيام ، أنا دانيال كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام، لم آكل طعاماً شهياً ، ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر، ولم أدهن، حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام" (دا١٠: ٢، ٣) .

وهنا نرى البكاء مصحوباً بالصلاة والصوم والزهد والإعتراف بالخطايا .

٦ – من أمثلة البكاء فى الخدمة بكاء ميخا النبى " من أجل إثم يعقوب ومن أجل خطية بيت إسرائيل " (مى١: ٥) . وفى هذا يقول:

" من أجل ذلك أنوح وأولول . أمشى حافياً وعرياناً . أصنع نحيباً كبنات آوى، ونوحاً كرعاة النعام . لأن جراحاتها عديمة الشفاء . لأنها قد أتت إلى يهوذا .. " (مى١: ٨، ٩) .

٧ – ولعل فى قمة البكاء فى الخدمة بكاء ربنا يسوع المسيح على أورشليم :

وفى ذلك يقول الكتاب " وفيما هو يقترب ، نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً .. فإنه ستأتى أيام ، ويحيط بك أعداؤك بمترسة.. ويهدمونك وبنيك فيك ، ولا يتركون فيك حجراً على حجر .. " (لو١٩: ٤١– ٤٤) .

٨ – ومن أمثلة البكاء أيضاً بكاء بولس الرسول فى الخدمة :

فإنه يقول لكهنة أفسس " أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا، كيف كنت معكم كل الزمان ، أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة وبتجارب أصابتنى من مكايد اليهود " .

" لذلك اسهروا ، متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً ، لم أفتر أن أنذر بدموع كل أحد " (أع٢٠: ١٩، ٣١) .

وحتى فى رسائله يقول لأهل كورنثوس " لأنى من حزن كثير وكآبة قلب ، كتبت إليكم بدموع كثيرة ، لا لكى تحزنوا ، بل لكى تعرفوا المحبة التى عندى ولاسيما من نحوكم " (٢كو٢: ٤) .

٩ - وبالمثل كان تلاميذ القديس بولس فى بكائهم .

فهو يرسل إلى تلميذه تيموثاوس ويقول له " .. أذكرك بلا انقطاع فى طلباتى ليلاً ونهاراً ، مشتاقاً أن أراك ، ذاكراً دموعك " (٢تى١: ٤) .

أسباب البكاء فى الخدمة :

القلب الحساس يتأثر من حالة الناس المخدومين .

يتأثر إذ يتذكر خطاياهم . كيف ضعفوا وكيف جرحوا قلب الله.

ويتأثر بنتائج الخطية ، وما جلبته من متاعب ومن ويلات .. أو بما سوف تجلبه من غضب الله .

بل قد يتأثر فيما هو يوبخ على الخطايا، متذكراً ضعفه هو أيضاً، وأنه ما كان يريد أن يوبخ ، فينذر بدموع ...

وقد يبكى الإنسان فى الخدمة ، طالباً معونة الله ، أو طالباً رحمته ومغفرته . أو يبكى وهو يعرض على الله فى صلاته ، ما وصل إليه الأمر من ضياع .

يبكى الإنسان فى الخدمة شاعراً بضعفه ، ومتوسلاً إلى الله أن

يتدخل ، لأن الأمور لا تحل بدونه .

او قد يبكي من شدة المشاكل ، ومن ضغط العدو عليه ، أو من شماتة العداء وتعييرهم ، كما قال داود النبى :

" صارت لى دموعى خبزاً نهاراً وليلاً ، إذ قيل لى كل يوم أين إلهك ؟ هذه أذكرها فاسكب نفسى علىّ ... " (مز ٤٢: ٣، ٤) .

الجدية في الخدمة

الخادم الناجح هو الذى يتميز بالجدية فى الخدمة ...

وهذه الجدية تشتمل على عناصر كثيرة منها :

١ - إن الكنسية قد إئتمنته على هذا الطفل أو هذا الشاب .

فى مرحلة معينة من العمر لها خصائصها ، فهو المسئول عن تعليمه وعن تقديم القدوة له فى هذه المرحلة . وإن أهمل فى ذلك ، يكون قد ضيع تلك المرحلة عليه .

إن تلميذه أمانة فى عنقه سيقدم عنه حساباً : أمام الله ، وأمام الكنيسة ، وأمام أب إعترافه ، وربما أمام أسرة هذا التلميذ أيضاً .

٢ - عليه أن يكون جاداً فى تحضير الدرس ، وفى تحضير نفسه لهذا اللقاء .

إننى الاحظ كثيراً من الخدام المبتدئين يكونون جادين فى تحضير الدروس شاعرين بعجزهم عن التدريس بدون تحضير . أما الذين يهملون تحضير الدروس ، فهم الكبار ، والخدام القدامى، وأحياناً بعض رتب الكهنوت.. إذ يظنون أنهم قد كبروا عن مستوى

التحضير. وقد يدخلون إلى الدرس أو إلى العظة بدون حتى ترتيب أفكارهم . والسامعون يدركون تماماً إن كان الموضوع قد سبق تحضيره أم لا ... ربما المعلومات غير منظمة ، غير مرتبة ، الأفكار ناقصة ، الآيات غير جاهزة .. إلخ .

على الأقل إن كانت لديك معلومات سابقة ، تحتاج أن تجمعها وترتبها وتقدمها فى أسلوب سهل ، وتجمع ما يناسبها من قصص وآيات وتداريب .

٣ - الإنسان الجاد فى خدمته ، جاد أيضاً فى الإفتقاد .

لأن الخدمة ليست مجرد درس يلقى ، إنما يلزم إفتقاد كل طالب، وبخاصة الذين يغيبون أو يكثر غيابهم .

٤ - ويحتاج الأمر أيضاً إلى الجدية فى حل مشاكل المخدومين

يسبق ذلك بلاشك التعرف عليها . وقد يحتاج الأمر إلى العمل الفردى مع البعض على الأقل ، وتحويل الكبار إلى أب إعتراف .

ومشاكل المخدومين تنقسم إلى قسمين : مشاكل عامة تتعلق بهذه المرحلة من السن ، ومشاكل خاصة لكل مخدوم على حدة ، قد تحتاج إلى مساهمة فى حلها ، إن لم يكن بطريق مباشر ، فعلى الأقل بطريق غير مباشر .

٥ - أيضاً الجدية فى إستخدام وسائل الإيضاح المتاحة .

سواء من الصور ، أو الأفلام ، أو الشرائح ، أو الكتب المصورة ، أو الخرائط .. إلخ . وهنا ننتقل من جدية الخادم فى الخدمة إلى جدية الفرع كله ، بما فى ذلك الكنيسة ، والأمين العام للخدمة والأمين المساعد للمرحلة ...

٦ - الجدية فى الخدمة ، تحتاج إلى صلاة .

صلاة من أجل الأولاد ، من أجل مشاكلهم ، ومن أجل الدرس وتأثيره ، من أجل الحالات الخاصة ، من أجل الخادم نفسه أن يعطى كلمة عند إفتتاح فمه .

٧ - الجدية فى الخدمة ، تشمل الجدية أيضاً فى قدوة الخادم .

أولاً يكون بلا عثرة أمامهم ، بلا خطأ واضح .. وثانياً يكون قدوة طيبة ، ويحرص على ذلك ، ويكون مدققاً فى كل شئ ... وحريصاً فى روحياته .

٨ - الخادم الجاد يحرص على نمو الخدمة .

نمو في عدد الحاضرين ، ونمو في روحياتهم ، وفى معرفتهم ، وفى ممارستهم للوسائط الروحية .

وبالنسبة إلى خدمة الشباب ، حينما ألاحظ نقص المكرسين ، ونقص الذين يقدمون للكهنوت ، أشعر أن الخدمة لم يصل نموها إلى هذا المستوى ، ووقفت عند حد معين لم تتعداه .

٩ – تظهر جدية الخادم فى مدى إخلاصه للخدمة .

مدى مواظبته عليها ، ومدى حبه للمخدومين ، ومدى حرصه على تعليمهم وتربيتهم ، ونموهم روحياً . وإشرافه على سلوكهم ، وملاحظة الأخطاء والعمل على تلافيها ، ومعالجة التلاميذ المشاكسين واحتضانهم ، وملاحظة أن دروسه لها تأثير فى حياتهم.

١٠ – والخادم الجاد لا تقتصر خدمته على الدرس .

إنما يهتم أيضاً بالعلاقة الخاصة بأولاده ، والأنشطة اللازمة لهم، وما يلزمهم فى حياتهم الخاصة ، ومراعاة مدى نجاحهم فى دراستهم ، ومدى توفيقهم فى حياتهم العائلية .

الخدمة ... والفتور

سؤال

إذا فترت حياتى الروحية ، هل أترك الخدمة أم أستمر ؟

الجواب

نحن لا نستطيع أن نجعل خدمة أحد الفصول فى التربية الكنسية تتذبذب بسبب حالة الفتور التى قد تصيب الخادم أحياناً . ولكن مادام الفتور لا يعطى روحانية للخدمة ، فالقاعدة هى :

إن كنت فى حالة فتور ، فلا تترك الخدمة ، بل أترك الفتور .

هذا ومن المعروف أنه قد لا يوجد أحد فى حرارة مستمرة ، ومن الممكن أن يتعرض كل أحد للفتور ، فمن النافع جداً النظام الموجود فى كثير من الفروع : وهو دخول خادمين معاً فى فصل

واحد يعين كل منهما الآخر .

ونقدم بعض النصائح للخادم فى فترة فتوره :

١ - إذا فتر الخادم ، فلتتسحق نفسه أمام الله ، ولتكثر صلاته ، ولتكن فى عمق ...

تتسحق نفسه فى شعور بعدم الإستحقاق ، وفى توبيخ على فتورها .. وليرفع قلبه إلى الله قائلاً " ليس عندى يارب ما أعطيه لهم، فأعطني أنت ما تريد أن تقدمه لهم ... ليس يارب من أجلى ، بل من أجلهم ، أنقذنى من هذا الفتور ، ولو فى ساعة تدريسى لهم فقط ... حتى لا يكون تدريسى لهم مضيعة لوقتهم ، وعثرة لهم ...

٢ - وليحاول الخادم أن يتخذ من الدرس علاجاً لفتوره .

فالدرس فى التربية الكنسية ، ليس هو من أجل التلاميذ فقط ، وإنما هو من أجل الخادم أيضاً . فليجاهد الخادم من أجل أولاده. وليضع أمامه تلك الآية الجميلة " من أجلهم أقدس أنا ذاتى، لكى يكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق" (يو١٧: ١٦) .

وليوبخ نفسه قائلاً : ما ذنب هؤلاء الصغار ، أن يكون مدرسهم فى حالة من الفتور كما أنا الآن .

٣ - وهكذا يقود نفسه إلى التوبة .

ولا يسمح أن حالة الفتور يطول وقتها معه . بل يبحث عن

أسبابها ، ويعمل على معالجة نفسه منها . وإن كان السبب هو التقصير في وسائط النعمة ، عليه أن يعود إليها بنشاط ... وإن كان السبب هو خطية رابضة قد أفسدت عليه روحياته ، فليتب عنها .

٤ – وليعرف أن الفتور خطر عليه ، سواء كان يخدم أم لا يخدم .

فتركه للخدمة ليس علاجاً له ولا للخدمة إذن لابد أن يعالج الفتور في حياته ، أولاً من أجل نفسه . وليعلم أن السيد المسيح علّمنا أن نشهد له في أورشليم ، قبل السامرة وإلى اقصى الأرض . وأورشليم هنا ترمز إلى حالة القلب من الداخل .

٥ – وليعرف أن كثيرين من الذين تركوا الخدمة بسبب فتورهم ، ضاعوا .

لأن الخدمة في حد ذاتها هي واسطة من وسائط النعمة ، تعطيهم الفرصة لقراءة الكتاب والتأمل فيه ، وللوجود في وسط روحي له تأثيره . كما أن البقاء في الخدمة يساعد على تبكيت النفس وعودتها إلى الله وربما تكون الخدمة هي الخيط الذي يربطه بالله في حالة فتوره . وإن فقده ، قد يفقد الدافع الروحي إلى التوبة.

٦ – ولقد جرب بعض الخدام ، في حالة فتورهم – فائدة صلاة الأطفال لأجلهم .

يمكن فى إتضاع أن يقول لأولاده " أنا يا أولاد محتاج لصلواتكم. فأرجوكم أن تصلوا طول الأسبوع من أجلى " ... وصلاة الأطفال لها مفعول عجيب ، وبخاصة لو كانت تربطهم بمدرسهم مشاعر حقيقية من المحبة .

وعليه - فى نفس الوقت - أن يشارك الأولاد فى الصلاة من أجل نفسه . ولا يترك عائقاً عملياً فى حياته يعوق الإستجابة .

حتى إن لم يصلِ الأولاد لأجله ، فمن أجل تواضعه وطلبه لصلواتهم ، قد يرفع الله هذا الفتور عنه .

الجزء الرابع

كيفَ تخدم

يشمل هذا الجزء - الذى نرجو أن يصدر قريباً موضوعات عملية فى الخدمة ، منها :

١ - مناهج ابتدائى ، وإعدادى ، وثانوى .
والأسس التى بنيت عليها .

٢ - طفل الحضانة والطفولة المبكرة .

٣ - طريقة تدريس العقائد على مستوى المراحل .

٤ - معاملة الطفل المشاكس فى فصلك .

٥ - النشاط الصيفى .   ٦ - نادى الكنيسة .

٧ - اجتماع الخدام : أسباب نجاحه وفشله .

٨ - تداريب للحفظ .   ٩ - التراتيل والألحان .

١٠ - مشكلة العدد .   ١١ - إعداد الخدام .

١٢ - الإفتقاد .

١٣ - الأنشطة فى التربية الكنسية .

كثيرون سقطوا
وهم فى الخدمة
وبعضهم هلكوا

كثيرون سقطوا وبعضهم هلكوا وهم داخل الخدمة

لا تظن يا أخى الخادم أن كل الذين سقطوا أو كل الذين هلكوا، كانوا خارج الكنيسة أو خارج الخدمة. فالكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة يسجلان لنا كثيراً من القصص والأحداث عن أشخاص ضاعوا وبعضهم هلكوا، وهم داخل الكنيسة وداخل الخدمة .

أمثلة :

★ لنأخذ مثلاً : ديماس مساعد بولس الرسول .

أو شريكه فى الخدمة ، الذى كان يذكره فى رسائله (كو٤: ١٤)، وفى إحدى المرات ذكره قبل لوقا البشير (فل٢٤). ديماس هذا زميل مرقس وأرسترخس، الذى لاشك أن العديدين آمنوا على يديه... هذا إنتهت حياته الروحية بمأساة، يشرحها القديس بولس بقوله " ديماس تركنى، إذ أحب العالم الحاضر " (٢تى٤: ١٠). وقيل عنه فى بعض أخبار التاريخ إنه إرتد وصار وثنياً !!

★ وليس ديماس وحده ، بل هناك آخرون قال عنهم القديس :

" لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم باكياً وهم أعداء صليب المسيح " (فى٣: ١٨) .

ويشرح الرسول مأساة هؤلاء فيقول " الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم، ومجدهم فى خزيهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات " (فى٣: ١٩). أليس كل أولئك درساً لجميع الخدام لكى يحترسوا جيداً ، ويتذكروا قول الرسول :

" إذن من يظن أنه قائم ، فلينظر أن لا يسقط " (اكو١٠: ١٢).

السقوط ممكن ، حتى لخدام كانوا جبابرة ...

وأمثلتهم بعض ملائكة الكنائس السبع ، الذين أرسل لهم الرب رسائل على يد القديس يوحنا الرسول. أولهم راعى كنيسة أفسس الذى قال له الرب " أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك.. وقد إحتملت ولك صبر، وتعبت من أجل إسمى ولم تكل " (رؤ٢: ٢، ٣) ومع ذلك فإنه ترك محبته الأولى . وقال له الرب " اذكر من أين سقطت وتب.. وإلا فإنى آتيك عن قريب ، وأزحزح منارتك من مكانها، إن لم تتب " (رؤ٢: ٥). ما أرهب هذا الكلام ...

ولكن أخطر منه وأصعب ، ما قيل لملاك كنيسة ساردس :

" أنا عارف أعمالك أن لك إسماً أنك حى، وأنت ميت " (رؤ٣: ١) .

ومع ذلك كان خادماً ، ودُعى ملاكاً ، وكان واحداً من السبعة

الكواكب التي كانت في يمين الرب (رؤ١: ٢٠). والرب يدعوه إلى التوبة وينذره (رؤ٣: ٣).

ومثله ملاك كنيسة لاودكية الذي قال له الرب : " لأنك فاتر ، ولست بارداً ولا حاراً ، أنا مزمع أن أتقيأك من فمي" (رؤ٣: ١٦).

★ ومن أمثلة الذين ضاعوا في الخدمة عالي الكاهن وأولاده.

كان كاهناً للرب ، واستمر في كهنوته إلى أن شاخ وضعفت عيناه. ولكن لأنه لم يرب أولاده ، ولما انتهرهم لم يفعل ذلك بحزم.. لذلك قطعه الله، وأمات إبنيه في يوم واحد (١صم٢: ٣١، ٣٤). بل قال الرب " أقسمت لبيت عالي أنه لا يكفّر عن شرّ بيت عالي بذبيحة أو بتقدمة إلى الأبد " (١صم٣: ١٤) .. وسقط عالي الكاهن عن كرسيه فانكسرت رقبته ومات. وكان قد قضى لإسرائيل أربعين سنة " (١صم٤: ١٨) .. هلك الشيخ مع أولاده ، وهم في الخدمة ! .

★ هلاك آخر كان لشاول الملك ، مسيح الرب .

أرسل له الرب صموئيل النبي ، فمسحه بالدهن المقدس ملكاً لشعبه ، وحلّ عليه روح الرب فتنبأ، حتى قال الشعب " أشاول أيضاً بين الأنبياء " (١صم١٠: ١١) .. ولكن كيف إنتهت حياة مسيح الرب هذا ؟! لقد أخطأ إلى الله ، فنزع روحه منه . وقيل في

ذلك " وذهب روح الرب من عند شاول . وبغته روح ردئ من قبل الرب" (اصم١٦: ١٤) ... ومات شاول هالكاً ...

★ **أيضاً الكتبة والفريسيون هم مثال آخر لهلاك خدّام وهم فى محيط الخدمة ...**

كانوا مُعلمى الشعب فى أيامهم ، وأكثر الناس تشدداً فى حفظ الناموس ومعرفته ، وقد قال عنهم الرب فى ذلك " على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون .." (مت٢٣: ٢) . ومع ذلك هلكوا وهم فى خدمتهم . وأغلقوا ملكوت السموات قدام الناس، فلا هم دخلوا ولا تركوا الداخلين يدخلون وسماهم الرب " قادة عميان " (مت٢٣: ١٣، ١٦) ...

وقال لهم " أيها الحيات أولاد الأفاعى ، كيف تهربون من دينونة جهنم ؟!" (مت٢٣: ٣٣) ... ومع ذلك كانوا خداماً ومعلمين وقادة الخدمة والتعليم فى أيامهم !!

★ **وكذلك أيضاً كان الكهنة فى ذلك الجيل .**

أولئك الذين سماهم المسيح " الكرامين الأردياء" وقال لهم "إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره" (مت٢١: ٤٣). هؤلاء الكهنة ورؤساؤهم هم الذين حاكموا المسيح وأدانوه !! ووقفوا أمام بيلاطس يشتكون عليه (مت٢٧: ١٢) ويصيحون

طالبين صلبه (لو٢٣: ٢٣) . وهم الذين قاوموا القيامة ، ودفعوا رشوة للعسكر ليقولوا إن تلاميذ المسيح سرقوا الجسد (مت٢٨: ١٣) . كما كانوا هم الذين دفعوا الثلاثين من الفضة ليهوذا ليسلم سيده (مت٢٦: ١٤، ١٥) .

وهلك أولئك الكهنة ، وكانوا خداماً للرب، بل رسلاً لرب الجنود، ومن أفواههم تطلب الشريعة (ملا٢: ٧) !!

★ مثال آخر ، هو الإبن الكبير في قصة الإبن الضال :

الإبن الصغير كان يمثل الذين ضلوا بالذهاب إلى كورة بعيدة، وانفصلوا عن بيت الآب ؛ أما أخوه الأكبر فكان يمثل الذين ضلوا وهم فى الخدمة. بدليل قوله لأبيه " ها أنا أخدمك سنين هذا عددها، وقط لم أتجاوز وصيتك" (لو١٥: ٢٩). ومع ذلك كان ضائعاً وساقطاً وهو في محيط الخدمة على الرغم من تلك السنين العديدة !

ما كان محباً لأخيه العائد، بل غضب لإكرامه ورفض أن يدخل البيت ويشترك فى فرح الأسرة به .

كذلك لم يكن مؤدباً فى حديثه مع أبيه . واتهم أباه بالبخل فى قوله " وقط لم تعطنى جدياً لأفرح مع أصدقائى" (لو١٥: ٢٩)، واتهمه بعدم العدل فى معاملة أولاده ، ولام أباه على إكرامه إبنه العائد. ولم تكن مشيئته متفقة أبداً مع مشيئة الآب .

ومع ذلك كان خادماً له في الخدمة سنون هذا عددها !!

★ الذين يهلكون وهم داخل الخدمة، يذكروننا بإبنة يايرس التى ماتت وهي في بيت أبيها (لو٨: ٤٩ – ٥٢) .

وتختلف عن إبن أرملة نايين الذى كان فى نعش فى الطريق (لو٧: ١٢) وعن لعازر الذى كان فى قبر وعليه حجر (يو١١: ٣٨) .

★ آدم أيضاً وحواء سقطا وهما فى الجنة .

★ لعل يهوذا الأسخريوطى هو أسوأ مثال بشرى لمن هلكوا وهم فى الخدمة .

كان واحداً من الإثنى عشر (مت١٠: ٤) . والسيد المسيح هو الذى أختاره ضمن الباقين . بل ميزه عنهم بأن عهد إليه بأمانة الصندوق، وبالإنفاق على الفقراء، والدليل على ذلك أنه لما قال له الرب موبخاً فى يوم خميس العهد " ما أنت تعمله فاعمله بأقصى سرعة " ظن البعض " إذ كان الصندوق مع يهوذا .. أن يسوع قال له إشترِ ما نحتاج إليه للعيد، أو أن يعطى شيئاً للفقراء " (يو١٣: ٢٧، ٢٩).

ولعل يهوذا اشترك فى الخدمة التدريبية الأولى (مت١٠)، وأخذ مع الرسل بعض المواهب (مت١٠: ١) ... وعلى الرغم من كل

ذلك هلك يهوذا .

★ **من الدروس النافعة أيضاً فى الخدمة : هلاك نبى معروف هو [بلعام] .**

كان رجلاً " مفتوح العينين ... يسمع أقوال الله، ويعرف معرفة العلى.. يرى رؤيا القدير، وهو مكشوف العينين" (عد٢٤: ١٥،١٦)

وهو الذى تنبأ عن السيد المسيح وقال "أراه وليس الآن . ابصره ولكن ليس قريباً . يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم طرفي موآب" (عد٢٤: ١٧) .

وهو الذى ظهر له ملاك الرب ، وكلمه الرب أكثر من مرة . وقيل في ذلك " فوافى الله بلعام .. ووضع الرب كلاماً فى فم بلعام، وقال أرجع إلى بالاق وقل هكذا " (عد ٢٣: ٤، ٥) (عد٢٣: ١٦) . أما بلعام فقال لبالاق ولعبيده قبل ذلك : "ولو أعطانى بالاق ملء بيته فضة وذهباً ، لا أقدر أن أتجاوز قول الرب لأعمل خيراً أو شراً من نفسى . الذى يتكلمه الرب إياه أتكلم " (عد٢٤: ١٣) (عد٢٢: ١٨) .

وقيل " فكان عليه روح الله ، فنطق بمثله " (عد٢٤: ٢، ٣).

وقبل أن يتكلم كان يبنى سبعة مذابح، ويقدم محرقات: سبعة ثيران وسبعة كباش (عد٢٣: ١، ٢) (عد٢٣: ٢٩، ٣٠) .

وعلى الرغم من النبوءات والمحرقات والرؤى وحلول روح الله عليه، هلك بلعام ، وألقى معثرة أمام بنى إسرائيل .. " (رؤ٢: ١٤). وتحدث الكتاب عن "ضلالة بلعام" (يه ١١) ...

وقيل " إنه أحب أجرة الإثم " (٢بط ٢: ١٥) .

★ ولعل من أمثلة السقوط – وليس الهلاك – هارون أخو موسى :

هذا الذى كان رئيساً للكهنة ، ومسحه موسى النبى بالزيت المقدس حسب أمر الرب (خر٤٠: ١٣،١٦) (لا٨: ١٢)... هارون هذا هو الذى صنع لبنى اسرائيل العجل الذهبى الذى عبدوه!!

" فقال لهم هرون : أنزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها.. فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوّره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً ... فلما نظر هرون ، بنى مذبحاً أمامه . ونادى هرون وقال : غداً عيد للرب . فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة " (خر٣٢: ٢-٦) .

ولما أنتهره موسى بعد نزوله من الجبل أجاب " انت تعرف الشعب أنه فى شر . فقالوا لى اصنع لنا ألهة تسير أمامنا .." (خر٣٢: ٢٢-٢٤) .. وهكذا سقط هذا الكاهن العظيم سقطة عظيمة. وسقط مرة أخرى حينما تكلم هو ومريم ضد موسى النبى

(عد١٢: ١) فوبخهما الرب . وضرب مريم النبية بالبرص (عد١٢: ٤-١٠) .

وكانت مريم هذه هى التى قادت النساء فى تسبيح الرب بعد عبور البحر الأحمر ، والدف بيدها (خر١٥: ٢٠) .

وهى التى رتلت تلك الترنيمة الجميلة " سبحوا للرب فإنه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحهما فى البحر " (خر١٥: ٢١) .

ومع ذلك فهذه النبية العظيمة ضربها الرب بالبرص ، ولم يسمع شفاعة موسى فيها ، إلا بعد أن طرحت خارج المحلة سبعة أيام (عد١٢: ١٣-١٥) .

ننتقل بعد هذا من أحداث الكتاب المقدس إلى التاريخ ..

تاريخ الكنيسة يحكى لنا أيضاً أمثلة من الذين هلكوا وهم فى الخدمة . وبعضهم وصلوا إلى قمم عالية فى الخدمة :

ومن أمثلة ذلك بعض الهراطقة الذين قد حرمتهم الكنيسة ، وكانوا من الخدام البارزين فيها :

مثال ذلك : أريوس الذي كان أعظم واعظ فى الأسكندرية . وقد هلك بسبب إنحرافه فى التعليم ، وهو واعظ يخدم ، وهو قس فى الكنيسة الكبرى بالأسكندرية . وقد استمر فى عناده وهرطقته ، فحرمه مجمع نيقية المقدس .

ومثل آريوس ، نتحدث أيضاً عن نسطور ومقدونيوس بطريركى الكرسى العظيم فى القسطنطينية

كان كل منهما فى جيله فى قمة الخدمة فى كنيسته .. ووقع كل منهما فى هرطقة وهلك . مقدونيوس حكم عليه المجمع المسكونى الثاني المنعقد فى القسطنطينية سنة ٣٨١م . ونسطور حكم عليه المجمع المسكونى الثالث المنعقد فى أفسس سنة ٤٣١م . وماتا محرومين هالكين ، وقد كانا على رأس كنيسة كبيرة وفى قمة خدمتها .

وبنفس الوضع تقريباً نتكلم عن هلاك أوطاخى وكان أباً روحانياً كبيراً على رأس دير فى القسطنطينية !

وضاعت كل خدمته السابقة فى رعاية دير كبير ، وحرمته الكنيسة ، فضاعت حياته الروحية أيضاً ، إذ وقع كذلك فى هرطقة.

إن كان الأمر كذلك مع كل أولئك الجبابرة فى الخدمة ، فليحترس إذن كل خادم . وليضع أمامه قول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس " لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك . فإنك إن فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " (١تى٤: ١٦).

فهرست الكتاب

صفحة

مقدمة ٥

لكل كائن رسالة ٨

الآخرون في حياتك ١٦

التشجيع ٢٢

رابح النفوس حكيم (أ) ٣٧

رابح النفوس حكيم (ب) ٥٢

العمل الإيجابى البنّاء ٦٧

العمل الفردى (أ) ٧٩

العمل الفردى (ب) ٨٩

لاحظ نفسك والتعليم ٩٩

الدموع فى الخدمة ١١٧

الجدية فى الخدمة ١٢٤

الخدمة والفتور ١٢٨

كثيرون سقطوا وبعضهم هلكوا ١٣٣